الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران



كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية

قسم الحضارة الإسلامية

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ والحضارة الإسلامية عنوانها :

التحالفات القبلية في صحراء المغرب الإسلامي

ق : (4- 6 هـ /10- 12 م)

تحت إشراف الأستاذ الدكتور : أحمد الحمدي **من إعداد الطالبة : بوعنيني سهام**

لجنة المناقشة :

أ.د بن معمر محمد	جامعة وهران 1	رئيسا
أ.د أحمد الحمدي	جامعة أدرار	مشرفا ومقررا
د . لعباسي محمد	جامعة وهران 1	مناقشا
د. لعريبي اسمهان	جامعة وهران 1	مناقشا
د . بن واز مصطفى	جامعة بشار	مناقشا
د. شرف عبد الحق	جامعة تيارت	مناقشا

الموسم الجامعي : 1441-1442 هـ/ 2019 – 2020 م


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى والدي الكريمين وإلى زوجي وإلى أبنائي وجميع

أفراد العائلة

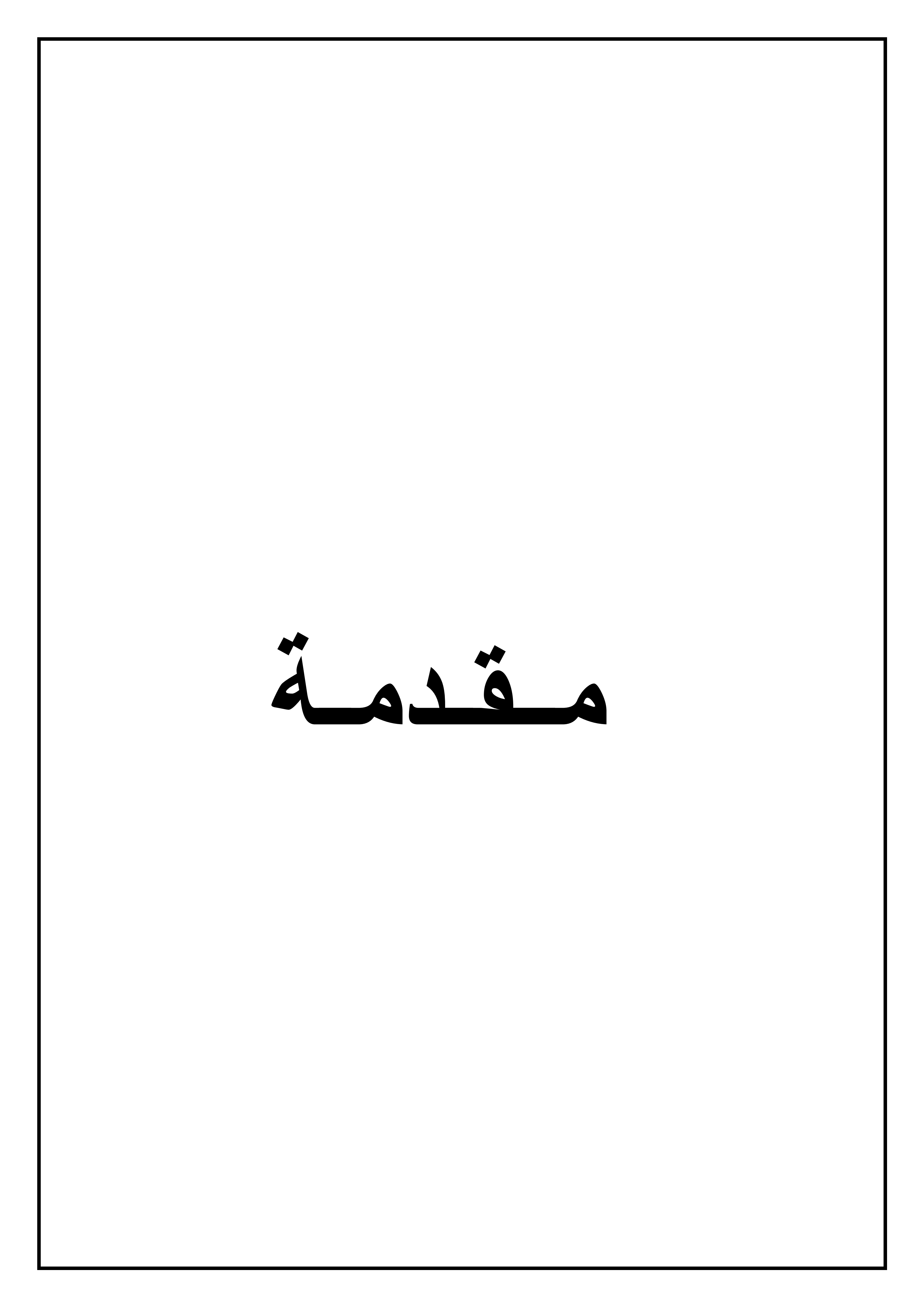
إلى أخي زهير رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه

شكر وتقدير

الشكر أولا وأخيرا لله سبحانه وتعالى على توفيقه في إنجاز هذا العمل المتواضع ثم الشكر لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور أحمد الحمدي على ما قدمه من نصائح وإرشادات فلولاها ما ظهرت هذه الرسالة على ماهي عليه.

كما أتقدم بالشكر للسادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم تقييم وتقويم هذا العمل

كما أرفع أكف الضراعة للمولى عز وجل أن يشافي ويعافي أستاذنا الدكتور عبد المجيد بن نعمية على ما قدمه لنا من تحفيز و عون علمي .



مقدمة

لقد دلت النقوش المستكشفة في الصحراء على العلاقات التي كانت تربط القبائل فيما بينها منذ العصور الغابرة، و قد كان للفتح الإسلامي لهذه القفار الفضل في عملية التواصل بين الشمال و الجنوب عبر تدفق الفاتحين الأمر الذي أدى إلى الامتزاج القبلي والثقافي و التعرف على هذه القبائل و بخاصة في القرنين الرابع و الخامس الهجريين و قد أحدث هذا اللقاء نقلة نوعية اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا، مما دفع هذه الصحارى إلى أن تلعب دورا لا تقل أهميته عن دور البحر الأبيض المتوسط.

وقد تردد كثيرا مصطلح "الصحراء" في مصادر التاريخ المغربي، وارتبط بهروب زعماء الثورات و القبائل خوفا من بطش الحكام، وقد شكلت هذه الصحراء المكان الآمن لهؤلاء، وقد كان قصدهم العون و المدد من هذه القبائل لتجديد التمرد أو الاختفاء من مطاردة السلاطين و هكذا أصبح مصطلح الصحراء فضاء يكاد يشكل المناطق الجنوبية كجبال التلو الهضاب الوسطى و الأطلس الكبير و قد أظهر أثّر هذا الفضاء في حركة محمد بن خزر الذي كثيرا ما كان يفر إلى الصحاري، وكذلك فعل جعفر بن علي بن حمدون عندما تحالف مع زناتة وفرت به إلى الصحراء ، ولم يتردد أبو يزيد مخلد بن كيداد النكاري الخارجي عن اللجوء إلى هذه المناطق ، و نماذج عدة من حركات التمرد التي قام بها زعماء القبائل في صراعاتهم ، وقد لعبت القبيلة دورا محوريا في هذه الصدامات و في شتى الحركات و الأحداث السياسية و الاقتصادية و التطورات الاجتماعية و الفكرية، فقد كانت وراء قيام دول واشتعال فتن وإعانة مذاهب وانتشارها، و رخاء العيش و تأسيس مدن و خرابها، و قد لعبت دورا كذلك في نشر الأمن و الخوف و تطور الاقتصاد وتدهوره، وقد التفت ابن خلدون إلى هذه الظاهرة فعالجها معالجة العالم الخبير بآلياته التي سبقت عصره، فقد وضع يده على العصبية القبلية وتأثيرها في المجتمع ، و قيام الدول و نصرتها ، فهي عنده النعرة على ذوي القربى و أهل الأرحام أن ينالهم ضيم، أو تصيبهم هلكة...ومن هذا الباب الولاء و الحلف، إذ نعرة كل أحد على أهل ولائه و حلفه، ولم يكن الحلف القبلي وليدا للفتح الإسلامي ، بل عرفه المغرب منذ العهد الاحتلال الروماني و

الوندالي و البيزنطي، فقد كان بدو الصحراء المتمثلين في الغرامنت و الجيتول (البتر) لا يترددون في التكتل و نصرة بعضهم البعض ضد أي خطر يهدد مصالحهم.

وقد تكررت هذه الظاهرة عندما تم فتح المسلمون هذه المناطق ،إذ لم يستبدل الفاتحون – للأسف – هذه العصبية بالأخوة الإسلامية والمساواة التي جاء يبشر بها الإسلام، فبعد تمام الفتح حدثت تجاوزات خطيرة بين الوافدين أو الفاتحين وبين سكان المنطقة تمثلت في الظلم والاستغلال وخاصة التمييز العنصري بين القبائل و ما كادت المنطقة تهدأ من الحروب حتى اشتعلت نار الفتنة بين هذه القبائل،ولعل السبب يعود إلى تعسف ولاة بني أمية مما مهد الأرضية لتكون موضع حرث لمذاهب الخوارج و الشيعة و لم تكن تلقى نجاحا لولا تحالفها مع قبائل المنطقة التي تبنت بدورها ما جاءت به هذه المذاهب لتصبح المنطقة ميدانا ساخنا للتجاذبات السياسية و المصالح الاقتصادية.

الإطار الزماني و المكاني للموضوع:

لقد تم تحديد الحقبة الزمانية للبحث من القرن الرابع إلى القرن السادس الهجريين، أما الإطار المكاني فقد تمثل في صحراء المغرب الإسلامي الذي يبدأ من حوض نهر ملوية الأوسط أي شرق مضيق "تازة" ثم الجهات الرعوية لجنوب الأطلس الكبير، بما في ذلك الأطلس الصغير و أحواض الأنهار العابرة لتلك المرتفعات المتجهة نحو الجنوب، **مثل** نهر زيز و غريس و كير(قير) و دادس و درعة ثم الساورة و هي الوادي الذي يبدأ بلقاء وادي قير ووادي زوزفانة بقرية إقلي جنوب مدينة بشار، و يصل هذا الوادي إلى منطقة توات وكذلك نهر الزاب، ثم يأتي منطلق الرمال " المجابات الكبرى " كما يشمل المكان واحات السفوح الجنوبية لجبال الأطلس وواحات الرمال من وركلة و الأغواط وتمدلت و تدمكة إذ تعد هذه المناطق أماكن للترحال و الرعي و الانتجاع، بالإضافة إلى الواحات مثل درعة وسجلماسة و وركلة وإقليم الزاب و بلاد الجريد.

أهمية الموضوع:

يهدف البحث إلى دراسة الموضوع لمعرفة التحالفات القبلية و إظهار أثرها كما تطمح الرسالة إلى الإجابة عن سبب نشأة هذه العصبية في ظل الإسلام و دور الصحراء في تغذية هذه الظاهرة و توضيح أسباب مناصرة القبائل بعضها بعضا أو مؤازرة غيرها من القبائل التي تحالفت معها، وابراز عوامل هذا التآزر و نجاحه أو فشله في تحقيق الأهداف من خلال التعرض لأنواع العصبيات التي حصل بها التناصر.

إشكالية الموضوع:

إن لكل موضوع إشكالية و إشكالية هذا البحث تجمع بين الإنسان و المكان، فالتاريخ السياسي والاقتصادي و الاجتماعي حلقات مترابطة يستحيل فهمها دون العودة إلى البيئة الجغرافية التي يدور فيها الحدث ، والمتمثل في ظاهرة التحالفات القبلية بصحراء المغرب الإسلامي ؟ فما مفهوم الصحراء ؟ وماهي الأسس التي بنيت عليها المدن الصحراوية ؟ التي تفاعل معها الإنسان و ما أبرز المدن التي لعبت دورا بارزا في هذا الحراك القبلي وما علاقتها بالصراعات السياسية والمذهبية ؟ وهل ساهمت تركيبتها الاجتماعية بتعزيز ظاهرة الحلف القبلي ؟ أَم أنها شكلت مكانا منيعا آمنا لكل من أصبحت حياته في خطر؟ أم إن الاستعانة بقبائل الصحراء القوية كانت عونا للانتصار على الخصوم ؟ و أين تمركزت العناصر المؤثرة في هذه الظاهرة ؟ وهل أنتجها الفتح الإسلامي أم جاءت معه؟ أم لها جذور قديمة في المنطقة؟ و فيما تمثلت هذه التكتلات و التحالفات القبلية؟ ما أبعاد هذه التحالفات الاقتصادية و الاجتماعية؟

كل هذه الأسئلة و غيرها ستحاول هذه الرسالة الإجابة عنها.

صعوبات البحث:

أول صعوبة واجهتها هي عدم وجود دراسات تناولت التحالف القبلي في الصحراء – حسب علمي – يمكن الاستئناس بها عَدا الدراسات التي عالجت القبيلة و ما ألفّ حولها وظاهرة التحالف تكاد تكون منعدمة ما عدا بعض الإشارات المقتضبة و ما زاد الأمر تعقيدا هو تشتُّت القبائل في الصحراء الشاسعة، فالقبائل البترية مثلا تمتد

مجالاتها الجغرافية في الترحال و الانتجاع من برقة إلى حوض نهر ملوية شمالا، و من فزان شرقا إلى سجلماسة ودرعة في الجنوب المغربي، فحركتها هلامية غير مضبوطة ، ومن بين الصعوبات أيضا تلك الخلخلة التي أصابت الخريطة البشرية للمغرب كله ، فمتابعة القبائل الرافضة للطاعة وكذلك القبائل المتمردة والعناصر التي كانت لها مواقف غير ثابتة ، أعطى بدوره تحولات في المواطن وأماكن الوجود للمجموعات البشرية من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ، وكما يقول الباحث جاك برك " إننا أمام قاعدة حقيقية وهي ذلك التناقض الذي يوجد بين الشخصية الجماعية وأصل الخلايا التي تكونها " ويضيف نفس الباحث " أن أسماء المجموعات القبلية تتكرر هنا وهناك في المجال الجغرافي المغربي كل هذا التكرار يجعل عملية تشخيصها على الخريطة من العمليات الصعبة أو المستحيلة " وما زاد الطين بله تنوع المذاهب وكثرة الفرق وعدم توفر المادة المصدرية الواضحة .

و بالرغم من صعوبة البحث ، فإني حاولت جاهدة أن أغوص في أعماقه و أنقب هنا و هناك لأضيف لبنة في هذا الموضوع البكر.

منهجية البحث:

المنهج مظهر حضاري دقيق، و المنهجية طريقة و أدوات إجرائية يتبعها الباحث للوصول إلى فكرة يطمئن إليها و يذيعها في الناس، و من هنا، فقد حاولت أن أتبع المنهج التاريخي الوصفي التحليلي و التركيبي.

لذا فقد تجنبت السرد الوصفي الذي يعيد الوقائع كما هي و إنما حاولت تحليلها و تفكيكها ما استطعت .

خطة البحث:

أما خطة البحث التي اتبعتها فقد تمثلت في معالجة الموضوع في أربعة فصول :

الفصل الأول :

أنتربولوجية المنطقة :

أبرزت بداية أهمية المنطقة ومدى ترابط التاريخ السياسي والاقتصادي و الاجتماعي وتأثير البيئة الجغرافية في الإنسان المغاربي الذي صنع تاريخه الاجتماعي والسياسي

بتأثير عمق جغرافيته ، ثم تتبعت مصطلح الصحراء وتعريفها بالرغم الصعوبات التي واجهتني .كما أنه لا يمكن أن تنجو الحركات السياسية و الفكرية و التجمعات البشرية من تأثيرات الصحراء فالإنسان ابن بيئته كما يقال، و حاولت تحديد مجالاتها و حدودها الجغرافية و إبراز أهم معالمها التضاريسية و أقاليمها التي شهدت أحداثا سياسية متنوعة ، ثم تعرضت إلى نقطة مهمة، وهي شروط اختيار موضع المدن الصحراوية ، ثم استعرضت نماذج من المدن الصحراوية ، ولم يكن عرضي لهذه الأخيرة حشوا معرفيا وإنما كان للابراز دور هذه المدن في التقلبات السياسية والصراعات المذهبية بالمنطقة ، فالمنطلق كان من أجل إبراز موقعها الجغرافي وما تحتويه من أهمية اقتصادية بارزة من ناحية توفرها على كل مؤهلات التمدن الحضري ، اقتصاديا ، صناعيا ، وخاصة تجاريا ، فقد كان لهذا الأخير دورا فعال في التدخلات الأجنبية وتحالفها مع قبائل المنطقة ، بالإضافة إلى وقوع هذه المدن الصحراوية بمحاذاة بحر الرمال والفيافي التي كثيرا ما سهلت فرار الزعماء الذين قادوا التحالفات القبلية وثاروا حيث يصعب تقفي أثرهم، فلم تكن المناطق الصحراوية بمعزل عن هذه المشاكل حيث كانت مفضّلة للأصحاب حركات المعارضة للسلطة ، ومن الشواهد الدالة على ذلك حملة القائم بأمر الله سنة 310 هـ / 923 م التي دفعت بمحمد بن خزر إلى الفرار والتوغل في الصحاري أما نماذج المدن فقد كانت كالتالي :

سجلماسة (الموقع، المناخ، الوضع السياسي، النشاط الزراعي، النشاط الصناعي الطرق التجارية). أوداغست (الموقع، الوضع السياسي، الوضع الاقتصادي). ورجلان. الزاب (أصل التسمية، الحدود الجغرافية، الوضع السياسي، النشاط الزراعي، الصناعة الطرق التجارية) ققصة (الموقع، الوضع السياسي، النشاط الزراعي، الصناعة). قابس (الموقع و التسمية، الوضع السياسي، النشاط الزراعي، النشاط الصناعي) . نفزاوة (الموقع الجغرافي، الوضع السياسي، الوضع الاقتصادي، الصناعة، المسالك التجارية) . برقة (التسمية و الموقع، الوضع السياسي، الوضع

الاقتصادي: الزراعة، الصناعة، التجارة) . طرابلس (التسمية و الموقع، الأوضاع الاقتصادية: الزراعة، الصناعة، لتجارة).

أما الفصل الثاني

فتمثل في **جذور الحلف السياسي وتطور النسيج الديمغرافي بصحراء المغرب الإسلامي :**

فقد عالجت فيه الجغرافية التاريخية و البشرية لصحراء المغرب الإسلامي، إذ ضمَّنته تعريف القبيلة وأقسامها كما وجدت ضرورة إدراج العصبية القبلية وأنواعها فقد لعبت دورا بارزا في التكتل القبلي ، خاصة من باب الولاء و الحلف ، ثم تتبّعت جذور الحلف القبلي بالمناطق الصحراوية بالمغرب القديم إذ وجدت أهمية بمكان أن أدرج هذه الفترة لعلاقتها بالفترة المدروسة إذ يلاحظ استمرارية العداء والتكتل ومناصرة قبيل للآخر لأغراض شتى بالإضافة إلى محاولة توضيح كيفية تحول القبائل الصحراوية بالمغرب القديم والمتمثلة بالغرامنت و الجيتول و الموريين إلى قبائل البتر ثم إلى الحلف القبلي الزناتي وتطوره إلى القرن الرابع الهجري ، كما حاولت إبراز تطور النسيج الديموغرافي حيث عمدت إدراج أهم القبائل التي ساهمت في النشاط السياسي والاقتصادي من خلال التعريف بها وتحديد مضاربها معتمدين على مجموعة من المصادر الجغرافية كاليعقوبي والبكري وابن حوقل . أما من ناحية التصنيف فارتأيت تقسيمها حسب الواقع المعيشي ونمط الرعي والترحال فالقبائل التي كانت تجوب المناطق شبه الصحراوية و المتمثلة في الهضاب الداخلية و الجهات الرعوية جنوب الأطلس الكبير ، كبطون البتر وزناتة و تموضعها في المنطقة و تنقلاتها الموسمية، أما قبائل الصحراء ، فكانت نصيب صنهاجة الجنوب، أما القبائل العربية فقد تمركزت في الصحراء الشرقية .

أما الفصل الثالث

نماذج من التحالفات السياسية والمذهبية :

فقد تطرقت فيه للتحالفات القبلية ، وهنا كان لابد من التمهيد لموضوع التحالف السياسي والمذهبي بتبيان مدى تأثير المشرق على المغرب من ناحية التحولات

الإيديولوجية التي حلت به وأثرت بشكل مباشر على الأوضاع السياسية والمذهبية بالمغرب ، مما دفع بقبائل المنطقة إلى التكتل ومناصرة بعضها دفاعا عن مصالحها واثباتا لوجودها، مع تبيان الأطراف الفاعلة بهذا التحالف وأهم محرك لهذه الظاهرة .

نماذج من التحالفات السياسية والمذهبية :

- الحلف الزناتي الأموي.
- حركة محمد بن خزر ودوره في عقد التحالفات القبلية.
- التحالف الزناتي مع عامل الزاب الفاطمي (علي بن حمدون).
- التحالف الثلاثي (جعفر بن علي بن حمدون مع زناتة وأموي الأندلس).
- حركة أبي يزيد والتحالف الخارجي السني.
- أبو الركوة ودوره في التحالف الزناتي مع قبيلة بني قرة العربية.
- التحالف الصنهاجي الجنوبي .
- تحالف بنو غانية(بنو غانية وقراقوش والعرب) .

أما الفصل الرابع :

الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية للأحلاف القبلية:

إن التحالفات القبلية في تحالفاتها وتنظيماتها لم تكن تحت المعيار العصبي الذي حدد ابن خلدون فقط ، وإنما كانت على معايير أخرى كان أهمها التوافق المصلحي والاقتصادي والاجتماعي ، وهذا ما سوف نوضحه من خلال إبراز العلة من الأحلاف القبلية التي اختلف انتمائها السلالي ، من بتر وبرانس ، كما نوضح كيف أدت العوامل الطبيعية والغير الطبيعية في تفعيل هذه الظاهرة .

وقد أخذت نماذج ضمّنتها الفصل الرابع :

- دور اقتصاد الكفاف والندرة في إنتاج الأحلاف .
- دور الجوائح والأوبئة في ضعف الاقتصاد و إنتاج الأحلاف :
- أ : الجفاف،ب : الجراد ، ج: الحروب .
- التعسف الضريبي ودوره في إنتاج الأحلاف القبلية .
- التنافس القبلي حول السيطرة على المحطات التجارية وتأمين الطرق الصحراوية

- البعد الاجتماعي للأحلاف القبلية .

الخاتمة : وقد توجت الدراسة بخاتمة احتوت أهم النتائج التي خلصت إليها .

إن البحث في مجال التاريخ الاجتماعي الاقتصادي في الفترة الوسيطية يطرح مجموعة من العقبات تخص المصادر التي يرتكز عليها الباحث حيث يسجل غياب للكتب و المصنفات المتعلقة بالمجالات الاجتماعية و الاقتصادية لتاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، أو شبه كلي إذا تعلق الأمر بالقبائل و تفاصيل علاقاتها.

غير أن هذه العقبة لم تثنيني في الغور في هذه المجالات حيث اعتمدت على الكثير من المصادر و المراجع في حقيقة الأمر كانت جلها مكتوبة و مطبوعة.

لقد كان الإنتاج الجغرافي العربي القديم أهم مصدر مرجعي في بحثنا ،سواء كان مهتما بالتعريف بالأرض أو ما يخص الإنسان ، أو الطرق التجارية والمراكز والمدن .وكان لهذه المرجعية الجغرافية دور كبير في متابعة الوقائع الاجتماعية المباشرة ، وتكوين تصور شامل (للجسم الاجتماعي) المغربي في عصر دراستنا،وقد بدأ اهتمام الأدب الجغرافي العربي القديم ، ببلاد المغرب عموما منذ بداية ميلاد هذا الإنتاج ، الذي واكب إنتاج الأدب التاريخي الحولي المتخصص في التدوين الحدثي التاريخي ، والمميز في هذا الإنتاج هو واقعيته في الوصف وتوفره على مادة مهمة ، وجاءت مصداقية الأدب الجغرافي في البحث التاريخي المغربي خاصة من جانب الضبط الوثائقي الذي يمتاز به رغم الاختصار وشح أحيان في تقديم المعلومات وتذبذب المستوى الإحصائي نظرا لظاهرة التعميم عند الكثير من المصنفات

كما كان من العقبات في هذه الكتب هو عدم تغطيتها للمجال الجغرافي المغربي ، تغطية كاملة مكانيا وزمانيا وبشريا وانحصر الكثير منها في وصف طرق التجارة والمدن والمراكز الواقعة بها وفي هذا السياق اعتمدنا على مجموعة من المصادر منها:

كتاب البلدان :لليعقوبي :

أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت 284 هـ/ 897م) ، ويعد من أوائل الجغرافيين المسلمين الذين فسحوا المجال للمغرب الإسلامي من خلال كتابه البلدان ، وبذكره

مدن المغرب ووصفها ، وتتبع الطرق بينها ، وقد أفاد الدراسة خاصة لضمه معلومات تاريخية هامة لها علاقة بالقبائل ومواطن استقرارها ، وهو ما يؤكده من خلال مقدمة الكتاب ، معتمدا في ذلك عل روايات شفوية لمن لقيهم في طريق سيره وترحاله ، إضافة إلى ملاحظته الشخصية لأهم المناطق التي زارها.

المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب للبكري :

وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، وعلى الرغم من أن البكري لم يزر بلاد المغرب بل استقى مادته من خلال شهادات التجار والمسافرين المغاربة والوافدين إلى الأندلس ، إضافة أنه اعتمد على من سبقه في التصنيف حول هذه المناطق .

صورة الأرض لابن حوقل :

(ت بعد 367 هـ / 977 م) ويعد أحد أهم الجغرافيين الذين زاروا المغرب الإسلامي، فقد ذكر ووصف مدنه ، وتتبع الطرق الفاصلة بينها معتمدا في ذلك على ملاحظته أو على من نشأ بالمنطقة وهذا ما أعطى المادة الواردة لديه أهمية كبيرة بالنسبة لموضوع البحث خاصة وأنه أعطى مواطن تواجد القبائل مع تقديمه قائمة إحصائية بأهم القبائل الزناتية وغيرها بالإضافة إلى إنتمائها المذهبي وزعامتها السياسية ودورها فيما يخص التجارة خاصة الصحراوية منها ، كما يكاد ينفرد عن غيره من الجغرافيين الذين اعتمدت عليهم في البحث بتقديم معلومات فيما يخص السياسة المالية والضريبية للخلافة الفاطمية خلال القرن الرابع الهجري .

نزهة المشتاق للإدريسي :

تكمن أهمية الكتاب كونه وصف المناطق بالتفصيل فهو يصف" لبلاد والأرض في خلقها وبنائها وأماكنها وبحارها وجبالها ، ومسافاتها ، وأجناس نباتها ، والاستعمالات التي تستعمل بها والصناعات التي تتقن بها ، مع ذكر أحوال أهلها وهيئتهم ، ومللهم ومذاهبهم وزيهم وملابسهم .....فقد كان كتاب النزهة تقريرا مفصلا قدم لملك صقلية روجار الثاني ، بعد التنقلات الشخصية للإدريسي أما إفادته لدراسة كانت نصوصه المتعلقة بحركية القبائل البربرية ، ومشاركة القبائل العربية الوافدة (ق 5 هـ / 11 م) لهم في المواطن

كتب التاريخ العام :

تتميز كتب التاريخ العام بكونها تحفل بالأحداث السياسية و الوقائع العسكرية التي كان لها صدى على حركية القبيلة ودورها بالمنطقة ، فكثرة الفتن والحروب وغياب السياسة الأمنية خلال فترة البحث (ق 4هـ - 6 هـ /10م - 12م)كان له أثر كبير في خلخلت الخريطة البشرية والاجتماعية بالمنطقة فتارة تضطر القبائل خوض الحروب وتشكيل الأحلاف حتى تأمن وتارة أخرى تهجر أرضها إلى أماكن مستقرة وبعيدة عن الإضطهاد ، وهذا النوع من الحركية أحدث صراعات بين القبائل الوافدة والقبائل صاحبة الأرض بسبب مصادر المياه والأراضي الرعوية وخفارة القوافل وغيرها

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي :

هو من أهم مصادر تاريخ المغرب الإسلامي يؤرخ لفترة تمتد من الفتح الإسلامي إلى غاية عصر المؤلف وهو بداية القرن الثامن للهجرة مقسمة لعدة أجزاء .

إن اعتماد صاحب البيان المغرب على نظام الحوليات في سرد أهم الأحداث السياسية والعسكرية ساعدني كثيرا على تتبع الأحداث السياسية ومشاركة القبائل فيها خاصة وأن معلوماته دقيقة ومفصلة من الناحية السياسية والعسكرية مرتبة ترتيبا زمنيا

كتاب العبر لابن خلدون :

استفاد البحث من المصدر في أجزائه _ الرابع والسادس والسابع _ فيما يخص الأحداث السياسية نذكر منها الإضطرابات السياسية التي مست الجهة الشرقية من المغرب الإسلامي بالتحديد " الغزو الهلالي وتبعاته من فتن وحروب وتحالفات ، بالإضافة إلى توسعه في ذكر القبائل ومواطنها وأماكن استقرارها وتركيزه على العصبية القبلية ودورها في الأحداث السياسية والمذهبية .

وبما أن فترة البحث تبتدأ من القرن الرابع الهجري وهو عصر التوسع الشيعي بالمغرب فكان لابد من حضور مصادر التاريخ الفاطمي نذكر بعضها.

سيرة الأستاذ جوذر لأبي علي منصور الجوذري العزيزي :

وقد تضمن رسائل و أجوبة كانت بين الخلفاء الفاطميين الذين حكموا المغرب وخادمهم جوذر وأهم ما فيها تلك المتعلقة بإقليم الزاب وأميرها جعفر بن علي وعلاقته بالخليفة المعز.

افتتاح الدعوة للقاضي النعمان :

ويعد المؤرخ الرسمي لدولة الفاطمية أمين سرها فهو أكثر شخص على دراية بأحوال الأسرة الحاكمة والمطلع على أسرارها وأخبارها وقد كان حي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري ،وقد صنف كتابه الذي انتهى منه سنة 346هـ /950م المصدر الأوحد الأصلي فيما يخص بداية الدعوة الإسماعيلية ،ثم إنه كان معاصرا للأسرة التي حكمت المسيلة ،وما يزيد الكتاب أهمية تفرده بمعلومات تتعلق بأبي عبد الله محمد الأندلسي والدور الذي لعبه بين قبائل المغرب .

كما استفدت من كتاب

عيون الأخبار وفنون الأثار في فضائل الأئمة الأطهار لداعي إدريس عماد الدين القرشي

القسم الذي يؤرخ فيه للخلفاء الفاطميين بالمغرب ، وقد نقل هذا الأخير مادته المصدرية من عدة مؤلفات إسماعلية سابقة ،فهوا موسوعة لتاريخ الفاطمي ، ومن غير المستبعد أن القسم الذي خصصه الداعي إدريس لثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي ، نقله من كتاب مفقود

للقاضي النعمان والذي بدوره أرخ فيه لثورة أبي يزيد الخارجي وقد أشار إليه في كتاب افتتاح الدعوة ، وتكمن قيمة هذا المصنف " **عيون الأخبار** " في تغطيته لفترة الخلفاء الفاطميين الثلاثة عبد الله المهدي والقائم بأمر الله والمنصور وينفرد بمعلومات شاملة ومحددة خاصة عن حملة أبي القاسم الفاطمي إلى المغرب وتأسيس المسيلة وسيطرته مؤقتا على الزاب وترويض قبائله ، كما تحد عن ثورة أبي يزيد الخارجي وخصوصا الأحداث التي دارت بالقرب من المسيلة في عهد ولاية جعفر بن علي بن حمدون.

الفصل الأول

أنتربولوجية المنطقة

1- مصطلح الصحراء وتطوره.

2- المدن الصحراوية:

أ- اختيار المدن الصحراوية .

ب-نماذج من المدن الصحراوية.

1- سجلماسة (الموقع، المناخ، الوضع السياسي، النشاط الزراعي، النشاط الصناعي الطرق التجارية).

2- أوداغست (الموقع، الوضع السياسي، الوضع الاقتصادي).

3- ورجلان.

4- الزاب (أصل التسمية، الحدود الجغرافية، الوضع السياسي، النشاط الزراعي الصناعة، الطرق التجارية)

5- بلاد الجريد :

أ- قفصة (الموقع، الوضع السياسي، النشاط الزراعي، الصناعة).

ب-قابس (الموقع و التسمية، الوضع السياسي، النشاط الزراعي، النشاط الصناعي) .

ت-نفزاوة (الموقع الجغرافي، الوضع السياسي، الوضع الاقتصادي، الصناعة المسالك التجارية) .

6- برقة (التسمية و الموقع، الوضع السياسي، الوضع الاقتصادي: الزراعة الصناعة، التجارة) .

7- طرابلس (التسمية و الموقع، الأوضاع الاقتصادية: الزراعة، الصناعة، التجارة).

من المعروف ارتباط الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي وتأثر جانب في أخر يقول "لوسيان فيفر" في كتابه الأرض و التطور البشري " الحق أن التاريخ السياسي و التاريخ الاقتصادي و التاريخ الاجتماعي مرتبط ببعضه البعض الآخر تمام الترابط.

فلا يمكن أن يكون ثمة جغرافية تاريخية دون جغرافية اجتماعية و لا جغرافية اجتماعية دون جغرافية اقتصادية و لا جغرافية اقتصادية دون جغرافية طبيعية فهذه جميعها سلسلة متماسكة الحلقات"[1] فالأسرة و العشيرة و القبيلة و المدينة و المجتمع إجمالا يصعب تفسير و فهم أثرها و مؤثراتها دون ربطها بالأرض و البيئة المنتمية إليها. فالإنسان المغاربي صنع تاريخه الاجتماعي و السياسي بتأثير عمق جغرافيته.

و تحليل هذا المجتمع، يبين أثر الجغرافية الجهوية في المجموعات البشرية فالأسرة و العشيرة و القبيلة و المدينة و المجتمع كله لا يمكن تصورها و لا يتأتى فهمها و لا تحليل نموها من دون ربطها بمحليتها[2] فالإنسان ابن بيئته.

لقد بقيت الصحراء مكونا له بعد مستقل في مدونات مؤرخي المغرب و تأسيسا على هذه المصادر يهدف البحث إلى قراءة تلك المادة التاريخية من أجل إبراز ما تهدف إليه الدراسة في الحديث عن التحالف القبلي من خلال مصادر العصر الوسيط، و في محاولة الكشف عن دور الإنسان في المجال السياسي لصحراء.

1مصطلح الصحراء وتطوره :

الصحراء لغة هي أرض فضاء واسعة فقيرة الماء جمعها صحارى ، ويقال أصحر المكان أي اتسع ، وصحر أو اصحر الشيئ إذ اشرب لونه حمرة خفيفة [3]

ولقد أشار هيرودوت الى رياحها الحارة القاتلة ، لكنه لم يسمها باسمها وقد وصف رمالها وواحات نخيلها ، ورأى فيها امتداد للأراضي الليبية كما أشار للأثيوبيين قاطني منطقة التبستي الحالية وبالتالي عمق الصحراء ، واستخدم بطليموس في القرن الثاني

---

[1] لوسيان فيفر، الأرض و التطور البشري، ترجمة د: محمد السيد غلاب، طبعة دار المطبوعات الجديدة، القاهرة 1973ص : 128.

[2] – هاشم العلوي القاسمي ، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع هجري، ج : 1, مطبعة, فضالة المغرب 1995، ص : 58.

[3] – عطية شعبان (عبد العاطي) وآخرون، المعجم الوسيط ط4 ،مجمع اللغة العربية ومكتبة الشروق الدولية ،القاهرة 2004 ، ص : 508 .

الميلادي كلمة " ليبيا " على المنطقة جنوب مدار السرطان .[1] كما استعمل اليعقوبي كلمة الصحراء ليعني بها المقبرة التي يدفن فيها الناس موتاهم [2] وفي الفترة نفسها ظهرت في كتاب فتوح إفريقيا والأندلس للجغرافي المصري ابن عبد الحكم لتعني للأول مرة جزء من الشمال الإفريقي .[3] وقد كان ابن حوقل من أوائل الجغرافيين العرب الذين ارتادوا جزءا من هذا الطريق الصحراوي في منتصف القرن العاشر للميلاد وخلف لنا وصفا عنه ، كثيرا ما تردد في المصادر اللاحقة ، ومما جاء في وصفه " وبين المغرب وبلاد السودان مفاوز وبراري منقطعة قليلة المياه متعذرة المراعي ، لا تسلك إلا في الشتاء [4] وسالكها في حينه متصل السفر دائم الورود والصدور"[5] بينما أطلق الإدريسي لفظ صحراء سنة 1154 م على النطاق الشاسع الواقع بين سلسلة الأطلس الصحراوي شمالا وبلاد الزنج جنوبا وفزان شرقا ومملكة صنهاجة غربا[6] وقد استطاع الجغرافي الإدريسي بحسه الجغرافي المعهود أن يلتقط صورة حية عن صحراء نيسر وكيفية إختراقها في منتصف القرن الثاني عشر للميلاد .ومما جاء في وصفه لها " وهي 14 يوما لا يوجد فيها ماء .وفي هذه الصحراء المعروفة بصحراء نيسر حيات كثيرة طوال القدود غلاظ الأجسام[7]..وهذه

[1] – جمال الدين الديناصوري وآخرون ، جغرافية العالم ، ج : 2 . إفريقيا وأستراليا ، ا لقاهرة ، المكتبة الأنجلومصرية 1986 ، ص ص : 187 ، 188 ، 250 .

[2] – أحمد بن إسحاق اليعقوبي ، البلدان ، تح : محمد أمين الضناوي ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية 2002 ص : 103 .

[3] – عبد الرحمن بن عبد الحكم ، فتوح إفريقيا والأندلس ، تح : عبد الله أنيس الطباع ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني 1987 ، ص : 98 .

[4] المقصود وقت تساقط المطر أي لا يقتصر الأمر على فصل الشتاء فقط وإنما يمكن أن تسير القوافل في فصل الخريف حيث تزداد كمية تساقط الأمطار .

[5] ابن حوقل أبو القاسم النصيبي ، صورة الأرض، دار صادر ، بيروت ، 1938م ، ص : 100 .

[6] أبو عبد الله الشريف الإدريسي ، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس ، مقتبس من كتابه نزهة المشتاق ، تحقيق وتقديم وتعليق : اسماعيل العربي ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية 1983 ، ص ص : 87 ، 103 .

[7] كانت الحيات والثعابين تشكل تهديدا خطيرا على حياة المجتازين للصحراء .ابي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، تح :اسماعيل العربي منشورات المكتب التجاري لطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ، ط/1 ، 1970، ص : 112 ، 114 .

الصحراء يسلكها المسافرون في زمان الخريف [1] وصفة السير بها أنهم يوقرون أجمالهم في السحر الأخير ويمشون إلى أن تطلع الشمس ويكثر نورها في الجو ويشتد الحر على الأرض، فيحطون أجمالهم ويقيّدونها ويغرسون أمتعتهم ويخيمون على أنفسهم ظلالا تكنهم من حر الهجير وسموم القائلة، هكذا سفر التجار الداخلين إلى بلاد السودان على هذا الترتيب لا يفارقونه لأن الشمس تقتل بحرها من تعرض للمشي في القائلة عند شدة القيظ وحرارة الأرض " [2]أما ابن بطوطة فسجل لنا بعض ذكرياته عن الطريق الصحراوي الذي أخذه من سجلماسة إلى ولاتة[3] أما حسن الوزان نجده قد أعاد بعث اسم ليبيا قديما وقدم بعض الوصف لصحراء صنهاجة [4]

و الصحراء الكبرى هي أوسع صحاري العالم حيث تمتد شرقا من البحر الأحمر عبر النيل حتى المحيط الأطلسي غربا، و من الجنوب إلى الشمال بين بلدان افريقيا الشمالية و بلاد السودان و حدود الصحراء من الشمال غير واضحة المعالم[5]، وقد حاول بعض الباحثين وضع تحديد تقريبي حيث ذكر أنها تمتد من ليبيا شرقا إلى المغرب الأقصى و موريتانيا غربا، حدها الشمالي على السفوح الجنوبية للسلسلة الأطلسية من أغادير على المحيط حتى خليج قابس، مارة بواحات فجيج الأغواط و بسكرة و قفصة حتى خليج سرت على مياه البحر الأبيض المتوسط.

تشغل الجبال مساحات قليلة من سطحها مثل مرتفعات تبستي في ليبيا و جبل الأخضر و جبل نفوسة و أما الهضاب فتحتل الجزء الشمالي من الصحراء إلى الجنوب من السلسلة الأطلسية كما توجد هضاب الحمادة في ليبيا و هناك هضاب أكثر ارتفاعا منها الطاسيلي أكثر من 2000 م، التي تقطع سطحها بواسطة الأودية العميقة، كما

---

[1] كما يذكر الإدريسي إن شدة الحر هي سبب سفر التجار في فصل الخريف ، الإدريسي ، نزهة المشتاق ، المصدر السابق ، ص : 31 ، 32 .

[2] الإدريسي ، نزهة المشتاق ، المصدر السابق ، ص : 31 ، 32 .

[3] ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ج :2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1985 ص : 773 ، 776 .

[4]حسن الوزان (ليون الإفريقي) ، وصف إفريقيا ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ط : 2 ، 1983 ، ص : 148 .

[5]– مقدم مبروك مقدم، نشأة القصور و عمارة الأرض بمناطق توات و أحوازها، ديوان المطبوعات الجامعية، 2016، الجزائر، ص : 16.

تشغل السهول و المنخفضات مساحات شاسعة منها و تشمل المظاهر الطبيعية كسهول الرق و هي خالية من مظاهر الحياة و لكنها صالحة للمواصلات أما العرق فيتمثل في عرق مزرق بليبيا، و العرق الشرقي الكبير و العرق الغربي الكبير[1] بالجزائر كما تمتد الكثبان الرملية في جهات عديدة منها موريتانيا، وقد تصبح الكثبان على شكل أشرطة متوازية، تتخللها معابر تجعل العبور و السير ممكنا.

تلتقي الأشرطة الكثبانية و ينشأ عنها أهرامات رملية عالية تدعى بالغرود، و هذه المناطق يحبذها الرعاة الرحل لأن الرمال تسمح بتسرب مياه الأمطار[2].

و العرق من أبرز المعالم التضاريسية بالمغرب، يمتد جنوب سلسلة الأطلس و الذي يمثل حدود المغرب جهة القبلة و الجنوب و الذي يبدأ من المحيط ذهابا باتجاه الشرق إلى مصر تتخلله في جهة المغرب الأوسط أرض صخرية تعرف بـ " الحمادة"[3] و ما بين العرق و سلسلة الأطلس صحاري شاسعة تتخللها الواحات الخضراء المتوفرة على مياه كافية لقيام نشاط زراعي مما جعلها تشتهر فعلا ببلاد الواحات أو بلاد الجريد[4].

أما السمة الغالبة على مناخها الصحراوي الحار أي المداري الجاف الذي يتسم بقلة الأمطار و بانعدامها أحيانا [5]، و هو ما يعكس على قلة الغطاء النباتي. في هذا الأمر يذهب ابن خلدون إلى تبيان الاختلاف القائم بين المناخين اللذين سادا موطنه، علاوة على التدرج الواقع بينهما، فهو يحدد نمطين يصف الأول منهما بـ " مزاج التلال"، و

[1] – سلاسل من الكثبان الرملية تمتد من بني عباس بأقصى الجنوب الغربي حتى هضبة المنيعة شرقا وعرق الشيخ وعرق أقدي بالحدود الجزائرية الموريطانية ،فيحيط بالحافة اليسرى لوادي الساورة ، ويواصل امتداده إلى غاية حواف هضبة ميزاب شمالا وكتلة تادميت جنوبا متخذا شكل هلال ، بينما تبلغ مساحته 80000كلم مربع . محمد عبد المنعم الشرقاوي ومحمد محمود الصياد ،ملامح المغرب العربي ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، 1959 م ،ص: 24.

[2]– إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى و شواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب (د ط)، الجزائر، ص ص 15،14. المعهد التربوي، جغرافية الجزائر و المغرب العربي (الجزائر 1982–1983) ص ص : 24 ، 25.

[3]– هناك أكثر من منطقة عرفت بالحمادة ففي شرق سجلماسة تمتد حمادة كبيرة على الحدود الجزائرية و في جنوبها حمادة الدوارة في شمالها ناحية بوذنب التي تتصل بالمغرب ناحية الشرق، كما توجد هضاب الحمادة في ليبيا. المعهد التربوي، جغرافية الجزائر ، المرجع السابق ، ص: 25.

[4]– مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985 ، ص : 147.

[5] – اسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص : 15 .

الثاني بـ " مزاج الصحراء" و يعني بالأول مناخ البحر الأبيض المتوسط، و يقصد بالثاني المناخ المداري الجاف مثلا المنطقة التي تضم السفوح الجنوبية لجبال الأطلس و بلاد الجريدو العرق و بطبيعة الحال فإن ذلك الوصف يأخذ بعين الاعتبار هواء الرقعتين و ماءها و نباتها فضلا عن ذلك فإن جريان الأنهار المتجهة جنوبا إلى الصحراء قد أسهم في قيام الواحات التي أصبحت تجمعات سكانية كما الحال عند نهر غير ووادي مية وأغراغر الذي قامت حولها قصور كوركلان والتي بدورها دعمت اقتصادها باستغلال وفرة المياه [1] . فنشطت الزراعة بها وتنوعت منتجاتها ويرى مختار حساني في هذا الشأن أن: " اقتصاد ورجلان لم يكن مقتصرا على التجارة فقط ، بل شمل الزراعة ، فالنصوص التاريخية تشير إلى استغلال السكان للمياه الجوفية بالرغم بعدها من سطح الأرض ، فإنهم بذلوا جهودا كبيرة للاستفادة منها ، فقد اشتهرت ورجلان بزراعة النخيل والحمضيات والفواكه والخضر التي كانت تزرع الى جوار أشجار النخيل."[2]و تسابيت و تيكوراريين و غيرها كثير، و قد بلغت تلك القصور حول كل نهر أكثر من ثلاثمئة و قد شجعت تلك القصور الكثير من التجار على الاستقرار بوصفها بوابات لدخول بلاد السودان يذكر محمد الطمار[3] في هذا الشأن أن " وارجلان بقيت سوق تجارة حتى بعد انقراض الدولة الرستمية حيث كانت القوافل تغشى السودان بسلعها المختلفة ."فوركلان الذي كان في العصر الوسيط بابا لولوج السفر من الزاب إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان.

كما أن تلك القصور أصبحت مراكز منتجة للفواكه و خاصة التمور منها حتى باتت مصدرا للسودان، ذكر الإدريسي في هذا الشأن :" وليس في بلاد السودان شيئ من الفواكه الرطبة إلا ما يجلب إليها من التمر من بلاد سجلماسة أو بلاد الزاب ، يجلبه إليهم

[1] – فحيث الأمطار يمكن الزراعة أن تثمر، وهناك حيث تستغل المياه الجوفية يمكن زراعة النخيل وبعض الأشجار ذوات الفواكه وبعض الخضروات كما هو الشأن في واحات الصحراء . ألفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، تر: عبد الرحمان بدوي ، دار الغرب الإسلامي ن بيروت , لبنان , 1987 م , ص : 40.

[2] – حساني مختار ، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ، ج : 2 ، دار الحكمة الجزائر 2007 م ، ص : 189 .

[3] – محمد الطمار ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1983 م ص : 97 .

أهل ورقلان الصحراء ." [1] قال ابن خلدون: " فواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب" .

2 – المدن الصحراوية :

تعد المدن الصحراوية بشكل أساسي وليدة الواحة ، هذه الرابطة بين المدن و الواحة قديمة ، فالواحة القديمة لم تنشأ على شكل استغلالي أو استثماري بل كانت كحلقة ربط بين مجموعة واحات حيث شكلت شبكة في مجال العلاقات العامة خاصة التجارية منها.

أ- اختيار موضع المدن الصحراوية أو الواحية:

تتعدد المحددات الجغرافية لاختيار مواضع المدن و تبعا لبعض الاعتبارات التي وضعها عدد من الجغرافيين و الإخباريين العرب فإن المبادئ الأساسية التي يجب مراعاتها عند اختيار مواقع المدن هي سعة المياه المستعذبة. إمكان الميرة المستمدة اعتدال المكان ووجود الهواء، القرب من المرعى، و الاحتطاب، تحصين منازلها من الأعداء ، أن يحيط بها سور يعين أهله أو يحميهم [2]. بالإضافة إلى عنصر مهم على الإطلاق هو مستوى التقارب بين الطرق التجارية و إمكانية التواصل السهل مع المدن المجاورة الواقعة في خط التواصل القوافلي.

و على هذا الخط القوافلي كانت أشهر المدن الواحية و التي سنشير إليها بشيء من التوضيح ،ثم يلي دور الماء إذ لا يمكن أو حتى يستحيل وجود مدن بدون ماء و هذه نظرية عالمية لا تنطبق على المدن الإسلامية أو العربية على حسب رواية أو نظرية " كارل وايت فوجل"[3].

---

[1] الشريف الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، ص : 3 .

[2]- ابن أبي الربيع شهاب الدين أحمد بن محمد، سلوك المالك في تدبير الممالك، دراسة و تحقيق، ناجي التكريتي، بيروت منشورات تراث عمويدات، ط1، 1978، ص: 110.

[3]- تذكر هذه النظرية أن نشأة المدينة ارتبطت بالحاجة إلى تنظيم استغلال الماء، و تنظيم أعمال الري، و قيام مشروعاته التي تحتاج بدورها إلى إدارة تنظم هذه الأعمال و على قيام إنشاءات لاستغلال الماء في الزراعة، و قد تعززت هذه النظرية بنشأة الحضارات القديمة في أحواض الأنهار في الصين و العراق و مصر. محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية سلسلة عالم المعرفة، ع 128 ذو الحجة 1408 هـ/1988 م، ص :17.

يذكر أحد الباحثين[1] أن كلمة مدينة ترجع في الأصل إلى كلمة " دين" و أن لهذه الكلمة بهذا المعنى أصلا في الآرامية و العربية أي أنها ذات أصل سامي و عرفت المدينة عند الآكديين و الآشوريين بالدين أي القانون. كما أن الديان يقصد بها في اللغة الآرامية و العبرية " القاضي" و إضافة إلى ذلك فإن مصدرها في الآرامية " مدينتنا" و تعني " القضاء".

و المدينة في التعريف العربي هي مواضع وجود القضاء أو سلطة التقاضي و الحكم، و تتدرج تبعا لأهميتها من مصر إلى قرية و الظاهر أن المدن في الحضارة الإسلامية كانت تصنف حسب آدم ميتز[2] إلى أمصار و هي البلاد حيث مقر الحاكم ثم القصبات و هي عواصم الأقاليم فالنواحي و القرى و هي الملحقة بالمدن. و في نفس السياق يذكر المقدسي تدرج المركز الحضرية من الكبيرة إلى الصغيرة بقوله " أعلم أنا جعلنا الأمصار و القصبات و المدن كالجند و القرى كالرجالة"[3].

ب-نماذج من المدن الصحراوية:

إن دراسة المعطيات الديمغرافية والسياسية والاقتصادية لتأسيس المدن ، ثم التعرف على مراحل تطورها العمراني، وإلى الحياة الاقتصاديةوالاجتماعية وإلى مسالكها، وعلاقاتها التجارية، وإلى عناصر سكانها توضح لنا علاقة التأثير والتأثر و الاندماج والتمرد وتربط بين هاته وتلك علاقة المصلحة .

وتزداد دراسة هذه العلاقة، والتعرف على مميزاتها أهمية في مجتمع يطغى عليه الطابع القبلي،وقد حافظ على الهياكل الاقتصادية والاجتماعية لمجتمع القبيلة ، ولكن تحولا بطيئا بدأ يدب في هذه الهياكل نتيجة تطور المسالك ، وازدهار مدن تجارية وتنافس

---

[1]- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، ع128، ذو الحجة 1408 ، 1988، ص: 17.

[2]- ميتز آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، بيروت، دار الكتاب العربين ط5 سنة 2000م، ص: 268.

[3]- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تقديم و فهرسة، محمد مخزوم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1957، ص 54.

قوى كبرى بدلت النفس والنفيس من أجل بسط نفوذها على المنطقة والهدف بالطبع كان ذهب السودان والرقيق تحت غطاء الصراع المذهبي .

1 سجلماسة :

تندرج سجلماسة فيما تسميه المصادر ببلاد القبلة و هو اصطلاح عام و سجلماسة حسب الجغرافيين العرب تضم الواحات الممتدة على طول وادي زيز.

يذكر ابن سعيد في هذا الصدد: " و إليها خمسة أيام في العمائر و الخيرات ثم يصب نهر زيز في نهر ملوية الذي يصب في بحر الرومان"[1].

أما حدودها فقد اشتملت على مناطق درعة كما ضمت كل المناطق الشمالية جنوب الأطلس الكبير في جنوب المغرب الأقصى و امتدت جنوبا إلى قلب الصحراء مما جعل رقعتها واسعة قدرها أبو الفداء " بأربعين ميلا"[2]. و قد ذكر أحد الباحثين أنه لا يمكن تحديد المسافة التي كان يمثل عليها إقليم سجلماسة في العصر الوسيط اعتمادا على رواية الوزان و الذين سبقوه من الجغرافيين العرب , لأن اهتمام هؤلاء اقتصر فقط على المناطق الشمالية لمدينة سجلماسة دون المناطق الواقعة إلى الجنوب أو الشرق أو الغرب منها على اعتبار أنها من مجالات الصحراء، فقد ذكر البكري أن سجلماسة ليس في قبلها و لا غربها عمران[3].

أ- الجانب السياسي:

من المعلوم عند منتصف القرن الأول الهجري، تدرج المسلمون في داخل الصحراء الغربية حتى وصل عقبة بن نافع إلى بلاد السوس بأقصى المغرب، فتح فيها المغرب من أدناه إلى أقصاه. فكان أول قائد إسلامي تطأ قدماه هذه المناطق. يذكر ابن عذارى: " لم

1- ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا ، المصدر السابق، ص : 124.

2- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير،ج : 3 ،، مطبعة عيسى البابلي، مصر ، ط1 ، 1964، ص 445 ، 446 .

3- حسن حافظي العلوي، سجلماسة و إقليمها في القرن 8 الهجري/14 ميلادي، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية بالمغرب سنة 1418 هـ/1997 م. أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1) ،2003. ص : 25 ، 26 .

يدخل المغرب الأقصى أحد من ولاة بني أمية بالمشرق إلا عقبة بن نافع الفهري"[1].و قد وصل هذا الأخير إلى سجلماسة سنة 62 هـ و دعا أهلها إلى الإسلام لكن المنطقة و الكثير من أهالي المغرب لم يثبتوا على الإسلام حتى عهد موسى بن نصير فقد كان ارتدادهم كثيرا حتى جاء موسى بن نصير و رسخ الإسلام فيهم، يذكر عبد الرحمن ابن خلدون " إن البربر ارتدوا اثنى عشر مرة و لم يشهر إسلامهم حتى أجاز طارق ابن زياد و موسى بن النصير إلى الأندلس و معهما الكثير من رجالات البربر برسم الجهاد، فحينئذ استقر الإسلام بالمغرب و اذعن البربر لحكم موسى بن النصير"[2].

اتفقت الروايات على أن تأسيس سجلماسة كانت سنة 140 هـ/757 م، على أيدي قبيلة مكناسة الصفرية و قد شيدت على مسيرة مائتي ميل جنوب شرق فاس، على تخوم الصحراء على الشاطئ الأيسر لوادي زيز و أصبحت سجلماسة المستحدثة هي العاصمة و بدأت تنمو سريعا بفضل استقرارها السياسي و نشاطها التجاري و عاشت في تفاعل مستمر مع محيطها السياسي و الاقتصادي متحدية كل الظروف التي واجهتها[3].

أما من حيث المناخ, فإن فصل الصيف تشتد فيه الحرارة، و يكثر الغبار إلى حد يسبب التهاب العيون، فغالبا العمش الذي يصيبهم نتيجة الحرارة أما الشتاء فهو شديد الرطوبة كثيرا ما يسبب الأمراض، أما بقية فصول السنة فالمناخ معتدل، فمناخ[4] إقليم سجلماسة ينتمي إلى المناخ الصحراوي الجاف، فقد ذكر المقدسي في القرن الرابع الهجريالعاشر ميلادي أن سجلماسة شديدة الحر و البرد جميعا صحيحة الهواء. و هذه

---

[1]– ابن عذارى، المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، دار الثقافة، لبيضاء، 1985م، ج:1، ص: 37.

[2]– ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط : 1 ، 2011م ،ج:3، ص: 127.

[3]– ذكرت الروايات التاريخية أن أبو القاسم سمكو كان من أنصار مسيرة السفاء و ميسرة . أخذ العلم من عكرمة مولى ابن العباس حتى أصبح من علماء البربر، ثم استجاب لآراء الخوارج حيث وجدها ملائمة لتوجهاته، ترك أبو القاسم القيروان و اتجه إلى إحدى واحات الصحراء المغربية الجنوبية و أسس امارة صفوية مستغلا الأوضاع السياسية التي كان المغرب يمر بها. ابن خلدون، العبر، ج:3، ص: 329.

[4]– الحميري، الروض المعطار، ، مكتبة لبنان، بيروت، ط3 ،1984م ، ص : 206، الحسن الوزان ،وصف افريقياص: 306.

هي خصائص المناخ القاري، و قد أشار ابن حوقل الذي زار سجلماسة في القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي، إلى أن هذه المدينة " على نهر, يزيد في الصيف كزيادة النيل و يفهم من كلامه أن نهر زيز كان يعرف ارتفاعا في منسوب مياهه خلال فصل الصيف و هي ظاهرة غريبة بالنظر لخصائص المناخ في هذه المنطقة التي تتسم بالجفاف و كثرة الحرارة في هذا الفصل من السنة بالذات، وقد فسر بعض الباحثين أن الأمر يعود إلى ذوبان الثلوج المتراكمة في المناطق المرتفعة الواقعة إلى الشمال من إقليم سجلماسة حيث منابع وادي زيز[1].

و أشار البكري في القرن الخامس الهجري ,الحادي عشر الميلادي، إلى أن الزراعة بسجلماسة تعتمد على مياه النهر الذي يخترق مجالاتها، و يظهر ذلك من قوله " و شرب زرعهم من النهر في حياض كحياض البساتين"[2]، و هو ما أشار إليه القلقشندي بقوله إن سجلماسة كثيرة العمارة... على نهر كثير المياه... و يزرع على مائه كما يزرع على ماء النيل و الزرع فيه كثير الإصابة و المطر عندهم قليل فإذا كانت السنة كثيرة الأمطار نبت لهم ما حصدوه في العام القادم من غير بذر[3].

ب- النشاط الزراعي:

يذكر الإدريسي " و يزرعون بمائه حسب ما يزرع فلاحو مصر و لزراعتهم إصابة كثيرة"[4]، و يقصد الإدريسي بمائه هنا نهر زيز حيث شبه زراعتهم على حواف هذا النهر بالمصريين مع نهر النيل، فلا توجد في سجلماسة أراض خصبة سواء الأراضي المحادية له و بعض البساتين، أما الأراضي المحيطة بالمدينة فهي صحراوية قليلة الأمطارلا تسير فيها زراعة الحبوب بأنواعها باستثناء المنطقة المذكورة آنفا، حيث خصوبة التربة السوداء

---

[1]- حسن حافظ العلوي، إقليم سجلماسة، المرجع السابق، ص: 44.

[2]- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ج5:، ص :164.

[3]- ذكر الجغرافيون المسلمون أن السبب في ذلك يعود إلى أن البلدة شديدة الحرارة و أن تربتها طينية متشققة، فإذا نضج الزرع تناثر و دخل في تلك الشقوق فإذا كان العام التالي و غمرتها مياه النهر حرج الزرع بلا بذر، و كذلك في العام الثالث و لكن الإنتاج لا يكون قمحا إذا كان المزروع قمحا، إنما يكون حب صلب المكسر وسط بين القمح و الشعير سمي السلت، . الادريسي، ج1، ص: 365.

[4]- الإدريسي ، نزهة المشتاق ، المصدر السابق ج :1 ،ص : 365.

التي تلائم زراعة هذه الحبوب الغذائية[1]، كما يتضح مما سبق أن الوسط الطبيعي لإقليم سجلماسة هيأ جميع العوامل الملائمة لنمو أشجار النخيل و هذا ما جعل هذه المناطق مجالا لانتشار هذه المغروسات على نطاق واسع في العصر الوسيط، فقد أشارت المصادر الجغرافية إلى جودة تمور سجلماسة و أهميتها في حياة السكان علاوة على الدور الذي لعبته في تجارة الصحراء كسلعة للتبادل في الأسواق السودانية.

ت- النشاط الصناعي:

من المعلوم أن العمران الحضري يؤدي لا محال إلى تطور الحرف , و الصناعات بكل أنواعها و بالتالي تسود المجتمع حياة الترف , و الرفاهية على عكس العمران البدوي البسيط في كل مجالاته فهو لا يستحق من الصناعة إلا ما هو متواضع و بسيط يسدي الحاجة و يغطي المطلوب خاصة من ناحية التجارة و الحدادة[2].

لم ينحصر نشاط سلجماسة على المجال الزراعي بل تعداه إلى غير ذلك فمع نهاية القرن الثاني للهجرة أصبحت المدينة مركزا تجاريا و مهما قد صاحب تطورها العمراني تطور في حرف كثيرة كان أبرزها الصناعة[3].

و أهم ما كان يصنع النسيج و الصوف، و قد وجدت هذه الأخيرة رواجا و طلبا متزايدا على الملبوسات الصوفية و القطنية مما دفع بأهل هذه الحرفإلى استيراد القطن الإشبيلي و قد تفننت نساء سجلماسة في صناعة ألبسة الصوف و القطن[4].

يشير ابن الخطيب إلى ذلك: " لنساء سلجماسة يد ماهرة في صناعة غزل الصوف فهن يعملن منه كل حسن بديع من الأزر التي تفوق القصب الذي بمصر و يبلغ ثمن

---

[1]- الإدريسي ، نزهة المشتاق ، المصدر السابق ج :1 ،ص : 365.

[2]- الحبيب الجنحاني, المغرب الإسلامي, الحياة الاقتصادية و الاجتماعية , الدار التونسية للنشر و التوزيع، تونس ,2001، ص :164.

[3]- سعد زغلول عبد الحميد, تاريخ المغرب العربي,منشأة المعارف, الإسكندرية, 1979, ج1، ص : 104.

[4]- الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 95. الشناوي و آخرون، دائرة المعارف الإسلامية، ج:11ص: 300.

الإزار خمسة و ثلاثين دينارا أو أكثر" .و يضيف القزويني " و يعملن غفارات[1] مصبوغة بألوان مختلفة، يبلغ ثمنها مثل الأزر" ، كما كان للمعادن دور في رواج الصناعة مثل صناعة الأساور و الخواتم و الحلى الذهبية و الفضية، و بعض الأواني النحاسية و الفضية أيضا. بالإضافة إلى أنواع مختلفة من الأسلحة (سيف، و درع، الرمح) وسائل خاصة بالزراعة و بعض الصناعات الخشبية و الخاصة بأثاث المنزل و غيره و أهم ما كان في هذه الصناعات تمثل في العملة النقدية من ذهب و فضة[2].

ث- الطرق التجارية:

لقد لعبت سجلماسة دور الوسيط في التجارة الخارجية حيث أصبحت من أكبر المراكز التجارية في بلاد المغرب في العصر الوسيط، حيث أن جل القوافل التجارية القادمة من أقطاب البلاد تمر بسجلماسة و عند عودتها تمر أيضا بها فحركة القوافل لا تنقطع عنها طول العام , وهذه أبرزها :

1- طريق يخرج من واحات مصر إلى برقة، فطرابلس فبلاد الجريد، ثم قفصة فالقيروان، فقسطيلية، ثم بلاد الزاب و منها إلى تهرت فتلمسان، فوجدة إلى سجلماسة[3].

2- طريق يخرج من بلاد الجريد جنوب تونس إلى ورجلان ثم إلى غدامس و منها إلى سجلماسة.

3- طريق آخر يخرج من طرابلس الغرب و يمر عبر فزان و ينتهي عند سجلماسة[4].

---

[1]- غفارات مفردها غفارة: عبارة عن قطعة من القماش تغطي بها المرأة رأسها. ، إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر ،عطية الصوالحي ، محمد خلف الله أحمد المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ج:3، مكتبة الشروق الدولية ط : 4 ، 2004 ص: 656.

[2]- الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص 142. حورية عبد السلام، علاقات مصر ببلاد المغرب العربي من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية،رسالة ماجستير تحت إشراف حسن أحمد محمود، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1974، ص: 142.

[3]-الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان،1397هـ، 1977، ج:4، ص :383. المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتاب، البيضاء، 1978، ج3، ص: 443 .

[4]-سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ، منشأة المعارف الإسكندرية ، 1979 م ، ج1 ، ص: 77،74.

4- طريق صحراوي يخرج من واحات مصر إلى واحة برقة إلى فزان ثم إلى زويلة[1]فورجلان و ينتهي عند سجلماسة[2].

5- طريق يخرج من القيروان و يمر بورجلان و ينتهي عند سجلماسة قدر طول هذا الطريق بشهرين[3].

6- طريق يخرج من آغمات و يمر عبر وادي درعة و ينتهي عند سجلماسة، مسافة هذا الطريق ثماني مراحل، و الماء متوفر في هذا الطريق و يوجد على مسافة يومينأو ثلاثة من وادي درعة[4].

ج- طرق تنطلق من بلاد المغرب إلى السودان الغربي

1- طريق يخرج من أقصى الغرب على ساحل المحيط الأطلسي عند أوليل، و تقطع القوافل هذه الرحلة في شهرين[5].

2- طريق يخرج من تامدلت، و يمر بأودية كثيرة، إلا أن القوافل تتعرض للنهب من قبيلة لمطة[6].

3- طريق يخرج من درعة و يصل إلى بلاد السودان الغربي في أقل من شهر بالرغم من قصر هذا الطريق إلا أنه غير مطروق لعدم توفر المياه.

4- طريق يخرج من سجلماسة و يمر بأرض مسوفة ثم تسير القوافل إلى تفازتو تصلها بعد شهرين لمرحلة و منها إلى غانة حيث تصلها بعد شهرين[7].

---

[1]- زويلة فتح الزاي، و كسر الواو، و يكون الياء ثم لام و هاء، إسم لمدينتين بينهما رمية حجر إحداهما افتتحها المسلمون و صارت قاعدة بلاد فزان بها مساجد و أسواق عامرة، و الأخرى بناها المهدي عبيد الله و سماها المهدية. 147، ياقوت الحموي، المعجم، ج:2، ص 159,160.

[2]- رغم ما يوصف هذا الطريق بأنه صحراوي إلا أن الأمر أيسر من ذلك فمنابع المياه و الواحات منتشرة بالطريق و بفضلها استطاعت القوافل السير بيسر. سعد زغلول، المرجع السابق، ج:1، ص: 77،74.

[3]- ابن حوقل صورة الأرض، ص : 91.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص :91.

[5]- يقوت الحموي، المصدر السابق، ص: 383.

[6]- ابن خلدون، العبر، ج:6، ص: 382.

[7]- البكري، المصدر السابق، ص: 149.

من خلال ما ورد حول هذه المدينة يتضح أن غزارة المياه من أودية وينابيع وعيون جعلت القبائل الرحل على مختلف انتمائها والمسافرين والتجار من كل أصقاع الأرض يستطيعون الإقامة في ذلك البراح الذي تحيط به السهول والسباخ فقد شكل ايضا مرعى ثري للإبل مما أتاح للقبائل البدوية الاستقرار بالمنطقة وقد حوّل المكناسيون المكان إلى مركز حيوي مزدهر بفضل مسالكها التجارية المفضيةإلى بلاد السودان" الذهب والرقيق"

وقد دفع هؤلاء، الاستقرار السياسي القائم على عصبية قبيلة مكناسة والقبائل المتحالفة معها, والنشاط التجاري الذي يعيشه المغرب الإسلامي أن تتحول المنطقة من قرية صحراوية إلى مدينة متطورة متحضرة , حتى أضحت محل تنافس الطامعين فيخيراتها.

2 أوداغست (أوكار)[1]:

كانت عاصمة الملثمين قديما من صنهاجة الذين تحكمهم قبيلة " آن بيتا= الأنباط" و منها الملك " ورتاندغ= ورتاسن" و تكتبه المصادر الجغرافية العربية " ورتانطق" و منه ينحدر ترجوت: الجدة الجامعة لبيت الأمراء المرابطين كأبي بكر و يحي ابن عمر و ابن عمهم يوسف بن تاجفنت " تشافين" و ذريته.

يعد اليعقوبي من أقدم من تكلم عن هذه المدينة عند حديثه عن "بلاد آنبيةو قاعدتها غست و كان لهم ملكا لا دين له يغزو بلاد السودان..."[2] ثم تأتي إشارة المسعودي (ت 345 هـ/956 م) ناقلا عن الفزازي نحو (172 هـ/788م) إلى إسمآنبية (آنبيتا) للإشارة إلى الأراضي الواقعة بين سجلماسة و مملكة غانة، أي تقريبا، النطاق الغربي من الصحراء بأكمله.

---

[1]– أوداغست: مدينة تقع أطلالها شمال شرق حاضرة تامشكدا (تامشكذ) في ولاية الحوض الغربي من شرق موريتانيا الحالية.ازدهرت منذ القرن 2 هـ/8 م كمحطة للقوافل و مركز للتبادل بين بلاد السودان و الصحراء و المتوسط، و سكنتها جاليات من بربر نفوسة، و ورجلان و خضعت لسلطان ملك غانة، ثم سيطرت عليها صنهاجة ثم عاد سلطان غانة عليها قبل أن يفتحها المرابطون في أواسط القرن 5 هـ/11م، كما وصف ازدهارها التجاري و غناها الأسطوري بالذهب الكثير من الرحالة العرب مثل اليعقوبي و البكري و الإدريسي و غيرهم. حماه الله ولد السالم، تاريخ بلاد شنكيطي " موريتانيا"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010، ص: 45.

[2]– اليعقوبي، كتاب البلدان، ج : 1، ص: 193.

و للأوصاف الرحالين دلالة على أن هذا الاسم الغامض نوعا ما وراءه أقدم اتحاد لبربر الصحراء الأطلسية , يقول ابن خلدون[1] في هذا الصدد أن الحلق تكون من مسوفة و لمتونه و اكدالية.

أ- طلائع الفتح الإسلامي:

في ولاية عبيد الله بن الحبحاب بين سنتي 116 هـ و 117 هـ كانت طلائع الفتح الإسلامي الفعلية للصحراء، حيث قاده, حبيب بن أبي عبيده بن عقبة بن نافع الفهري أو ابنه عبد الرحمن أولى هذه الحملات أو الطلائع و قد أصبحت الصحراء الصنهاجية تحت إشراف الفهريين منذ أن آل أمر افريقية و المغرب إلى الفهريين تحت إمرة عبد الرحمن بن حبيب حوالي 127 هـ[2].

و في ظل الفهريين كان يحكم الصنهاجيين ترجوت بن ورتاسن (ت 157 هـ/775م) ثم تولى الملك إبراهيم بن ترجوت، و تولى بعد تلاكاكين و هو ملك معروف في شجرة ملوك أوداغست و أجداد قادة حركة المرابطين من لمتونة، قال عنها ابن حوقل " و هي مدينة لطيفة أشبه شيء بمكة شرفها الله و حماها لأنها بين جبلين"[3].

و كان أول رئيس صنهاجي مستقلا يتولى الحكم في غرب الصحراء هو تيولتان ابن تلاكاكين (أو: إتلوتان بن تلاككين) الذي ينتمي إلى قبيلة لمتونة و قد رفعت بعض المصادر نسبه إلى مصالة بن منصور بن ويسنو بن نزار، و إن قلب مملكته كان أوداغست و يشاع أنه بسط الحكم على كل الصحراء و وقع تحت حكم أكثر من عشرين ملكا من ملوك السودان إذ كان لزاما عليهم دفع ضريبة له كما كان بإمكانه تجهيز مائة ألف من الجمال الأصيلة. أما وفاته فكانت عندما ناهز الثمانين من عمره و خلفه حفيده الأثير بن باتن، الذي تولى الملك حتى توفي عام 277 هـ/900م، و كان آخر ملك لصنهاجة هو ولده تميم الذي تولى حكم هذه القبائل حتى عام 306 هـ/918 م. و قد قتل على أيدي أعيان صنهاجة الذين ثاروا عليه لأسباب مجهولة [4]. و نتج عن هذا صراع و

---

[1]- ابن خلدون، العبر، ج:6، ص: 181.

[2]- ابن عذارى، المراكشي، البيان، ج1:، ص: 42.

[3]- ابن حوقل، صورة الأرض، المصدر السابق، ص: 91.

[4]- حماه الله ولد السالم، تاريخ بلاد شنكيطي، المرجع السابق، ص : 45،47.

حروب دامت ما يقارب 120 سنة حتى وصول أحد رؤساء لمتونة و هو الأمير أبو عبد الله بن تيفاوت المعروف بإسم (تارشن) و قد توفي سنة 426 هـ/1035 م.

و لم يدم حكمه سوى ثلاث سنوات ثم جاء بعد ذلك صهره يحي بن إبراهيم الكدالي الذي ترأس صنهاجة إذ بفضله تحولت القبائل الصنهاجية من إسلامها السطحي المنحرف إلى الإسلام الصحيح على مذهب أهل السنة على يد الداعية المالكي عبد الله بن ياسين[1].

يذكر الإدريسي عنها:

" هي مدينة صغيرة في صحراء ماؤها قليل و هي في ذاتها بين جبلين تشبه مكة في الصفة و عامرها قليل و ليس بها كبير تجارة و لأهلها جمال و منها يتعيشون و منها إلى مدينة غانة اثنا عشر مرحلة و كذلك من أودغست إلى مدن وارقلان إحدى و ثلاثون مرحلة، و من أوداغست أيضا إلى مدينة جرمة نحو من خمس و عشرين مرحلة و كذلك من أودغست أيضا إلى جزيرة أوليل معدن الملح شهر واحد، و أخبر بعض الثقاة من متجولي التجار إلى بلاد السودان أن بمدينة أوداغست ينبت بأرضها بقرب منابع المياه المتصلة بها كمأة يكون في وزن الكمأ منها ثلاثة أرطال و أزيد و هو يجلب إلى أوداغست كثير يطبخونه مع لحوم الجمال و يأكلونه و يزعمون أن ما على الأرض مثله و قد صدقوا"[2].

أما البكري يقول عنها: " و مدينة كبيرة آهلة رملية يطل عليها جبل كبير موات لا ينبت شيئا، بها جامع و مساجد كثيرة آهلة في جميعها معلمون للقرآن، و حولها بساتين النخل، و يزدرعون فيها القمح بالفوس و يسقى بالدلاء يأكله ملوكهم و أهل اليسار منهم، و سائر أهلها يأكلون الذرة و المقاثي تجود عندهم، بها شجيرات تين يسيرة و دوالي يسيرة أيضا و بها جنان حناء لها غلة كبيرة و بها آبار عذبة و الغنم و البقر أكثر شيء عندهم، يشترى بالمثقال الواحد عشرة أكبش و أكثر. و عسلها أيضا كثير يأتيها من بلاد السودان و هم أرباب نعم جزيلة و أموال جليلة، و سوقها عامرة الدهر كله لا يسمع الرجل فيها كلام جليسه لكثرة جمعه و ضوضاء أهله، و تبايعهم بالبتر و ليس عندهم فضة، و

---

[1]– قمنا في عملنا هذا بإعطاء فكرة موسعة عن هذا العالم و شخصيته و أهم أعماله في الفصل الثالث من البحث

[2]– الإدريسي، نزهة المشتاق، المصدر السابق، ج1:، ص : 108.

بها مباني حسنة و منازل رفيعة و هو بلد وبيء ألوان أهله مصفرة و أمراضهم الحبات و الطحال لا يكاد يخلو من إحدى العلتين أحد منهم، و يجلب إليها القمح و الثمر و الزبيب من بلاد الإسلام على بعد، و سعر القمح عندهم في أكثر الأوقات القنطار بستة مثاقيل و كذلك التمر و الزبيب و سكانها من نفوسة و لواتة و زناتة و نفزاوة، هؤلاء أكثرهم و بها نبذ من سائر الأمصار"[1].

3 ورجلان:

لقد ورد اسم ورجلان[2] صراحة دون كناية عند بلوغ الدولة الرستمية أوجها حيث امتدت سلطتها و نفوذها حتى هذه المنطقة و قد اهتم بذكرها من أرخ لسقوط الدولة الرستمية و كان من بينهم أبو زكرياء يحي[3] الذي عاش في القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي، حيث ذكر عن فرار الناجين من المذبحة الفاطمية و توجههم إلى مدينة ورقلة (ورجلان)، أما عبد الله البكري الذي عاش أيضا في القرن الخامس هجري فقد ذكرها باسم ورجلان حيث قال: " فإنك تسير في الصحراء خمسين يوم إلى ورجلان و هي سبعة حصون للبربر، و بين ورجلان و قلعة أبي الطويل[4] مسيرة ثلاثة عشر يوما"[5]. كما قدم لنا وصفا وافيا للمدينة فقال: " إنها تتكون من سبعة حصون و هي بلد يسكنها البربر و تقع في الصحراء" أما جغرافيو القرن السادس هجري و الذي كان من بينهم الشريف الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، و كان ذكره للمدينة مختلفا ورقلان مكان الجيم كان حرف القاف، أما صاحب الموسوعة الكبرى معجم البلدان ياقوت

---

[1]- ابن حوقل ، المسالك و الممالك، ص : 65 ، 66 .

[2] تعد ورجلان من أقدم المدن الصحراوية وقد انفرد حسن الوزان بدور النومديين في تشييدها حيث قال : " وركلة مدينة أزلية بناها النومديون ففي صحراء نوميديا لها سور من الآجر النيئ ودور جميل ، وحولها نخل كثير ويوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى . الصناع فيها كثيرون وسكانها أغنياء جدا منهم عدد كبير من من التجار الأ جانب الغرباء عن البلد لاسيما من قسنطينة وتونس ، يحملون إلى وركلة منتجات بلاد البربر وسيتبدلونها بما ياتي به التجار من بلاد السودان ." حسن الوزان ، وصف افريقيا ، ص : 136 .

[3]- أبو زكرياء يحي بن بكر توفي 471 هـ/1078 م، كتاب سير الأئمة و أخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، سنة 1979، ج : 1، ص: 124.

[4]- قلعة أبي الطويل هي قلعة بني حماد بولاية المسيلة حاليا.

[5]- أبو عبد الله البكري ، المسالك والممالك، ص: 182.

الحموي الذي عاش في القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي " ورجلان بفتح أوله و سكون ثانيه و فتح الجيم و آخره نون، هي كره بين افريقية و بلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخيل و الخيرات يسكنها قوم من البربر"[1]. فالملاحظ من وصف ياقوت الحموي أعطى تفصيلا دقيقا جدا عن لفظ إسمها كما حدد موقعه الجغرافي و جنس سكانها ورخائها الاقتصادي، و هذا ما أشار إليها سابقا الإدريسي حيث ذكر أنها متطورة اقتصاديا لكون تجارها يشترون أغلب التبر الذي يباع في بلاد السودان الغربي، و يضربونه عملة بلادهم تسمى الدينار[2].

أ- بعض مدن وقرى ورجلان :

1. تقرت :

تعد تقرت أقدم المدن الصحراوية الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ ويعد موقعها الجغرافي الذي يتميز بالحصانة ووفرة المياه سببا في مناعتها

يذكر في هذا الشأن حسن الوزان ما يلي: تقرت مدينة قديمة بناها النوميديون على جبل في شكل نتوء يمر في سفحها نهر صغير يقطعه جسر متحرك كما يوجد ذلك في ابواب المدن ، وهي مسورة بسور من طوب والطين ، ماعدا جهة الجبل فإن صخوره تحميها ،وتقع هذه المدينة على بعد نحو خمسمائة ميل جنوب البحر المتوسط وثلاثمائة ميل من تيكورارين .[3]

وعن موقعها يذكر توفيق المدني: " أرض تقرت جنوب قسنطينة ، تشمل عدة واحات بديعة تستمر إلى وادي أريغ ووادي سوف ووادي إغرغار. وتقرت هي أجمل هذه الواحات وأبدعها. "[4]

والظاهر من خلال المصادر أن سكان هذه المنطقة كانوا قوم مياسر ومن بين صفاتهم المبالغة في إكرام الضيف وعابر السبيل يقول حسن الوزان في هذا الصدد : "

---

[1]- ياقوت الحموي .، معجم البلدان، ج : 5 ، ص : 427 .

[2]- الشريف الإدريسي، توفي، نزهة المشتاق ، ج: 2، ص ص 24،25.

[3] – حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص : 135 .

[4] توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 م ، ص : 241 .

ويحب أهل تقرت الغرباء جدا ويستضيفونهم في بيوتهم بالمجان ويقدمون أيضا هدايا هامة إلى الغرباء، ولو كانوا يضنون أنهم لن يعودوا إليهم أبدا وذلك لفرط كرمهم."[1]

أما من ناحية السكان يرى عبد القادر موهوبي: أغلب سكان تقرت إنما وفدوا إلى تلك البلاد إما من وادي ميزاب أو من ورجلان وقد يوجد أفراد من جربة " [2]

أما عن عددهم فقد قدرهم حسن الوزان نحو ألفين وخمسمائة كانون ، دورها مبنية بالآجر المشوي والنيئ ما عاد الجامع الذي كان بنائه بالحجر المنحوت الجميل. وهي عامرة بالصناع والنبلاء والأغنياء الذين يملكون حدائق النخيل كما توجد حول تقرت عدة قصور وقرى وأماكن مأهولة على طول مسيرة ثلاث أيام أو أربعة ، وكلها خاضعة لأمير تقرت[3]

2. تاجديت :

اشتهرت هذه المدينة بالعلم والتدين والتجارة وقد وصفها علي يحي معمر في كتابه بما يلي: " تاجديت كانت مدينة كبيرة وكانت لها شهرة عالية في العلم والعمران والنظام العجيب . لما بلغته من ازدهار وتألق أنوار. وقد قصت علينا السير ما يدهش ويبهر.

كانت تاجديت خاصة بسكنى العلماء، لذالك كان يبدوا عليها الجمال والعلم والنظافة، كانت مساجدها عامرة باستمرار، وكانت تشبه أن تكون مركزا لمناطق واسعة آهلة بالسكان، يرجعون إليها في أوقات الصلوات وربما كانت أيضا مركزا تجاريا عامرا بالأسواق. " [4]

ومن مشائخها محمد بن عيسى بن ابراهيم الهواري (ق 5ه| 11 م) والعالمة مغريت بنت يعلوا مع أخيها والشيخ بن يعقوب بن تيمال (ق 5 ه | 11 م) . [5]

---

[1] – حسن الوزان : المصدر السابق ، ص : 135 .

[2] – موهوبي عبد القادر ، ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة ، دار البصائر ، الجزائر ، 2011 ، ص: 38 .

[3] – حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص : 135 .

[4] – علي يحي معمر ، الأباضية في موكب التاريخ ، ج 2 ، تح : احمد عمر أوبكة ، المطبعة العربية ، غرداية الجزائر (د ، ت) ص : 371 .

[5] – الوسياني أبو الربيع ، سير الوسياني ، ج : 1 ، تحقيق عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة ، مسقط عمان ، ط : 1 ، 1430 ه \ 2009 م ، ص : 74 .

3. سدراتة :

تذكر مادلين روفيلوا عن موقع سدراتة ما يلي : " سدراتة تبعد عن وركلا ب 7 كلم، يحيط بها عرق رملي صغير، وأن أثار هذه المدينة باقية الى نهاية القرن 19 م . "

أما مارغريت فان برشام فتذكر أنها تقع على بعد 800 كلم من مدينة الجزائر و14 كلم جنوب واحة ورقلة. أما عن التأسيس يقول ابراهيم اعزام ، " بلاد سدراتة منسوب غلى شعب من شعوب البربر من بطون زناتة ، وهي بلد كثيرة يسكنها معتنقوا المذهب الإباضي قديما . "[1]

4. أريغ :

تعود تسمية هذه غلى قبيلة بربرية وهي بني ريغة ويتصل نسبهم ببني مغراوة مثل قبيلة بني يفرن وبني واسين وقد أرجع بعضهم معناها بالبربرية السبخة ، فكل شخص منحدر منها ريغي وقيل هي بطن من مغراوة مثل بني سنجاسن والأغواط .... ونزل كثير منهم وبني قصور الزابووركلا، فاختطوا قرى كثيرة في واد ينحدر من الغرب إلى الشرق.[2]

تمتد مدينة ريغ على طول ضفاف واد يقع في منخفض مستطيل طوله تقريبا 145 كلم وعرضه 20 كلم ويشمل هذا الوادي مدنا وقرى كثيرة ، شمالا إقليم الزاب وهو منطقة رمال وواحات .

المنطقة عبارة عن سبخة، مناخها صحراوي كبقية الأقاليم الصحراوية قاري جاف وبارد شتاء وحار صيفا.

وكباقي سكان الصحراء اعتمدوا على الترحال للبحث عن الأراضي الرعوية والمياه وكانت مغراوة أوسع بطون زناتة تجوب إقليم وادي أريغ ووركلا ولم تترك عمرانا أو أثارا إلا بعد القرن الخامس والسادس هجريين[3].

---

[1] – حمامد محمد ، الحياة الاجتماعية والثقافية بورجلان ونواحيها خلال القرنين (5– 6 هـ |11 –12 م)رسالة ماجستير جامعة أدرار ، الجزائر ، 1433 \1434 هـ \2012 \2013 م اشراف الدكتور عبد الكريم بوصفصاف ، ص: 116 .

[2] – الوسياني المصدر السابق ، ج : 1 ، صص : 70 ، 71 .

[3] – موهوبي عبد القادر ، المرجع السابق ، ص:25 ،26 ، 31 ، 32 .

ب- الجانب السياسي :

لقد كان من نتائج الصراع السني الخارجيأن فر العديد من معتنقي المذهب الإباضي إلى مناطق نائية صحراوية كانت ورجلان من بينها فقد عرفت ورجلان الفكر الخارجي منذ أوائل القرن الثاني للهجرة يذكر في هذا الصدد سلفادور غوميثنوغاليس : " البؤرة الاساسية للأباضية كانت المغرب وبتحديد أكثر في لحظة من تاريخه كان إقليم ورجلة ." [1]

لقد كانت تربط ورجلان بالدولة الرستمية علاقة ود وولاء[2] بالخصوص ناحية المذهب الاباضي ويؤكد ذلك الإدريسي في وصفه لسكان ورجلان حيث يقول : " ومن مدينة المسيلة الى ورقلان اثنا عشر مرحلة ، وهي قبائل مياسر ....وهم وهبية إباضية نكار خوارج في دين الإسلام . " [3]

ويذكر عبد الكريم جودت فيما يخص تبعية ورجلان لدولة الرستميةمايلي : وفي الجنوب فقد امتدت حدود الدولة الرستمية حتى شملت الصحراء بما في ذلك ورقلة (ورجلان)[4]

وقد أثر سقوط الدولة الرستمية على ورجلان ما جعلها تتبنى الفارين وتحتضن الوافدين الجدد الذين نزحوا من تاهرت الى ورجلان وهذا ماذهب إليه فرحات الدشراوي[5] إذ يقول أن : " أبا عبد الله الشيعي حينما مر على تاهرت ، لم تبدي أي مقاومة فأعطاها الأمان ولكنه أمر بقتل صاحبها وعدد كبير من أهل بيته . " وبعد ذلك توجه يعقوب الى

---

[1] - سلفادور غوميثنوغاليس ،الرستميون قنطرة صلة بين الجزائر و الاندلس من خلال الإباضية ، مجلة الأصالة ع: 46 ، 47 ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، جوان ، جويلية ، 1977 م ، ص : 11 .

[2] تمتعت ورجلان في ظل الحكم الرستمي بالاستقلال تارة فقد ذكر مسعود مزهودي أن ورجلان وسدراتة كانتا مستقلتين وكل ما ربطهما بالدولة الرستمية من علاقات هو اعترافهما بالتبعية الاسمية لها ، أما من جانب الولاء فيذكر مختار حساني أن مدينة ورجلان خلال عهد الدولة الرستمية تتميز بالولاء لهذه الدولة ، مزهودي مسعود : تأسيس ورجلان وسدراتة من خلال الروايات التاريخية ، مجلة سدراتة ، الايام الدراسية الأولى حول سدراتة / 23 – 26 أفريل 1997 م ص : 17 ، حساني مختار ، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ، ج : 2 ، المرجع السابق ، ص : 179 .

[3] - الإدريسي المصدر السابق ، ص : 120 ، 121 .

[4] - جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية لدولة الرستمية ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ،(د، ت) ص : 58 .

[5] - فرحات الدشراوي ، الخلافة الفاطمية بالمغرب 296 – 365 هـ | 909 – 975 م ، ط: 1 تر : حماد الساحلي دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ،1994 م ، ص : 177 .

ورجلان فأقبل بمن معه من أهل بيته ونزل بها على عهد الشيخ أبي صالح جانون بن يمريان فتلقاه في جمع من أعيان المنطقة فأحسنوا نزله وأكرموا مثواه وعرضوا عليه أن يولوه على أنفسهم فقال قولته المشهورة : " هل يتستر الجمل بالغنم ." [1]

لكن العبيدين لم يتركوا ورجلان بسلام فقد ذكر داود بن يوسف عن هجمة العبيدين مايلي : " العبيدين أحرقوا المسجد الكبير لشيخ صالح بن يمريان " وبل حاولوا السيطرة على المنطقة من خلال حصارها حيث وجه عبيد الله عسكرا عضيما الى ورجلان فلما سمع أهلها بإقبال العسكر تحصنوا بالكدية المعروفة بكدية كريمة[2] وهي كدية حصينة شاهقة بينها وبين ورجلان قدر ستة أميال ، فملأوا مواجل[3] بالماء وأخرجوا ما قدروا عليه وما استطاعوا حمله فلما وصل عسكر العبيديين دمروا الديار وشددوا عليهم الحصار بالكدية ، [4] فلم يستطيعوا إليهم سبيلا .

ت-الاوضاع الاقتصادية :

لقد كان لوفرت المياه دورا هاما في النشاط الزراعي بالمنطقة فقد كانت الاودية والابار والعيون [5] بالمنطقة ثروة أحسن استغلاها من طرف السكان فقد أحيو موات الصحراء كما استحدثوا حياة واسعة ذات انتاج وفير ، وكانوا في صراع دائم مع الطبيعة لكنهم تمكنوا من ايجاد بيئة زراعية مناسبة لواقعهم .

فحيث ما تكون الأمطار يمكن الزراعة أن تعطي نواتج ، وهنالك حيث تستعمل المياه الجوفية يمكن زراعة النخيل وبعض الاشجار ذوات الفاكهة وبعض الخضروات كما

---

[1] – أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغرب ، تح : إبراهيم طلاي ، ط: 1 ، 1394هـ ، 1974م، ج : 1 ، ص : 105 ، 106 .

[2] – كدية كريمة قلعة محصنة لها أسوار موجودة في هضبة مرتفعة شديدة الإنحدار ، ولهذا اكتفوا بحصارها لما وجدوه من صعوبة في اقتحامها . ابن الصغير المالكي ، أخبار الائمة الرستميين ، تح : محمد ناصر وابراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1406 هـ ،1986 م ص : 50 .

[3] – المواجل جمع مأجل ، وهو في الأصل البركة العظيمة التي تستنقع فيها المياه ، ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ص : 39 .

[4] – الدرجيني ، المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 95 .

[5] – يذكر اليعقوبي في هذا الشأن : " وشرب مدينة تاهرت من أنهار وعيون يأتي بعضها من الصحراء . " اليعقوبي اليعقوبي المصدر السابق ، ص : 149 .

هو الشأن في واحات الصحراء[1]، وقد نتج عن هذا الاهتمام أن تنوعت المحاصيل الزراعية خاصة أن أهل المنطقة عرفوا كيفية المحافظة على المياه واستغلالها أثنا الحاجة ويعزز ذلك ما ذكره إسماعيل العربي : " ولكن الواحة تتمتع ايضا بمورد الزراعة ، فإن السكان عرفوا كيف يتفادون عواقب المناخ الجاف بحجز طبقات المياه الجوفية الأغراض الري ، وكانت أهم اشجار الفواكه بالواحة هي التين والرمان والمشمش والليمون والبرتقال ، على أن المصدر الاساسي لثروة الزراعية بالواحة هو التمر الجاف والطري . " [2]

ث- الرعي وتربية الماشية :

لقد عرف الإنسان منذ القدم مهنة الرعي وتربية الماشية خاصة بالمناطق الصحراوية يذكر ألفرد بل عن دور العامل البيئي في توجيه حياة الانسان ما يلي : " ان الجو هو الذي فرض هذا التوزيع لسكان الشمال الأفريقي منذ زمن بعيد بين مستقرين زراع ونصف بدو (زراع ورعاة) وبدو." [3]وقد اشار ابن الصغير المالكي لتنقل القبائل البربرية : " أخبرني غير واحد من الإباضية وغيرهم ، أن قبائل مزاتةوسدراتة وغيرهم كانوا ينتجعون من أوطانهم التي هم بها من المغرب وغيرها في اشهر الربيع الى مدينة تاهرت وأحوازها لما حولها من الكلأ ."[4]

4 بلاد الزاب:

يقول ابن منظور في لسان العرب " زاب القرية يزابها زاب، و ازدأبها: حملها، ثم أقبل بها سريعا... و زاب الرجل و ازدأب إذ حمل ما يطيق و أسرع في المشي[5]. يقول صاحب معجم البلدان: الزاب بعد الألف باء موحدة، إن جعلناه عربيا أو حكننا عليه بحكمه... و يستدل بإبن الأعرابي في قوله: زاب الشيء إذا جرى، و قال سلمة زاب بزوب إذا انسل هربا[6].

---

[1] – ألفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ،المرجع السابق، ص : 40 .

[2] – اسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص : 160 .

[3]– ألفرد بل ، المرجع السابق ن ص : 41 .

[4] – ابن الصغير المالكي ، المصدر السابق ، ص : 47 .

[5]– المنجد في اللغة و الأعلام، ط 42، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2007، ص: 292.

[6]– ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، مج3، ص :138.

يذهب الأستاذ اسماعيل العربي إلى أن الزاب يأخذ اسمه من مدينة زابيZABI الرومانية التي كانت تقع في إقليم الحضنة بالمسيلة حاليا، و قد أقام حولها الرومان الكثير من الأبراج و مراكز الحراسة في إطار (خط الليمس) الذي شرعوا في تشييده في بداية القرن الثاني ميلادي[1].

و (زابي) يدعوها بعض السكان المحليين بشيلغا (شيلقا) و قد أكد المؤرخ الفرنسي جزيل GESELLبشيلغا تنم عن مدينة كبيرة تدعى زابي حسب مضمون النقيشة اللاتينية المكتشفة بعين المكان و كذا خريطة أنطونيني التي حددت موقع زابي فيما بين سطيف و أوزيا على الطريق الرابط بين هاتين المدينتين، مرورا بجنوبي مرتفعات الحضنة[2].

و قد كان للوندال دور في تخريب المدينة و احتلالها عام 439 م بالرغم من التحصينات التي كانت بها مثل ما فعلوا بباقي مدن المغرب كلنا لكن الموريين استبسلوا في استرجاعها و وفقوا في ذلك حتى كانت هبة البزنطيين عام 535 م الذين حاربوا من أجل السيطرة عليها و تمكنوا من ذلك بعد حروب طاحنة و كانوا تحت قيادة زعيمهم صولون مما تسبب في تخريب جزء هام منها[3].

أ- الحدود الجغرافية لإقليم الزاب:

لقد ذكر المقدسي و هو من بين الجغرافيين المعاصرين للعهد الفاطمي و قد أعطى وصفا جغرافيا خالصا لإقليم الزاب، فهو بعدما قسم المغرب إلى سبع كور ذكر أن الزاب ناحية من كورة فاس و مدينتها المسيلة و المدن التابعة لها و هي مقرة[4]، طبنة، بسكرة، بادس، تهوذا، طولقا، جميلا، بنطيوس[5]، أذنة، أشير

[1]- اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى و شواطئها، المرجع السابق، ص: 142.

[2]- محمد البشير الشنيتي، الجزائري في ظل الاحتلال الروماني، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص ص 175،176.

[3]- محمد البشير الشنيتي، المرجع السابق، ص : 176.

[4]- مقرة يصفها البكري بأنه بلد كبير ذو ثمار و أنهار و مزارع. البكري، المغرب، المصدر السابق، ص 51،. و يذكر يذكر الإدريسي أن بينها و بين المسيلة من بلاد الزاب مرحلة، و هي مدينة صغيرة و بها مزارع و حبوب، و أهلها يزرعون الكتان و هو عندهم كثير و بين مقرة و طبنة مرحلة. الإدريسي، المصدر السابق، ص: 119.

[5]- بنطيوس: ذكر البكري أنها من مدن كورة بسكرة، و في موضع آخر ذكر أنها ثلاث مدن يقرب بعضها من بعض أحدها يسكنها قوم من الفرس و الثانية يسكنها المولودون و الثالثة يسكنها البربر. البكرين المغرب، ص ص :50،71.

أما ابن حوقل[1] و هو أيضا من معاصري القرن الرابع هجري فقد كان حاضرا كشاهد عين و قد أمدنا في كتابه تحديد أو ترسيم إقليم المغرب بدقة جيدة، حيث أمدنا بوصف شامل لمدن المغرب عموما، كما ذكر المسالك و المسافات فنقصه في كتابه التقسيمات الإدارية للمغرب ككل، و على كل حال فقد يصعب تحديد دقيق لإقليم الزاب فلم يتفق الجغرافيون على تحديد واحد أو مناطق معينة يشملها الإقليم، فكل جغرافي ينقص أو يزيد منطقة و طبعا كان الأمر متعلق بالأوضاع السياسية العاصفة بالقرن الرابع هجري.

ب- إقليم الزاب في بداية الفتح الإسلامي:

عندما همّ عقبة بن نافع بحملته الثانية الشهيرة ما بين 62 و 63 هـ، كانت عاصمة بلاد الزاب و أكبر مدنه " أدنة" و قد ذكر صاحب (تاريخ افريقيا و المغرب) أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق المتوفي بعد عام 417 هـ أن عقبة بن نافع لما وصل بلاد الزاب سأل عن أعظم مدائنهم قدرا فقالوا: مدينة يقال لها أذنة، و منها الملك الزاب و كان حولها ثلاثمئة قرية و ستون قرية كلها عامرة"[2].

و بعد تمام الفتح كان بلاد الزاب تابعة كلها لإفريقيا (تونس).

الزاب في عهد الأغالبة:

لقد تحول والب الزاب سابقا و هو ابراهيم بن الأغلب إلى حاكم دولة الأغالبة فهو مؤسسها سنة 184 هـ/800 م و قد شملت دولته كل من تونس و طرابلس و جزء من شرق المغرب الأوسط (الجزائر) و يؤكد العديد من المؤرخين[3] أن بلاد الزاب خلال حكم الأغالبة كانت تنعم بالاستقرار و الدعة و السلام مما أسهم في نمو اقتصادي و أمني

---

[1]- ابن حوقل، صورة الأرض، ص :94،93.

[2]- أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق، قطعة من تاريخ افريقية و المغرب، تحقيق الدكتور عبد الله العلي الزيدان و الدكتور عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص: 11.

[3]- و من هؤلاء المؤرخين عثمان الكعاك في كتابه (موجز التاريخ العام للجزائر)، تح : أبو القاسم سعد الله ، ناصر الدين سعيدوني ، محمد البشير الشنيتي ، إبراهيم النجار دار الغرب الإسلامي ط : 1 ، 2003م ،ص ص :111،114.

واضح، و قد ظلت طبنة عاصمة الزاب إلى غاية ظهور الفاطميين على مسرح الأحداث ببلاد المغرب في بداية القرن 4 هـ/10 م

ت- النشاط الزراعي:

لقد كان لشبكة المياه التي تميز بها إقليم الزاب دور مهم في النشاط الزراعي و قد كان أساسها من مخلفات الرومان الذين عملوا على توزيعها ببناء السدود و توصيل القنوات و حفر الآبار و بناء الخزانات[1].

و على اعتبار أن هذا النظام هو جالب لمنافع اقتصادية كثيرة فمن المرجح أن كل وافد جديد حافظ عليه و اعتنى به فاستمرارية تدفق الماء تعتمد على الإنباط و الامتراء و هو الأمر الذي عمل عليه الأغالبة حين بدأ الاستقرار يعرف طريقه إلى ربوع البلاد باستصلاح المزارع و تعمير قنوات الري المتضررة[2].

و قد ساهم تنوع التربة إلى تنوع المحاصيل و جودتها فمن بين أنواعها الأرض الجبلية و أهما محاصيلها: اللوز و التين و الفستق، البلوط، و القسطل. و الأرض الرملية و الأرض الحمراء و أكثر ثمارها التفاح و الإجاص و التوت و اللوز و غيرها. و الأرض الحرشا و من ثمارها القرع الباذنجان و الكرم و الرمان و التوت و السفرجلو الخوخ و البرقوق.

أما الأرض المدمنة السواد المحترقة الوجه، حارة اليابسة مالحة، يقلل الشتاء من ملوحتها، يصلح فيها الكتان و الفول و الخردل و الكزبر و التين و الرمان[3].

---

[1]- محمد صغير غانم، مقال حول نظام الزراعة و الري في منطقة بسكرة و التخوم الأوراسية، التراث شركة الشهاب، الجزائر، العدد 4، 1989، ص: 22.

[2]- حسين ممدوح، افريقية في عصر الأمير ابراهيم الثاني الأغلبي، قراءة تكشف افتراءات الفاطميين، دار عمار، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 1413 هـ/ 1997م ، ص : 44 .

[3]- ابن بصال، كتاب الفلاحة، نشر و ترجمة و تعليق خوسيه مارية مياس بييكروسا، محمد عزيمان (د، ط) تطوان المغرب، 1955 م.

ث- الصناعة:

كما ذكرنا آنفا هذه الحرفة متعلقة بتنامي العمران و استبحاره[1] و يبدو أن الزاب قد توفرت فيها شروطه و انضاف إليها الحركية التجارية وأهم ما تعلق بالصناعة المرتبطة بالزراعة، و ذلك للاعتماد على الانتاج الحيواني و النباتي[2] تتدرج ضمنه محاصيل الزيت و المطاحن و معالج القطن[3]، و الأرحية، أما صناعة الغزل و النسيج و التي يمكن إلحاق القصارة و الصباغة و تركيب الألوان بها[4]،فهي تعد أهم الصناعات في ذلك الزمن لاعتماد الناس عليها و تعدد استعمالاتهم منها و لدى جوذر رواية يقول فيها أن المعز لدين الله الفاطمي طلب منه تجهيز حصير لمسجد يتم بناءه، ينجزه الحصريون و يطرز من قبلهم إلى جانب الطرازين الذين تأنقوا فيه باستعمال الذهب، بالإضافة إلى النسيج كانت هناك الصباغة بكل ألوانها للأقمشة و كذلك صناعة الأسلحة بكل أنواعها.

ج- الطرق التجارية:

تعتبر التجارة خاصة الخارجية منها تتويجا لنجاح كل من الصناعة و الزراعة و تفوقها إلى حد التصدير و المبادلة خاصة بتوفر الأمن و الاستقرار و ما زاد الأمر رواجا و نشاطا وجود شبكة مسالك تجارية.

و قد عدت منطقة الزاب[5] مركزا تجاريا هام و احتل المرتبة الثانية بعد القيروان و كما اعتبر من بين أهم النقاط التجارية في الصحراء و مفترق الطرق إلى مختلف المناطق[6].

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ص :24.

[2]- جودت عبد الكريم يوسف، ص: 107.

[3]- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ط: 2 ، 1403هـ ،1983 م، ج:4، ص: 319. ممدوح حسين، المرجع السابق، ص: 51.

[4]- ممدوح حسين، إفريقيا في عصر الأمير الأغلبي ، ص :50.

[5]- الحبيب الجنحاني،المغرب الإسلامي ، ص :19.

[6]- الحبيب الجنحاني، المغرب الإسلامي، ص: 22،20.

و عن هذه الشبكة ذكر الجغرافيون أن بين القيروان و بلاد الزاب عشر مراحل[1] و يصطف عن يسار جبل أوراس مدن بسكرة و تهودة و بادس، و هناك طريق يربط بين باغاية و مقرة يمر بدار ملول و طبنة و للوصول إلى طبنة من باغاي أيضا يتم المرور ببلزمة و نقاوس و منه يتفرع طريق مجانة الأخذ إلى تيجس ثم بونة، و من تيجس إلى قسنطينة فميلة فسطيف فالمسيلة، و هناك طريق أخرى من المسيلة إلى افريقية تمر عبر مقرة فطبنة فبسكرة فتهودةفبادس فنفطة ثم قسطيلية إلى قفصة و بين كل مدينة و أخرى مرحلة و كان ذلك زمن ابن حوقل[2] و طرق أخرى ذكرها كل من البكري[3] و الإدريسي[4] تباعا.

5 بلاد الجريد:

أ- قفصة:

تعد قفصة من بين أهم مدن بلاد الجريد فهي تحتل موقعا هاما و غني بالموارد الطبيعية كما تبعد عن القيروان بحوالي أربعة مراحل، و عن قابس مسافة ثلاث مراحل، و بهذا فهي ما بين القيروان و قابس. كما تبعد توزر[5] حوالي أربعة مراحل و عن مدينة زرودا[6] على مشارف جبل نفوسة بخمس مراحل و باتجاه الغرب منها تقع قاصرة[7] أما الشرق فتحدها نقاوس، كما تبعد عن نفطة بمسافة مرحلتان أما عن مدينة نفزاوة فبمسافة يومان و نصف يوم، أما سبية[8] فبينهما ست مراحل[9] و بين قفصة و ساحل البحر حوالي حوالي 300 ميل و تحيط بها واحات خصبة عديدة تعرف بـ (قصور قفصة) و قد

[1]- اليعقوبي، البلدان، ص : 190.

[2]- ابن حوقل، صورة الأرض ، 67،85،87.

[3]- البكري، المسالك، ص ص : 50،51،60،75.

[4]- الإدريسي، نزهة المشتاق، ص: 260،264.

[5]- من مدن قسطيلية في بلاد الزاب كثيرة الخيرات، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج :4، ص: 383.

[6]- مدينة تتوسط المسافة بين قفصة و جبل نفوسة. الإدريسي، نزهة المشتاق، ص: 279.

[7]- مدينة تجاور إقليم قمونية في إفريقية، ابن حوقل، صورة الأرض، ص :82.

[8]- من مدن افريقية القديمة و تجاور مدينة تبسة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج:2، ص: 13.

[9]- الحميري ، الروض المعطار، ص: 478.

وصفها الإدريسي و الحسيري بكونها: " مركزا.... و البلاد دائرة بها".[1] هكذا حدد الجغرافيون العرب المسلمين قفصة مبرزين أهميتها و موقعه الاستراتيجي في الجنوب.

1- النشاط الزراعي:

لقد تصدرت الزراعة مهن أهل القفصة و ذلك لتوفير ضرورياتها من أرض صالحة للزراعة و خاصة توفر المياه فقد اشتهرت هذه المدينة بكثرة العيون الجارية فيها و التي تتحول إن صح القول إلى وادين جاريين، أو كما يطلق في ذلك الزمن مصطلح نهر فكان أهل قفصة يطلقون على النهر الداخل لمدينتهم بالماء الداخل و كان يسقي نصف بساتينهم[2]. أما النهر الخارج و يمدنا صاحب الاستبصار تفاصيل غاية في الدقة عن مصدر المياه بقفصة فقد ذكر أنه توجد في المدينة " في قفصة عينان كبيرتان ليس لهما نظير في عذولة مائها و صفائه و كثرته"[3].

و قد ساعد كثرة المياه بتنوع الزراعة كان على رأسها زراعة النخيل و انتاج أجود و أحسن التمور و قد صنع من الدبس الذي كان يستعمل بدوره في الحوليات و أطعمة أخرى[4]. أما المنتوجات الأخرى فتمثلت في العنب و التين و الرمان و الأترج و الليمون و و التفاح[5].

2- الصناعة:

لقد كان لصناعة الخزف رواجا كبير في قفصة و الزجاج أيضا لكثرة الطلب عليه في البيوت و خاصة القصور كما كان لصناعة النسيج خاصة الأردية و العمائم كما اشتهرت صناعة زيت الطعام و الدبس و صناعة العطور و الخل في قفصة.

---

[1] - الإدريسي، نزهة المشتاق، ص: 279

[2]- البكري، المسالك و الممالك، ص: 224. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص: 382. مجهول، الاستبصار، ص: 152.

[3]- مجهول، الاستبصار، ص: 152.

[4]- نفس المصدر، ص :153. الحميري، روض المعطار، ص 478.

[5]- اليعقوبي، البلدان، ص: 106 صورة الأرض لابن حوقل، ص :80.

3- الوضع السياسي لقفصة:

لم تكن مدينة قفصة بعيدا عن الحدث الجديد الذي حل بالمغرب من شرقه فكان الفتح الإسلامي ينساب إلى جل مناطق المغرب بتسلسل متتابع فكانت سنة 27 هـ/667م أي بعد الانتصار في موقعة سبيطلة و موت البطريق جرجير قد لامست مدينة قفصة الفتوحات الإسلامية و بعد مرور عقدين من السنين استولى عقبة بن نافع على المدينة عنوة، لكن خرجت فيما بعد كل افريقيا عن سيطرة المسلمين حتى مجيء حسان بن النعمان حيث كان استرجاعها نهائيا سنة 78 هـ/697م. و في أواخر القرن الثاني الهجري و بعد تعسف ولاة بني أمية في المغرب كان المذهب الخارجي يمد سلطانه على مناطق عديدة خاصة بصحراء المغرب، فقد كانت منطقة قفصة عامرة بالخصوص بالخوارج من قبائل لواتة و زواغة و مكناسة، و قد اشتركوا في ثورة سنة 224 هـ/839 م، و قد كادت هذه الأخيرة أن تغرق المنطقة بفتنة طائفية لولا تدحل الأغالبة حيث عوقبوا من طرف عقابا شديدا و بعد خضوع المنطقة للسلطان الفاطمي ثم الزيري أنشئت إمارة ابن الرند التي عمرت ما يقارب قرن من الزمن حتى كان السلطان الموحدي[1].

يصف لنا الجغرافي اليعقوبي قفصة في القرن الثالث هجري " مدينة حصينة يحيط بها سور مبني من الحجارة، و بداخل المدينة ينابيع ماء جارية و سككها مفروشة بالبلاط، و أحوازها كثيرة الخصب و ثمارها مشهورة"[2].

و في أواسط القرن الرابع يذكر ابن حوقل الذي كان موجود بالقيروان سنة 336 هـ/947 م أن مدينة قفصة كانت " مستقلة" و أن ازدهارها كان كبيرا قبل سنة 330 هـ/942م، و هي السنة التي خربها أبو يزيد النكاري[3]، و قد نهضت من نكبتها بسرعة، و هذا ما يثبته المقدسي (المتوفي سنة 378 هـ/988م) يذكرها في أواخر القرن الرابع هجري من جملة أمصار افريقية و حواضرها الكبرى، و في منتصف القرن الخامس يذكر لنا البكري المتوفي سنة 487 هـ/ 1094 م و لم يكن قد زار البلاد بنفسه، و إنما كان ينقل أخباره عادة من المؤرخ الإفريقي الوراق و قد كان وصف الوراق من أحسن و أدق ما

---

[1]- ابن خلدون، العبر، ج:6، ص :195. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب ،ج:1، ص :356،228.

[2]- اليعقوبي، البلدان، ص :212.

[3]- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ص 92،94.

كتب عن قفصة في العصر الوسيط حيث تحدث بإسهاب عما كان فيها من معالم من عهود الأولين لا تزال على أحسن حال و من عيون فوارة تزود وفير المياه لبساتينها الغناء، و يضيف البكري أن كان يوجد بها ثمر يصل الحبة إلى حجم البيضة (الحمام) و كان بالقرب من المدينة أكثر من مئتي قرية صغيرة تسمى قصور قفصة.

و قد كانت قفصة مزهرة تتمتع بالرخاء حتى وصل خراجها حوالي خمسين ألف دينار تدفع إلى الدولة و كانهذا في زمن الوراق، و بقيت كذلك حتى عهد الإدريسي القرن السادس هجري حيث وصف قفصة بأنها مدينة حسنة بسورها السليم المتكامل و مياهها الغزيرة و أسواقها النشيطة النافقة التي تغص بالتجار و صناعاتها القائمة و واحتها الفسيحة ذات التمور العجيبة و أرباضها العامرة.

و بحلول عهد دولة الموحدين تغير الوضع تغيرا كاملا فقد كانت مدينة شديدة التعلق باستقلالها و كانت في صراع دائم مع الحكام و كثيرة التمردات و الانفلات من السلطة المركزية و دفعها ذلك ثمن غاليا، حيث هدمت أسوارها و خربت واحتها و أراضيها فأصبح اقتصادها في تراجع مستمر و قد ظهر ذلك عند الجغرافي ياقوت الحموي حينما اقتصر على وصف سالف مساحتها " بلدة صغيرة على تخوم افريقيا... وسط أرض سبخاء قاحلة"[1]. أما قراها و ضواحيها التي كانت أكثر تعرضا لمخاطر الاكتساح و التدمير فقد اندثرت ففي زمن بن الشباط (618-181 هـ/1221-1282م) فيما نقل عنه الوزير السراج[2] " لم يبق منها إلا القليل".

ب-مدينة نفزاوة:

1- شط الجريد الذي كان في القديم يسمى جزيرة تريتونس، ثم سبخة تاكمرت أو فرعون. لعب هذا الشط دور الحد الشمالي و الغربي لبلاد نفزاوة و قد توارثت الروايات وصف صعوبة اجتيازه مما يدل على حصانة المنطقة من هاتين الجهتين، و لعل من أقدم النصوص في ذلك ما كتبه أبو عبيد الله البكري في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي " و من نفزاوة تسير إلى بلاد قسطيلية و بينها أرض سواخة لا يهتدي للطريق

[1]- ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج:4، ص :382.

[2]- مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ،تح: سهيل زكار ، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة ، المغرب ، ط:1 ، 1399هـ ، 1979م ، ج:1، ص : 437.

فيها إلا بخشب منصوبة و أدلاء تلك الطريق بنو موليت لأن هناك ظواعينهم، فإن ظل أحد يمينا أو شمالا غرق في أرض ديماس تشبه في الرطوبة بالصابون و قد هلكت فيها العساكر و الجماعات ممن دخلها و لم يدر أمرها"[1].

و يتحدث الحميري في نفس المعنى عن صعوبة عبور شط الجريد قائلا: " و إذا دخل المسافر هذا الطريق في أيام الصيف يكاد يهلك من حرارة الملح و يرجع ما في الزقاق من الماء العذب ملحا لا يقدر على شربه إلا أن يمزج بالسكر أو العسل"[2].

2- أما شرقا: فإن ما يفصل منطقة نفزاوة عن قابس في البحاير و هي برية قفر تكاد تنعدم فيها حياة الاستقرار[3].

3- و من جهتي الجنوب و الغرب تشكل الصحراء بكثبانها الرملية و قلة مياهه خير حصن أما ما يمكن أن يتهدد نفزاوة من أخطار.

الوضع السياسي:

عبرت جيوش الفتح إلى جزيرة المغرب للمرة الأولى سنة 27 هـ/648 م، غير أن البلاد وقفت تقاوم بصلابة لأكثر من نصف قرن، إذ يؤكد ابن خلدون و بقية المؤرخين أن البربر ارتدوا اثنني عشر مرة من طرابلس إلى طنجة، و لم يستقر اسلامهم حتى أجاز طارق و موسى بن النصير إلى الأندلس[4]، و لعبد الحكم نص يشير إلى فتح نفزاوة في هذه الفترة المبكرة و هو أقدم نص يتحدث عن فتح عقبة بن نافع. يقول عبد الحكم: " فسار(أي عقبة) متوجها إلى المغرب و جانب الطريق العظيم و أخذا إلى أرض مزاتةفافتح كل قصر بها ثم مضى إلى (نقص) فافتح قلاعها و قصورها ثم بعث خيلا إلى غدامس، فافتتحت غدامس، فلما انصرف إليه خيله سار إلى قفصة فافتتحها و افتتح قسطيلية[5].

[1]- البكري ، المسالك، ، ص ص: 47،48.

[2]الحميري (أبو عبيد الله محمد)، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص: 525.

[3]- التيجاني، الرحلة، المصدر السابق، ص ص: 154،155. ابن خلدون، العبر، نفس المصدر، ج: 6، ص :419.

[4]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج:6، ص : 110.

[5]- ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا و الأندلس، ص: 64.

الحياة الاقتصادية:

مما لا يعزوه شك أن النشاط الفلاحي بنفزاوة تمثل في الزراعى ضمن المناطق الواحية و تربية الماشية حولها فقد كانت الواحة سبب وجود القرية و ضمان استمراريتها و كان للماء دور في ذلك.

يقول البكري عند ذكره مدينة نفزاوة بأن لها: " عين تسمى بالبربرية تاورغي و هي عين كبيرة لا يدرك لها قعر"[1].

كما يشير إلى عيون كثيرة حول المدينة و يذكر الحميري أنها على نهر كثيرة النخل و الثمار و حواليها عيون كثيرة[2].

أما الانتاج الفلاحي فشمل مختلف التمور ، و أهم المنتوجات في المنطقة كما أشار التيجاني في رحلته هي: السفرجل و الإجاص و الزيتون. إذ يؤكد أن السفرجل " قل في جميع البقاع ما يناظره أو يقرب منه طيب طعم، و ضخامة جرم و كثرة ماء و خلوص صفاء"[3].

كما ذكر الحميري[4] إلى تنوع الثمار و كثرتها في وحات نفزاوة بالنسبة لبشري: " أن لها غابة كبيرة و هي كثيرة النخل و الزيتون و جميع الفواكه" و أما تلمين فقال عنها "و لها غابة نخل و زيتون و جميع الفواكه". أما طرة فوصفها بما يلي: " لها غابة كثيرة النخل و الزيتون و جميع الفواكه".

الحرف:

إن التطور الديمغرافي لقرى نفزاوة و التقدم العمراني الذي عرفته حتى القرن 5 هـ أدى إلى ظهور بعض الحرف حيث تؤكد الكثير من كتب الجغرافيين العرب عن صناعتين بلغتا درجة هامة من التقدم بنفزاوة و هما:

---

[1]– البكري، المسالك، المصدر السابق، ص: 47،48.

[2]– الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص: 534.

[3]– الحميري، الروض المعطار، نفس المصدر، ص : 118.

[4]– الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص : 118،148،367.

- صناعة الزجاج بطرة و يمتاز بجودة نوعيته و يجهل التقنيات التي استعملت فيه[1].

- صناعة الأنسجة و الملابس الصوفية، و هي أيضا ممتازة النوعية حتى أن أقمشة طرة كانت تصدر إلى الإسكندرية[2]. أما ملابس درجين فقد بقيت مشهورة إلى القرن 6 هـ/12 م، و كان يقارن بها اللباس السجلماسي الممتاز و المشهور مغربا و مشرقا[3].

و من بين الحجج على أن الصناعة النسيجية متطورة في نفزاوة هو أنه سنع بها بساط للمعز الفاطمي عندما عزم على التوجه إلى مصر، و تمثلت الرسمات على هذا البساط في صورة للحرمين الشريفين و العالم المعروف آنذاك. و طمت حواشيه بنقائش الحجارة الكريمة حتى أنه عد من عجائب الدنيا.

المسالك التجارية:

لم يمنع موقع نفزاوة المنعزل من ربطها ببقية افريقية و خارجها عبر عدد من المسالك كانت بلا شك دون أهمية المسالك التجارية الكبرى للمغرب الإسلامي، و لعل أهم المسالك الموصلة لنفزاوة ذلك الذي يربط بمنطقة الجريد عبر الشريط و يحدد اليعقوبي مسافة هذا المسلك فيقول: و من مدائن قسطيلية إلى مدائن نفزاوة ثلاث مراحل[4]، أما البكري فيدقق أكثر إذ يقول : " إن مدينة نفزاوة تقع على ثلاث مراحل من قيطون بياضة، فمن قيطون بياضة غلى مدينة نفطة مرحلة إلى مدينة توزر مرحلة إلى مدينة نفزاوة مرحلة"[5]. و المرحلة تبعا لك ليست وحدة قيس مضبوطة و إنما هي مسافة تختلف من مكان إلى آخر و تتراوح بين 24 و أكثر من 40 كم. و أما الشريف الإدريسي فيحدد مسافة المرحلة الأخيرة زمنيا إذ كتب " و من توزر إلى نفزاوة يوم و نصف يوم كبير"[6].

---

[1]- صبح الأعشى، نفس المصدر، ج:5، ص: 108.

[2]- نفس المصدروالصفحة.

[3]- الجنحاني، المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص: 174. حسن محمد ، المدينة والبادية بإفريقية العهد الحفصي،أوربيس لطباعة ، 1999م ، ج : 1، ص: 296.

[4]- اليعقوبي، البلدان، ص: 102.

[5]- البكري، المسالك، ص ص: 47،48.

[6]- الإدريسي، نزهة المشتاق، المصدر السابق، ج :1، ص: 276.

و يتفق الجغرافيون العرب على وصف صعوبة هذه الطريق نتيجة مرورها بشط الجريد التي يصفها البكري بكونها أرض سواخة " لا يهتدي للطريق فيها إلا بخشب منصوبة فإن ظل أحد يمينا أو شمالا غرق في أرض ديماس تشبه في الرطوبة بالصابون"[1]. و يوافق التجاني البكري في ذلك الوصف إذ يشير إلى وجود: " معالم قائمة من جذوع النخل تمنع السالك من الخروج عن طريقها المسلوك يمينا و شمالا لأن ما على يمينها و شمالها من الأرض مغائص لا تثبت عليها قدم و لا يسلكها أحد جاهل بها إلا غاص فيها[2].

و هذه الطريق تمكن من المرور إلى القيروان إذ يقول البكري: " و تسير من القيروان إلى مدينة نفزاوة ستة أيام نحو الغرب"[3].

كما نجد طريقا أخرى تتجه نحو الشمال انطلاقا من فزاوة لتصل إلى قفصة و قد حدد البكري مسافتها بمرحلتين أما الشريف الإدريسي فقد حددها زمنيا إذ قال: " و منقفصة إلى نفزاوة جنوبا يومان و بعض يوم"[4]. و لعل هذا الطريق هي الطريق القديمة التي تمر بجبل العسكر.

أما نحو الشرق فإن هناك الطريق التي تربط بين نفزاوة و قابس و يقدر البكري مسافتها بثلاث مراحل أي أن المرحلة الواحدة تبلغ حوالي 45 كم، و هذه الطريق تسهل العبور إلى المناطق الساحلية و جزيرة جربة.

ت-مدينة قابس:

إن كانت كلمة قابس عربية فهي كما يقول ياقوت الحموي في معجمه: أقبست فلانا علما و نارا، أو أقبسته فهو قابس[5]. و قد قال الله تعالى على لسان سيدنا موسى عليه

---

[1]- البكري، المسالك، المصدر السابق، ص: 48.

[2]- التيجاني أبو محمد عبد الله بن أحمد، ت رحلة التيجاني، ، الدار العربية للكتاب، ط:2 ،1401 هـ/1981م، ص ص: 154،155.

[3]- البكري، المسالك، المصدر السابق، ص ص: 47:48.

[4]- الإدريسي، نزهة المشتاق، ص: 278.

[5]- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج:4، ص: 289.

السلام: " لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى"[1]. أما ابن منظور فيذكر أن القابس طالب النار و هو فاعل من قبس و القوابس الذين يقبسون الناس الخير أي يعلمون[2].

موقع قابس:

تقع مدينة قابس في الجنوب الشرقي من افريقية على خليج يحمل اسمها. يذكر ياقوت الحموي: " إنها ذات أودية و أنها من عين خرارة تأتيها من الجبل في جنوبها و لها أودية و عيون كثيرة أكبرها عين السلام و عين الأمير و كما أن ساحلها مرفأ للسفن فإن أطرافها تقع على الصحراء الموصلة للطرق التجارية الرئيسية"[3]. أما اليعقوبي فذكر عنها: " و من طرابلس على الجادة العظمى إلى مدينة يقال لها قابس عظيمة على البحر الملح عامرة"[4]. أما التيجاني قال عنها " و مدينة قابس مدينة بحرية صحراوية فإن الصحراء متصلة بها و البحر على ثلاثة أميال منها"[5].

تعد قابس من ضمن بلاد الجريد و قد كان لموقع قابس المطل أولا على الجانب البحري مرفأ للسفن المتوسطة الحجم و كانت تدخل من كل مكان و تستقر في خليجها المتفتح على الشرق من جهة و على أوربا و بقية دول القارة الإفريقية حيث يكمن الذهب و النفائس[6] من جهة أخرى. فكما كانت معبرا للطرق البرية صحراويا بين الشرق و الغرب الغرب و بين الشمال و الجنوب كانت معبرا ساحليا و بحريا ليمر بالمدن الساحلية و المواني.

النشاط الزراعي:

لم تخرج قابس عن مثيلاتها من المدن أو الواحات الصحراوية السابقة فقد كانت الزراعة ركيزة اقتصادها و ذلك لتوفر شروطها.

---

[1]– سورة طه، آية : 10.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، ج:4، ص: 3510، مادة قابس.

[3]– ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج:4، ص: 479.

[4]– اليعقوبي، البلدان، ص: 246.

[5]– التيجاني ، رحلة التيجاني، ص: 78.

[6]– الصادق النهيوم ، موسوعة تاريخنا، ط / ليبيا، ج : 3، ص : 122.

خصوبة الأرض: و كان يستفيدون من طمي الأودية في تسميد الأراضي بالإضافة إلى السماد الطبيعي الذي كانوا يستعملونه.

وفرة المياه: يذكر الإدريسي " أن لها واد يأتيها من غدير كبير و على هذا الغدير قصر سجة و بينه و بين قابس ثلاثة أميال"[1]. و تشتهر قابس بكثرة عيونها بالإضافة إلى العين البيضاء[2] هناك عين زائد، عين المهشومة، عين الترابكة، عين عريس، عين سعد، و أخرى ايضا لم تسمى.

الإنتاج الزراعي:

لم يكن توفر الإنتاج غريبا عن المنطقة فقد توفرت فيها كل الشروط الفلاحية حيث كثر الفواكه من الموز و شجر التوت، حيث تفوت الشجرة الواحدة منها من الحرير ما لا يقوم من خمس شجرات غيرها، و بها قصب السكر كثير و قد أدخله العرب على البلاد و كذلك النخيل بجمع عظيم، و العنب حلاوته لا توصف يذكر صاحب الاستبصار في هذا الشأن أنه ليس ببلاد الجريد عنبا من الحامة و شرابه أطيب شراب و كانت قابس كما يقول المراكشي أخصب افريقيا و أوسعها فواكه و أعنبا[3].

أما الخضر فقد انتشرت زراعتها في جميع أنحاء افريقيا و اختصت قابس بالأنواع الممتازة منها و أشهرها: الخيار، اللوبياء، و الطماطم، و الباذنجان بالإضافة إلى الذرة و الأرز و الفول و العدس و الحمص و القمح و الشعير و الذخن و غيرها كثير[4].

النشاط الصناعي:

لقد كانت قابس من بين المحطات التجارية للفينيقيين فقد اتخذوها مصرفا تجاريا لهم كما استغلوا موارد المنطقة لترويج و زيادة و تحسين منتوجاتهم التي اشتهروا بها مثل

---

[1]- الادريسي ، نزهة المشتاق، ج1 : ص : 280.

[2]- البكري، المسالك، ص : 666.

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص 279. الوزير السراج محمد بن محمد الأندلسي ، الحلل السندسية، تح : محمد الحبيب الهيلة تونس ، الدار التونسية 1970 م ، ج1، ص 334. عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 355.

[4]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج15، ص 141. العمري شهاب الدين ابن فضل الله مسالك الأبصار في مملك الأمصار تح : كامل سلمان الجبوري ، نهدي نجم دار الكتب العلمية ،ط:1 ، 2010 م ج : 1 ، 2 ، ص: 258، 260.

نبات الفوه الدردار و قواقع الموراكس و استخدموها في الصباغة و قد تميزوا بها سابقا، كما ملحوا الأسماك و صدروها بالإضافة إلى صناعتهم للسفن و أدوات الصيد[1].

و قد كان لزيد بن حاتم دور فعال في تنظيم المجال الصناعي بإعطاء الصانع حقه و تنظيم مجاله، كما نظمت كتب الحسبة و النوازل ذلك حيث حددت مسائل النفقات و الملكية و مراقبة الجودة و منع الغش، و توريد حق الدولة في الجباية المفروضة و عدم تهرب أصحاب الحرف من دفع ما عليهم من أموال[2].

و قد زاد من رواج هذه الحرفة توفر الأمن و الاستقرار في الكثير من الوقت بالرغم من وجود بعض الثورات و الفتن من حين إلى آخر.

الصناعات الرئيسية:

القائمة على الزراعة: تمثل في النسيج الذي انفردت به افريقيا و خاصة قابس بالإضافة إلى تجفيف التمر و حفظه في دنانات و عمل العجوة و تجفيف أصناف من الفواكه كالزبيب و المشمش و غيرها. كما اشتهرت بعصر الزيتون و عمل السكر من القصب[3].

القائمة على التعدين:

صناعة متعلقات الزراعة مثل المناجل و الفؤوس و الموازين أما الأسلحة فكانت متنوعة أيضا أهمها السيوف و الرماح و الدروع[4].

القائمة على الحيوان:

مثل دبغ الجلود المشهورة في قابس و غزل الصوف و مصنع الملابس و السجاد.

---

[1]– جمال مختار، تاريخ افريقيا العام اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ افريقيا العام(اليونيسكو) 1985، ج:3، ص 448.

[2]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج:1، ص: 68. حسن حسني عبد الوهاب، ورقات في الحضارة، مكتبة المنار تونس، 1994 ، ج:2، ص ص 72،77.

[3]– اليعقوبي، البلدان، ص: 254.

[4]– الإدريسي، المصدر السابق، ج:2، ص : 376.

الوضع السياسي:

يذكر النويري[1] في شأن فتح قابس: "...فجمع عبد الله بن سعد جيشا عرمرمان فتح بها طرابلس و غنم منها". ثم يقول: "... و معنى حتى نزل مدينة قابس فأشار عليه الصحابة أن لا يشغل بها عن افريقية فسار و بث كل السرايا في كل وجه"[2]. و لم يرد اسمها بالتحديد في فتح العرب للمغرب ككل.

و قد قيل أن الصحابي الجليل أبا لبابة[3] الأنصاري المتوفي نحو عام 40 هـ مدفون بقابس و هذا يؤكد فتحها قبل هذا التاريخ بزمن و من باب قابس قامت جيوش الكاهنة حوالي 74 هـ/694/893 م بطرد حسان بن النعمان خارج البلاد التي جاء بغرض استرجاعها[4]، لكنه لم يستسلم فقد نجح الجيش الإسلامي الفاتح و بسط نفوذه من جديد على المنطقة تحت قيادة حسان بن النعمان و على يد هذا الأخير تأسس النظام الجديد للولاية في افريقيا. و لم تكن قابس بمنأى عن أحداث المغرب و فوضى الثورات حيث شهدت أيضا بعض الثورات مثل ثورة أبي أيوب عكاشة الغزاري الصفري الذي استقر بقابس و هدا نواحيها خاصة القيروان[5] منها في خلال عصر الأغلبي أصبحت قصة لولاية و عملا من ضمن أعمالهم، و لما قامت الدولة الفاطمية أصبحت قابس مع بقية المدن تابعة لها، عهد الفاطميون إلى بني لقمان الكتاميين بولاية قابس و لما انتقل

---

[1]- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (732هـ-1324 م) نهاية الأرب في فنون الأدب، ج: 24، تحقيق: حسين نصار، ط القاهرة، الهيئة للكتاب، سنة 1403 هـ ، ص ص 11،10

[2]- ابن عبد الحكم، فتوح مصر و أخبارها، ص: 193،192.

[3]- " يشير عبد المنذر الأنصاري الأوسي و هو من بني عمرو بن عوف من بني أمية بن زيد و قيل أن اسمه رفاعة لكنه بكنيته أشهر و تواتر أهل قابس بذلك، و قد يكون أتى ضمن جيش الفتح أو في بعض الجرائد (الكتائب) التي كانت ترسل لافريقية". الكلبي: أبي المنذر هشام بن محمد بن الشافعي الكلبي (204 هـ/825م) جمهرة النسب، ط بيروت، 1407 هـ/1986 م، ص: 624.

[4]- ابن عبد الحكم، فتوح مصر و أخبارها، المصدر السابق. ص 31،30.

[5]- الرقيق القيرواني، أبو اسحاق أبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق النديم ، تاريخ افريقياوالمغرب ، تح : عبد العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ط: 1 ،1990م،ص: 34.

الفاطميون إلى مصر و بعد نحو عشر سنوات صارت قابس مع طرابلس تابعة لبني زيري الصنهاجيين الذين عهد إليهم الفاطميون بولاية افريقية[1].

6 برقة:

لقد استعمل العرب تسمية بنطابلس[2] في تعريفهم لبرقة و هي تسمية رومانية أما موقع هذا الإقليم يلي مصر من ناحية الغرب كما أن لم يتفق الجغرافيون المسلمون على تحديد الحد الفاصل بين مصر و برقة إذ يجعله العديد منهم مبهما عند الحديث عن حد مصر الغربي[3].

الوضع الاقتصادي:

1- الزراعة:

توافرت في إقليم برقة الكثير من مؤهلات الزراعة بتنوعها الطبيعية و البشرية فقد زرعت محاصيل كثيرة و اعتمد على سقيها بمياه الآبار و العيون و الأمطار[4] و توجيه الأودية و الأنهار كما استغلت برقة لصهاريج الأرضية التي تعود إلى العصر الروماني في ري بعض المحاصيل الزراعية، و قد كان الشعير يزرع بالقرب من مدينة برقة و أجدابية و بنغازي، و زرعت الذرة في الواحات الجنوبية من الإقليم في أوجلة و ودان حيث كانت تسقى بمياه الآبار و زرع محصول الذرة بمدينة درنة في شمال اقليم برقة بالإضافة إلى محصولي الدخن و البرسيم.

---

[1]- الرقيق القيرواني، تاريخ افريقيا، ص: 35. اليعقوبي، البلدان، ص: 355. حسين مؤنس، تاريخ المغرب و حضارته، ج:1، ص: 204. التيجاني، رحلة التيجاني، ص: 96،97.

[2]- Pantapolis اسم أطلقه الرومان على إقليم برقة نسبة إلى المدن الخمس التي أسسها الإغريق و هي قوريا و أبولونيا و بركا و توكيرا و يوسبريدس.

[3] -F.Rbarr: Geology and archology of norterncyrenaica, Libya. Amsterdam, Holland Breumelholf, 1963, P 9.

ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص: 116.

[4]- العمري، مسالك الأبصار ، ص :163.

بالإضافة إلى زراعة النخيل أما الفواكه في إقليم برقة فيصف البكري مدينة الرمادة بقوله: " حولها بساتين بأنواع الثمار و أهم محصولها كان السفرجل و الأترج و الجوز و التوت و التين"[1].

2- الثروة الحيوانية:

اقترن توزيع الحيوانات في منطقة برقة بالاختلافات في البيئة الطبيعية ففي المناطق الساحلية حيت يتوفر قدر من الأمطار أو في مناطق الواحات حيث توجد المياه الجوفية، تربى الأغنام و البقر و الخيول، لوفرة الحشائش و الغابات و تعيش الإبل في المناطق الصحراوية، و يستفاد منها في رحلات الحج و التجارة كما أنها تستخدم في العمليات الزراعية كالحرث و السقي في مناطق الواحات الزراعية[2].

3- الصناعة:

لم تكن الصناعة في إقليم برقة متطورة فقد كانت ذات أثر محدود فكانت بسيطة بدائية تعتمد في الأساس على المتوجات المحلية (الزراعة، الحيوانات) و طبقا لما كانت تحتاج محليا كانت تنتج نذكر على سبيل المثال زيت الزيتون الذي كان يعصر في برقة و أيضا صناعة السمن الحيواني الذي تميزت المرأة به و كان يعد استخراجه من لبن المخيض ثم تقوم بتسخينه و تضيف إليه قدرا قليلا من الدقيق ثم تفصل الدقيق و تسمى خلاصة الدقيق الممزوج بالسمن باسم الذوبة التي تؤكل في حينها ثم يؤخذ السمن و يخزن[3].

أما الصناعات الفخارية و الخزفية بتنوع استعمالاتها فقد لاقت رواجا على قدر الحاجة كما وجدت بعض الصناعات القائمة على جلود الحيوانات، مثل صناعة الأحذية

---

[1]- الإدريسي ، نزهة المشتاق، ج:1، ص :311.

[2]- د. نقولا زيادة، ليبيا في العصور الحديثة، دار الرائد، القاهرة، 1966م، ص: 11.

[3]- العمري، مسالك الأبصار، ص : 163. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج:1، ص :316. الوزان، وصف إفريقيا ص: 65.

الرجالية و النسائية[1]. بالإضافة إلى صناعة المنسوجات خاصة الصوفية و ذلك طبعا لتوفر الثروة الحيوانية و أهم الصناعات: صناعة بيوت الشعر، السجاجيد، الأغطية[2].

4- مقومات التجارة في إقليم برقة:

يعد الموقع الجغرافي من أبرز مقومات و أهمها التجارة و قد كان لموقع برقة أثر إيجابي في تحريك النشاط التجاري إذ أنه يطل بساحله الطويل على البحر الأبيض المتوسط و الذي يمتد من العقبة الكبيرة شرقا حتى سويقة مطكود غربا و قد ربط هذا الطريق البحري بين الأندلس و بلاد المغرب حتى مصر شرقا كما استخدمه الحجاج و التجار كما انتشرت العديد من الموانئ و المراسي على طول الطريق البحري[3] كما كانت برقة محطة التقاء للقوافل البرية التي تربط مصر بطرابلس و المغرب و بلاد الأندلس و يبلغ طول هذا الطريق خمسة و أربعين مرحلة[4]. و تعددت الطرق البرية التي تمر بالإقليم فمنها الموازية للبحر و كان يسلكها الحجاج و الرحالة كالذي سلكها الرحالة العبدري في طريق عودته من رحلة الحج و يوجد طريق صحراوي يتميز بقصره و أمنه سلكه ابن بطوطة و عبد الباسط بن خليل اللمطي في سفرهما من طرابلس إلى مصر سنة 800 هـ/ 1397م[5].

---

[1]- استعملت النساء في برقة و إلى عهد قريب أحذية تقليدية تشبه الأحذية الصرارة التي تحدث عنها الونشريسي في حديثه عن ملابس النساء بالمغرب، كمال الدين السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في بلاد المغرب من خلال نوازل و فتاوى الونشريسي مركز الاسكندرية للكتاب،ط:1 ، 1997، ، ص: 48.

[2]- تقي الدين المقريزي، المقفي الكبير تح : محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ط : 2 ، 2006 ج:2، ص: 339.

[3]- عبد الفتاح رجب حمد بولبيض، تاريخ برقة الإسلامي في الفترة من القرن الخامس حتى الربع الأول من القرن العاشر هجري من 400-925هـ. منشورات المركز الوطني للمحفوظات و الدراسات التاريخية (دار الكتب الوطنية ببنغازي)، ط:1، 2009، ص: 147.

[4]- المراكشي، المصدر السابق، ص: 282.

[5]- العبدري محمد البلنسي ، رحلة العبدري، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات ، عنابة الجزائر،ط : 1 ،2007 ، ص ص : 200-206.

و كانت القوافل البرية تتزود بالمياه اثناء سيرها عبر هذه الطرق، فقد وصف العبدري آبار و مواضع الماء في الطريق الذي يخترق غابات الجبل الأخضر و يوازي الساحل كما يعبر الطريق الصحراوي بعدد من الواحات التي مثلت نقاط استراحة و انطلاق للتجار و المسافرين إلى مصر و بلاد المغرب و السودان مثل ودان و أوجلة و زويلة و قد بلغت أوجلة قدرا من الرخاء الاقتصادي فقد كانت مليئة بالأسواق[1].

7 طرابلس:

لقد كان لموقع ليبيا الاستراتيجي دور فعال لأن تنسجم و تتصهر فيه العديد من الحضارات و قد ورد اسم ليبيا عند المصريين القدامى حوالي الألق الثانية قبل الميلاد في نقيشة الراجح أن هذا الإسم مشتق من اسم إحدى قبائل البربر و هم الليبوا التي كانت تسكن غرب نهر النيل. و قد استخدم اليونانيون القدامى كلمة ليبيا لتشمل المنطقة الممتدة من غرب نهر النيل إلى المحيط الأطلسي أما العهد الروماني فكان مدلول (أرض اللوبيين) ينحصر في ولاية افريقيا الرومانية.

دلالة الإسم:

هو في الأصل إسم يوناني و لكنه معربو معناه المدن الثلاثة أو الثلاث مدن أي (طرابلس و لبدة و سبرانة) أخر مدينة في افريقية الشرقية و هي أكثر أهمية من مدينة قابس و قد احتفظت بتخطيطها المنتظم الذي يرجع إلى العصور القديمة[2].

أما العهد الإسلامي فقد اتفقت الروايات الإسلامية على أن عمرو بن العاص قد سار إلى طرابلس بعد فتح برقة فحاصرها شهرا ثم فتحها مع بعض جنود الذين اكتشفوا منفذا على البحر ويقول في هذا الصدد اليعقوبي " طرابلس مدينة قديمة جليلة على ساحل البحر، عامرة آهلة و أهلها أخلاط من الناس، افتتحها عمرو بن العاص سنة ثلاثة و عشرين في خلافة عمر بن الخطاب". و من بين جل الرحالة العرب نجد أن ابن حوقل قد أعطى وصفا دقيقا و يكاد يكون شاملا عن طرابلس: " و هي مدينة بيضاء من الصخر الأبيض على ساحل البحر، خصبة، حصينة ذات ربض، صالحة الأسواق، و كان لها

---

[1]– نفس المصدر السابق، ص 481. محمد البشير السويسي، معالم تاريخ واحة أوجلة عبر العصور، البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 2001، ص : 149،150.

[2]– ابن حوقل، صورة الأرض، ص: 68،70.

في ربضها أسواق كثيرة فنقل السلطان بعضها إلى داخل السور، و هي ناحية واسعة الكور، كثيرة الضياع و البوادي و ارتفاعها دون ارتفاع برقة في وقتنا هذا و بها من الفواكه الطيبة اللذيذة الجيدة القليلة الشبه بالمغرب و غيره، كالخوخ و الفرسكو الكمثري اللذين لا شبه لهما بمكان، و رها الجهاز الكثير من الصوف المرتفع، و طيقان الأكسية الفاخرة الزرق و الكحل النفوسية، السود و البيض الثمينة، إلى مراكب تحط ليلا و نهارا و ترد بالتجارة على مر الأوقات و الساعات صباحا و مساء من بلد الروم و أرض المغرب، بضروب الأمتعة و المطاعم و أهلها قوم مرموقون من بين من جاورهم بنظافة الأعراض و الثياب و الأحوال، فيتميزون بالتحمل في اللباس و حسن الصور و القصد في المعاش، إلى مروءات ظاهرة و عشرة حسنة، و رحمة مستفاضةو نيات جميلة، إلى مراء لا يقتر و عقول مستوية، و صحة نية و معاملة محمودة، و مذهب في طاعة السلطان سديد و رباطات كثيرة، و محبة للغريب أثيرة ذائعة، و لهم في الخير مذهب من طريق العصبية لا يدانيهم أهل بلد، إذا وردت المراكب مينائهم عرضت لهم دائما الريح البحرية فيشتد الموج لانكشافه و يصعب الإرساء، فيبادر أهل البلد بقواربهم و مراسيهم و حبالهم متطوعين فيقيد المركب و يرسى به في أقرب وقت، بغير كلفة لأحد و لا غرامة حبة و لا جزاء بمثقال"[1].

الأوضاع الاقتصادية:

الزراعة:

كغيرها من المدن المغربية شكلت الزراعة موردا هاما حيث زاول سكانها[2] هذه المهنة منذ العصور الفينيقية و قد اعتمدت على هطول الأمطار و بعض مصادر المياه الأخرى كالآبار و العيون و الأودية، أما أهم المحاصيل الزراعية:

الحبوب: القمح، الشعير، الذرة، الدخن، البشنة[3].

---

[1]– زياد نيقولا، محاضرات في تاريخ ليبيا، معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، د ت، ص :60.

[2]– الطوير محمد أمحمد، تاريخ الزراعة في ليبيا، مصراتة، 1991 م، ص: 48.

[3]– ناجي محمود، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة عبد السلام أوهم و محمد الأسطى، منشورات الجامعة الليبية ببنغازي، 1970، ص : 40.

الفواكه: الحمضيات منها البرتقال، العنب، التفاح، السفرجل، بالإضافة إلى محاصيل أخرى مثل الخضروات و البقوليات.

الصناعة:

لم تكن الصناعة متطورة و لم تكن ترقى و تتطور كما كانت الزراعة و التجارة فقد كانت محدودة فقد كان سكان المنطقة يقومون بالصناعة من أجل سد حاجياتهم فقط و من أهم طوائف الحرفيين التي عرفتها المدينة خلال هذه الحقبة الحراير باعة الحرير.

الفصل الثاني

جذور الحلف السياسي و تطور النسيج الديمغرافي بصحراء المغرب الإسلامي

- أ – تعريف القبيلة ، تنظيمها ، أقسامها .
- ب– تعريف العصبية ، أنواعها.
- ج – (تأصيل الحلف السياسي) نماذج من القبائل الصحراوية بالمغرب القديم .
- د – التكتل القبلي بصحراء المغرب قبيل الفتح الإسلامي .
- هـ – تطور الحلف الزناتي من الفتح الى القرن الرابع هجري .
- و – قبائل مناطق الشبه الصحراوية .
- ز – قبائل مناطق الصحراوية .
- ح – القبائل العربية.

احتل النظام القبلي مكان مرموقا في الحياة العامة للأقطار المغربية واستمر يحتلها ويطبعها بطابعه إلى عهد قريب ، فخلال قرون طويلة كانت القبيلة هي المحور الذي تدور عليه جميع الحركات السياسية والتقلبات الاقتصادية والتطورات الفكرية والاجتماعية.

أ –التنظيم القبلي:

يقوم النظام الاجتماعي عند البربر عامة على القبيلة التي تعد إحدى أهم دعامات المجتمع البربري التقليدي على النحو الذي كان عليه العرب أيضا، و إذا كان التراث البربري المتواضع لا يسعفنا بنصوص تمكننا من تحديد مفهوم القبيلة و مدلولها قديما، فعلى العكس من ذلك بالنسبة للعرب، فإن لهم تراثا قبليا غنيا بحكم أن القبيلة هي الوحدة الاجتماعية المحورية التي صحبت مختلف مراحل التاريخ العربي القديم و الحديث مما جعلهم يفردون لمصطلح (القبيلة) مؤلفات و أبوابا و محاور[1].

ففي لسان العرب[2]: " القبيلة من الناس بنو أب واحد... قال الزجاج: القبيلة من ولد إسماعيل (عليه السلام) كالسبط من ولد اسحاق (عليه السلام) سموا بذلك ليفرق بينهما، و القبيلة من ولد اسماعيل: الجماعة، يقال لكل جماعة من واحد قبيلة، و يقال لكل جمع من شيء واحد قبيل". و قال الرازي في مختار الصحاح[3]: " القبيل: الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم و الزنج و العرب... و القبيلة واحدة، قبائل العرب و هم بنو أب واحد".كما قسم العرب المجتمع إلى شعوب و قبائل و عمائر و بطون و أفخاذ و عشائر... قال ابن عبد ربه[4]: " الشعوب العجم، و القبائل العرب، و إنما قيل للقبيلة قبيلة لتقابلها و تناظرها، و أن بعضها يكافئ بعضا، و قيل للشعب شعب لأن انشعب منه أكثر مما انشعب من القبيلة، و قيل لها عمائر من الاعتمارو الاجتماع،

1محمد نجيب بوطالب: سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002 ص : 53.

[2]ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، (د.ت)، ، ج5ص : 71.

[3] لسان العرب ،المصدر السابق، ص: 520.

[4] – محمد بن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد، تح : مفيد محمد قميحة ،دار الكتب العلمية، ط :1، 1983 م ، ج : 3، ص : 272

و قيل لها بطون لأنها دون القبائل، و قيل لها أفخاذ لأنها دون البطون، ثم العشيرة، و هي رهط الرجل خاصة".

و قد وردت معظم هذه المصطلحات في القرآن الكريم

المصطلح	النص	السورة و الآية
الشعب و القبيلة	**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿13﴾**	الحجرات 13
العشيرة	**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿24﴾**	التوبة 24
الفصيلة	**وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿13﴾**	المعارج 13
الرهط	**وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ۖ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿93﴾**	هود 92

فالتنظيم الاجتماعي القبلي الذي كان عليه سكان المغرب البتر هو التنظيم الذي يتناسب و طبيعتهم الجبلية و شبه الصحراوية التي عاشوا فيها، فهم أهل بداوة و ليسو أهل قرار، و سكان البادية أحوج ما يكون إلى التعاون في حاجات المعاش كما يقول ابن خلدون[1].

و القبيلة عند البربر عامة تنسب إلى أب أو جد، مما يجعل الرابطة الجامعة بين أفرادها هي الرابطة الدموية نظريا على الأقل، فأبناء القبيلة، هم بنو فلان من الناس أو

[1]ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد الحضرمي، المقدمة ، دار الفكر بيروت . لبنان،1431هـ، 2001 م، ص :132.

بنو علان، لأن " القرابة و الملازمة شرطان ضروريان لوجود العصبية، و هما أيضا اللذان يميزانها عن غيرها من الجماعات، ذلك لأن العصبية بهذا الاعتبار جماعة دائمة، فهي- بذلك- ليست من الجماعات المؤقتة التي تتشكل تلقائيا بمناسبة طارئة في مكان و زمان معينين، بدافع خارجي"[1].

فالنظام الذي يقرون به، و يعملون على استمراره هو النظام القبلي الذي ألفوه، فأصبح مع توالي الأزمان لصيقا بهم، لا يجد الفرد نفسه إلا جزء من هذا النمط الاجتماعي، يمارس دوره كسائر أفراد القبيلة فلا تتحقق حرية الفرد إلا في حرية القبيلة.

يشعر الأفراد في القبيلة برابطة فيزيولوجية قوية تجمع بينهم، مما يجعلهم لا يتوانون في بذل الغالي و النفيس في سبيل الدفاع عن القبيلة و شرفها، و الذود عن حياضها، فلا يتأخر الفرد منهم في نجدة أفراد القبيلة في جميع الظروف و المناسبات[2].

ويتزعم القبيلة شيخ من شيوخها يسمى عادة " أمغار" و يكون الشيخ من أوسط أفرادها و أوفرهم مالا لأنه هو الذي يبادر في حالات الطوارئ إلى البذل من ماله، و ارجحهم رأيا، و أكملهم عقلا لأن ضرورات السياسة تقتضي أن يكون زعيم القبيلة حسن الرأي راجح الفكرة، يتمتع بالسلطة المطلقة في الحرب، لكنه في أوقات السلم لا يتمتع بها، و يمكن أن يستعين بمجلس القبيلة، كمستشارين يساعدونه على إدارة شؤونها بما يحقق مصلحة أفرادها.

هذه القواعد المجتمعية أو القبلية تفرضها في العادة جمعية تلتئم في البداية من زعماء الأسر القريبة، و لا يمليها زعيم القبيلة لوحده بل الأمر موكول لمجلس الشيوخ، و القرارات لا يمكن أن تتخذ بالأغلبية، بل بإجماع الحاضرين[3].

---

[1]- محمد عابد الجابري ، فكر ابن خلدون ، العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، ط: 6 ، 1994م ، ص: 252.

[2] - الجابري ، المرجع السابق ، ص : 252 . بن عميرة محمد ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م ، ص : 22.

[3]- ألفريدبل ، الفرق الإسلامية ، ص : 53.

يكنّ أفراد القبيلة في جموعهم الاحترام و التقدير لشيخهم، و هذا الذي لاحظه ابن حوقل في البربر حتى قال بأن لهم رؤساء " يطيعونهم فلا يعصونهم و يأمرونهم فلا يخالفونهم"[1].

إن تضامن القبيلة (العصبية) مع أفرادها، و مع أي فرد منها مشروط باحترام مصلحة القبيلة و العمل على استجلاب المنافع لها، أو على الأقل عدم التسبب في متاعب و مشاكل قد تعرض كيان القبيلة للخطر، في الوقت الذي يستطيع أن يضمن لنفسه الحماية من القبيلة، و كأن الأمر عقد اجتماعي يحقق أهداف و مستلزمات الطرفين[2].

و قد تنشأ نوع من الطبقية داخل المجتمع القبلي على الرغم من شيوخ الحرية بين أفراد القبيلة، يحدث ذلك بسبب بروز طبقة ثرية مالكة للثروة و بخاصة قطعان الماشية التي تعتبر الثروة الأولى لدى البدوي، فتكون هذه الثروة وسيلة للارتقاء الاجتماعي و تبوء مكانة متقدمة في هرم المجتمع القبلين لأن هذا الثري يحسن توظيف ثروته في خدمة القبيلة فيكون مقصد كل محتاج و معسر.

كما تتشأ داخل القبيلة شريحة واسعة من العامة و هم الذين يتساوون في أوضاعهم، و هناك موالي، و هم الذين ينحازون إلى القبيلة و هم لا يحملون دمها، و هناك أيضا فئة من العبيد، و هم من الأسرى أو يتم ابتياعهم من طرف أسياد القبيلة فيضافون إلى جماعته، و عصبته.

لم تكن القبيلة البربرية قادرة على أن تحافظ على نقائها، فأسماء القبائل التي سيأتي ذكرها كانت تمثل جماعات متفاوتة من حيث الكم العددي و قوتها البشرية، إذ نجد بعضها يشكل أمة قائمة بذاتها كما كانت زناتة أو صنهاجة، فقد كان كل قبيل مكون من العديد من القبائل، لذلك كانت القبيلة الكبيرة تمثل في بعض الأحيان ما يشبه الكيان السياسي الاتحادي، فتدخل فيه أكثر من عصبية أو قبيلة، و يتم ذلك عن طريق حلف جامع، أو عن طريق الغلبة و القهر الذي تمارسه القبيلة الكبرى.

---

[1]– ابن حوقل ،صورة الأرض، ص: 97.

[2] الجابري، المرجع السابق، ص: 255،256.

إن التركيبة السكانية القائمة على النظام القبلي في المغرب عموما كان لها الدور الكبير في قيام أشكال من الهياكل السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية تقوت بفعل العصبية القبلية، فكان لذلك تأثير كبير و حاسم على العلاقات في كامل المغرب. فقد قصد دعاة الشيعة هذه المناطق حاملين مشروع الدولة، فلم يستقروا في افريقية بل تجاوزوها، و لم يكن هذا التجاوز بقصد الابتعاد عن مقر سلطة الولاة، إنما بقصد كسب أنصار جدد في بيئة قبلية تمثل هياكل القبيلة فيها تربة خصبة لانتشار الدعوة و قيام الدولة[1].

و هذا الشكل من الحياة قائم في الغالب على الظعن و الترحال تجعل سكان المنطقة أقل خضوعا للسلط المتعاقبة على حكم افريقية و المغرب عموما، كما ذكر ابن السعيد في هذا الشأن " لا يدخلون تحت طاعة سلطان لامتناع جبلهم العريض الطويل، و لما عندهم من الخيل و الرجالة و الأسلحة"[2]. و لعل ذلك هو الذي جعل ابن خلدون يرى أن أهل البدو هم أقرب إلى الشجاعة من سكان الحضر" لتفردهم عن المجتمع و توحشهم في الضواحي و بعدهم عن الحامية و انتباذهم عن الأسوار و الأبواب قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها إلى سواهم و لا يتقون فيها بغيرهم فهم دائما يحملون السلاح و يتلفتون عن كل جانب في الطرق و يتجافون عن الهجوع إلا غرارا في المجالس و على الرحال و فوق الأقتاب و يتوجسون للنبات و الهيعات و يتفردون في القفر و البيداء مدلين ببأسهم واثقين بأنفسهم قد صار لهم البأس خلقا سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع أو استنفرهم صارخ"[3] ، فتلعب العصبية دورها في هذا المجال .

ب –تعريف العصبية:

العصبية لغة:العصبية في اللغة مشتقة من العصب، وهو الطي والشد، وعصب الشيء يعصبه عصبا طواه ولواه، وقيل شده. والتعصب المحاماة والمدافعة، والعصبة

---

[1] الحبيب الجنحاني: العلاقات السياسية و الاقتصادية بين افريقية و المغرب الأوسط في القرنين الثاني و الخامس للهجرة (الثامن و الحادي عشر للميلاد) كتاب الأصالة (محاضرات ملتقى الفكر الاسلامي الثاني عشر) باتنة 1978، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1982، ص : 341.

[2] ابن سعيد، المصدر السابق، ص :145.

[3] ابن خلدون ، المقدمة، ص : 138.

الأقارب من جهة الأب، وعصبة الرجل أولياؤه الذكور من ورثته سموا عصبة، لأنهم عصبوا بنسبه أي أحاطوا به، فالأب طرف، والإبن طرف، والعم جانب، والأخ جانب، والجمع: العصبات. والعرب تسمي قرابات الرجل أطرافه، ولما أحاطت به هذه القرابات وعصبت بنسبة سموا عصبة، وكل شيء استدار بشيء فقد عصب به. والعصبة والعصابة: هم الجماعة من الناس والخيل والطير لا واحد لها، والعصبة قوم الرجل الذين يتعصبون له وينصرونه، والعصبة جماعة متعاضدة[1]. ومنه قوله تعالى: ﴿ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة...﴾[2]. ومنه الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام، لا تعبد في الأرض"[3].

العصبية اصطلاحا:

تعددت تعاريف العصبية وتنوعت فقد جاء في تهذيب اللغة: "والعصبية أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته، والتألب معهم على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين"[4]. وقد عرفها ابن خلدون بأنها: "النعرة"[5] على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم، أو تصيبهم هلكة..... ومن هذا الباب الولاء والحلف إذ نعرة كل أحد على أهل ولائه وحلفه"[6]. كما استعمل بعض الفلاسفة المسلمين الأوائل أمثال الفرابي مصطلح العصبية

---

[1] ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، ج 4، ص: 2965. مادة عصب/ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1978. د (ط). ج 1، ص: 104. مادة عصب/ مجموعة من الباحثين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، سنة 2004، ص :604، مادة عصب.

[2] سورة يوسف، جزء من الآية: 08.

[3] مسلم، صحيح مسلم، دار المغني، ط 1، سنة 1998، جزء من حديث رقم 1763، ص: 969، باب الامتداد بالملائكة في بدر.

[4] الأزهري، أبي منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تح: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د (ط 8 س)، ج : 2، ص: 49/ ابن منظور، المصدر السابق، ج :4، ص: 2966.

[5] النعرة: بضم النون وفتح العين والعامة تقول النعرة بفتح النون على وزن التمرة، معناها الهيجان والصراخ في حرب أو شر، أو الصراخ لنجدة ذوي الأرحام في حالة تعرضهم لمكروه. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج 6، ص: 4472/ الفيروز أبادي، المصدر السابق، ج 2، ص :144. مادة نعر.

[6] ابن خلدون، ، المقدمة ،المصدر السابق، ص: 142.

بمعنى التغلب، وذلك عند حديثه عن أنواع المدن والتي منها مدن التغلب التي تكون الرئاسة والغلبة فيها للأكثر حسبا ونسبا والأكثر أنصارا[1]، وابن رشد عند حديثه عن المدن الجماعية التي يميزها حكم البيوتات والأسر الكبيرة القائمة على الحسب والنسب[2].

ومن التعريفات الحديثة فقد عرّفها البعض كالجابري بأنها: "رابطة اجتماعية سيكولوجية (نفسية) شعورية ولا شعورية معا تربط أفراد جماعة ما، قائمة على القرابة ربطا مستمرا، يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد كأفراد أو كجماعة وهي القوة الجماعية التي تمنح القدرة على المواجهة"[3]. وهناك من فسرها بأنها: "رابطة الدم" أو "التعاون الاجتماعي" أو "تضامن المحارب" و"التضامن القبلي"[4]، إلى غير ذلك من التعريفات للعصبية والتي تدور في مجملها حول معنيين رئيسيين هما: "الاجتماع" و"النصرة" .

وقد تطور مفهوم العصبية ليصبح تعبيرا عن ارتباط المصالح وتبادل النفع، والحماية في الصراع بين القبائل، فانظم الذليل منهم إلى العزيز، وحالف القليل الكثير، وتحولت فكرة النسب إلى نوع من التعبير التي تعطي للحلف القبلي تبريره النظري ومعقوليته في مجتمع تسوده القيم القرابية النابعة أصلا من منطلق النسب السلالي[5].

نماذج من العصبيات:

سبق في تعريف العصبية على أنها تعصب ذوي القربى والتحالف والتضامن بين أبناء القبيلة، غير أن معناها قد توسع فيه فيما بعد فأطلقت على أنواع أخرى من

---

[1]الفرابي، أبو النصر محمد، السياسة المدنية، الملقب بمبادئ الموجودات، تح: فوزي متري نجار، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط 1، سنة 1964، ص: 90،91.

[2]ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد الأندلسي المالكي، الضروري في السياسة، مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، تر: أحمد شحلان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، سنة 1998، ص: 174،175.

[3]محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، ، ص: 167.

[4]عبد القادر جغلول، الإشكاليات التارخية في علم الإجتماع السياسي عند ابن خلدون تر : فيصل عباس ، دار الحداثة بيروت لبنان ، ط : 2 ، 1989م ، ص: 63.

[5]الأنصاري محمد جابر، التأزم السياسي عند العرب وموقف الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط 1، سنة 1995، ص: 80.

التعصبات بحسب الغرض الذي نشأت لأجله، وإن كان من الصعوبة البالغة حصر أنواعها والتي منها[1].

1- العصبية القبلية (رابطة النسب): يرى ابن خلدون أن منشأ عصبية النسب ومصدرها صلة الرحم فهي مأخوذة منها ومنبثقة عنها، وهي طبيعة فطرية في البشر منذ سيدنا آدم عليه السلام إلى يومنا، تزيد وتنقص بحسب اتصال النسب ووضوحه، وقد بين ذلك في أحد فصول المقدمة بقوله: "إن العصبية إنما تكون من الالتحام بالنسب أو ما في معناه". ويقول أيضا: "وذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل، ومن صلتها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة". ويقول كذلك: "إن نعرة كل أحد على نسبه وعصبيته أهم، وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة على ذوي أرحامهم وأقربائهم موجودة في الطبائع البشرية، وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظم رهبة العدو لهم"[2]. وهذا هو المعنى الحقيقي على حسب اعتقاده لعصبية النسب. لأن قرب النسب يزيد من قوة هذه اللحمة بين الأقارب وذوي الأرحام،

كما يمثل النسب الإطار الحقيقي للقبيلة عند ابن خلدون، فهو الذي يمثل أشكال الانتماء والتحالف والولاء بين أفراد القبيلة، وهو الذي يرسم علاقات القرابة بين أعضائها ويؤدي إلى رسم الفوارق بين المجموعات القبلية التي تتسبب في عمليات التنافس والصراع[3].

إذ يقول ابن خلدون: "فإذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبا جدا بحيث حصل به الاتحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة، فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها، وإذا بعد النسب بعض الشيء، فربما تنوسي بعضا ويبقى منها شهرة فتحمل على النصرة لذوي نسبه بالأمر المشهور منه، فرارا من الغضاضة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب إليه بوجه"[4].

---

[1] الجريسي خالد بن عبد الرحمن، العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، د (ط 8 س)، ص: 32،33.

[2] - ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 141.

[3] - بوطالب محمد نجيب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، سنة 2002، ص : 56.

[4] - ابن خلدون نفس المصدر، ص : 142.

لكن هذه الرابطة بين أعضاء المجموعة القبلية لم تتحد بالقرابة الدموية فقط، بل كثيرا ما حددتها الرابطة السيكولوجية كما سماها الجابري تفسيرا لرأي ابن خلدون[1].

2 – عصبية الحلف والولاء والاصطناع:

تأتي الثانية بعد عصبية النسب من حيث القوة والشدة، فإذا اصطنع أهل العصبية قوما من غير نسبهم أو استرقوا العبدان والموالي والتحموا بهم... ضرب معهم أولئك الموالي المصطنعون بنسبهم في تلك العصبية ولبسوا جلدتهم كأنهم عصبتهم، وحصل لهم من الانتظام في العصبية مساهمة في نسبها كما قال صلى الله عليه وسلم: "مولى القوم منهم"[2]. وسواء كان مولى رق أم مولى اصطناع وحلف[3]، فإن عملية المؤاخاة والإجارة في حالة قبولها من طرف القبيلة، وحق الانضمام والارتباط يظل ارتباطا سياسيا دون أن يكون لها معها صلة القرابة، فتقتصر حقوقها على التمتع بالحماية والرعاية القبلية[4].

فشرف هؤلاء الموالي وعصبيتهم مشتقة من شرف مواليهم، وليس من نسبهم الخاص.فهو ملغى لا اعتبار له، إنما المعتبر نسبة ولائه واصطناعه، إذ فيه سر العصبية التي بها البيت والشرف، فكان شرفه مشتقا من شرف مواليه ولكنهم ليسوا على درجة واحدة في عصبيتهم وانتسابهم لمواليهم، وإنما يكون ذلك بمقدار الالتحام والقدم، والقرب والبعد عنهم. فكلما كان الالتحام قويا حصل المقصود وهو المدافعة والمغالبة التي لا تتم إلا بالنسب لأجل التناصر في ذوي الأرحام والقربى والتخاذل في الأجانب والبعداء... والولاية والمخالطة بالرق أو بالحلف تتنزل منزلة ذلك، لأن أمر النسب وإن كان طبيعيا، فإن هو وهمي، والمعنى الذي كان به الالتحام، إنما هو العشرة والمدافعة وطول الممارسة والصحبة... وإذا حصل الالتحام بذلك جاءت النعرة والتناصر، وهذا مشاهد بين الناس،

---

[1]– محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص: 83.

[2] – البخاري، صحيح البخاري، تح: عبد القادر شيبة الحمد، الرياض، ج 3، ط1، سنة 2008، ص: 546، ح رقم 6522، باب مولى القوم من أنفسهم.

[3]– ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 148.

[4] – نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص: 88.

فالدول العظمى أو الكلية لا تقوم فقط على أساس عصبية النسب، بل تقوم على عصبية الولاء سواء كان ذلك الولاء بالرق أو بالولاء الحزبي[1].

3 - العصبية الدينية:

وتعني الرابطة الدينية التي تجمع بين أفراد المجتمع وتؤلف بين قلوبهم وتوحد وجهتهم إلى الحق، وهي أقوى وأمتن الروابط الإنسانية إطلاقا، وتتغلب على باقي الروابط الأخرى (النسب، الدم، العرق، القومية) [2]. يقول ابن خلدون "وجمع القلوب وتأليفها، إنما يكون بمعونة من الله في إقامة دينه... وسره أن القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل والميل إلى الدنيا، حصل التنافس وفشا الخلاف، وإذا انصرفت إلى الحق ورفضت الدنيا والباطل وأقبلت على الله اتحدت وجهتها، فذهب التنافس وقل الخلاف، وحسن التعاون والتعاضد، واتسع نطاق الكلمة"[3].

وفي رأي ابن خلدون أن العصبية إذا اقترنت بالدين لا يقف أمامها شيء، فإنها تذهب بالشوائب والسلبيات التي في أهل العصبية القبلية، كما يرى أنه لا بد للعصبية الدينية من عصبية أخرى تعززها، ومؤدى هذه النظرة في الواقع أن الدين لا يستغني عن جماعة أو تنظيم يطالب بتحقيقه ويدافع عنه، فإن وجود جماعة أو جهة تحمل هذه الفكرة الدينية وتتبناها يحقق مصلحتين وهما وجود العصبية التي تتم بها المدافعة والحسم المادي (الجماعة)، ووجود الفكرة (الدين) التي تستجلب العصبية وتهذبها وتنقيها من الشوائب التي يفرزها التعصب، إذ أن الدين ينقي العصبية من سلبياتها، ويستثمر إيجابياتها[4].

فالدين لا ينقص شيئ من العصبية إطلاقا، بل ينقلها من إطار ضيق إلى إطار أوسع، من التعصب للنسب الخاص إلى التعصب للنسب العام، والعصبية التي كانت مفرقة قد جعل الدين منها عصبية جامعة، والحروب والغزوات التي كانت تنهك باستمرار

---

[1] هشام بن حسن العطار،أثر الإسلام في نظرة ابن خلدون للإنسان والأديان، رسالة ماجستير، جامعة محمد بن سعود، الرياض، السعودية، (1421هـ/2001م)، ، ص: 539،540.

[2] هشام بن حسن العطار،المرجع السابق ،ص : 530.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص :142.

[4] جاسم سلطان، فلسفة التاريخ (الفكر الإستراتيجي في فهم التاريخ) مؤسسة أم القرى لترجمة والتوزيع القاهرة ، ط:1 سنة 2005 .، ص : 36.

كيان هذا المجتمع العصبي المتنقل، أصبحت بتأثير الدعوة الدينية فتحا للبلدان واستتباعا للأمم، ثم إن الصراع العصبي الذي كان من قبل بين العصبيات الخاصة، أصبح بفضل الدين صراعا هادفا تقوده عصبية عامة ضد الأمم والشعوب[1]

4 – **عصبيات المصلحة :**

تحدث هذه العصبيات نتيجة عوامل سياسية أو اجتماعية واقتصادية معينة تجتمع فيما بينها، بحيث تجمع المصلحة المشتركة والمنفعة المتبادلة بين أفرادها، فتقوى شوكتها وتطمح إلى الملك مستغلة العوامل الطارئة فيتحقق لها، ولكن هذه العصبيات مهما بلغت من القوة فهي ضعيفة ولا تتوفر لها أسباب الاستمرار لأنها مرتبطة بالعوامل الطارئة ويذكر ابن خلدون نوعين منها:

أ– حصول بعض العصبيات لأهل الأمصار عند نزول الهرم والضعف بالدول الكبيرة العامة، فيحتاج أهلها حينها إلى من يقوم بأمرهم ويحمي بلدهم، وفيها يقول ابن خلدون: "فيعصوصب كل لصاحبه ويتعين الغلب لبعضهم، فيعطف على أكفائه ليقص من أعنتهم ويتبعهم بالقتل أو التغريب حتى يخضد منهم الشوكات النافدة، ويقلم الأظفار الخادشة، ويستبد بمصره أجمع"[2].

ب– قد تحدث العصبية لبعض الأوغاد والسفلة من الناس، فيحاولون السيطرة على الأمور والتغلب على أشراف تلك الأمصار، مستغلين ضعف الدولة حيث يقول ابن خلدون: "وقد يحدث التغلب لبعض السفلة من الغوغاء والدهماء، وإذا حصلت له العصبية الالتحام بالأوغاد لأسباب يجرها له المقدار فيتغلب على المشيخة والعلية إذا كانوا فاقدين للعصابة"[3]. وهذه العصبية كسابقتها معرضة للزوال فورا استعادة الدولة لقوتها أو قيام غيرها مكانها.

ومما سبق نستنتج أن العصبية التي تكون في النسب إنما تكون عصبية خاصة، ضيقة، ومتفرقة بين العصائب، لكن بفضل الدين تصبح عصبية عامة، تجتمع كلمتها على الحق وحسن التعاون، ونشر الدين، وفتح البلدان.

.[1] الجابري، المرجع السابق، ص : 188 .

[2] - ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 382.

[3] نفس المصدر، ص : 383 ، هشام بن حسن العطار، المرجع السابق، ص: 541،542.

أهمية العصبية :

حدوث التعاضد والتناصر والتآزر بين أفراد العصبية الواحدة:

تعد الوظيفة الرئيسية بحيث تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم من طرف العدو، وتكون الحماية والمدافعة بها والمطالبة والمغالبة وغيرها. وهذا لا يمكن حصوله إلا في حال الالتحام فيما بينهم والوقوف معا ضد عدوهم المتربص بهم ويقول ابن خلدون في هذا: "ولا يصدق دفاعهم وذيادهم إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد، لأنهم بذلك تشتد شوكنهم ويخشى جانبهم إذ نعرة كل واحد على نسبه وعصبيته أهم إذ نعرة كل واحد على نسبه وعصبيته أهم... وبها يكون التعاضد والتناصر، وتعظم رهبة العدو لهم"[1].

ويدعم العصبية أمران هما: الاحترام الذي يشعر به أفراد القبيلة دائما نحو العادة، وحاجتهم المستمرة إلى الهجوم والدفاع، فالأمر الأول يصور أعضاء القبيلة ملتفين حول حاملة السلاح لتدافع عن أفرادها ومتاعها وكرامتها، فهذان المظهران للعصبية يتفقان ويتضافران بشدة لأنه إذا اضمحلت العصبية داخل القبيلة ألفت نفسها فريسة للحروب الداخلية، ومهاجمة أعدائها لها من الخارج[2]

و البناء القبلي في بلاد المغرب لا يختلف عمّا هو عليه في المشرق على أن أنه يستبعد حدوث بعض التباين و الاختلاف الذي يعود إلى حقبة تاريخية سبقت الفتح الإسلامي و على الرغم من الغموض الذي يكتنف موضوع البناء القبلي في المغرب الإسلامي فإنه يمكن الاستعانة بما جاء في كتب الأنساب و طبقات القبائل العربية لتقريب الصورة المطلوبة في المغرب.

---

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 152،153.

[2] – حسين طه، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، تر: عبد الله عنان، مطبعة الاعتماد، مصر، ط1، سنة 1925 ص :107.

و إجمالا فإن التقسيم العربي المتداول يكون إما في ست مراتب أو عشر مراتب.

الجذم	يعد أقصى و أول الطبقات و لغة هو المقطع أي قطع كل بحث في تسلسل الآباء و أسمائهم لتعذر الأمر بعد مرتبة الجذم، كما يعد الجد الأكبر للبتر و هو مادغيس الأبتر في مرتبة الجذم و جد البرانس كذلك (برنس)
الجمهور	و يسمى التجمهر بمعنى الإجتماع و الكثرة و يأتي هذه المرتبة كطبقة ثانية تلي الجذم في التقسيم العشري.
الشعب	ما تشعب من قبائل العرب و العجم و الجمع شعوب و هو أيضا القبيلة العظيمة و قيل أكبرها الشعب ثم القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة بالكسر ثم البطن ثم الفخدو شعب الشيء فرقه و شعبه أيضا جمعه من باب قطع و هو من الأضداد و الشعبة واحدة الشعب و هي الأغصان و جمع شعبان شعبانات.
القبيلة	سميت بهذا الإسم لإطباق تجمعاتها التي هي العمائر و ما دونها على بعضها، أخذا م نقبائل الشجرة التي هي فروعها كما في قول الزجاج أو من قبائل الرأس التي هي عظام الجمجمة كما في قول الأكثر و الشعب هو الذي يجمع القبائل و متى تقادم الزمان و طالت الأنساب تحولت القبائل إلى شعوب و هي معرفة بشكل أبسط إلى مؤسسة مجتمع طبيعي يتعصب لأب أعلى في سلسلة النسب المشتركة، فذلك المجتمع له صفات و سمات خلقية و خلقية متجانسة و متشابهة و ليست كثرة العدد شرط فيه و إنما العصبية
العمارة	قيل في لسان العرب " العمارة و العمارة: أصغر من القبيلة و قيل هو الحي العظيم الذي يقوم بنفسه ينفرد بظعنها و إقامتها و نجعتها، و هي من الإنسان الصدر، سمي الحي العظيم عمارة بعمارة الصدر و جمعها عمائر. قال الجوهري: " و العمارة القبيلة و العشيرة..." و هي الطبقة الثالثة في التقسيم السداسي و تنشأ هذه الوحدة الاجتماعية بإنقسام القبيلة على عمائر تبعا للتكاثر الذي حدث، و للتشعب الكثيف في الوحدات الصغرى و ذلك عندما يتكاثف أعضاء الوحدة نفسها، فتتفرع عنها، و بجوارها وحدة شقيقة متماثلة لها و يقرن النسابة العرب هذه المرتبة بقريش أو بكنانة فكليهما في مرتبة العمارة.

البطن	قيل في لسان العرب " و البطن: دون القبيلة، و قيل: هو دون الفخذ و فوق العمارة، مذكر و الجمع أبطن و بطون" و هي الطبقة الرابعة و يأتي نتيجة الإنقسام الذي يحدث في الوحدة الأعلى.
الفخذ	قيل في لسان العرب " و فخذ الرجل: نفره من حيه الذين هم أقرب عشيرته إليه و هو أقل من البطن. قال الكلبي: الشعب أكبر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ. قال أبو منضور و الفصيلة أقرب من الفخذ و هي القطعة من أعضاء الجسد" و يعد الفخذ الطبقة الخامسة و تنشأ من جراء انقسام البطن إلى أفخاذ أو تشعب الوحدة ذاتها. و هو شكل من أشكال التنظيم القبلي و يكون وحدة إجتماعية أعلى من العشيرة، و ضرب مثل بآل عبد مناف بطن و اقسامه من الأفخاذ: بني هاشم بني عبد شمس و بني المطلب و بني نوفل.
العشيرة	عرف ابن دريد في جمهرة اللغة " عشيرة الرجل بنو أبيه الأدنون الذين يعاشرونه" و قيل في لسان العرب: و عشيرة الرجل بنو أبيه الأدنون و قيل: هم القبيلة و الجمع عشائر و النظام العشائري في المغرب يسود الأرياف و الصحارى، ففي الأرياف كان هذا النظام بالقرى و أطرافها حيث تشمل كل قرية على وحدات اجتماعية معينة يمكن تسميتها بالعشائر و هذه الوحدات تأتي في المرتبة الثانية بعد مرتبة العائلة (أي الرهط) نحو الأعلى أما المناطق الصحراوية فقد لجأت العائلة فيها إلى الاتحاد مع غيرها من ذوي القربى بقصد التعاون على العيش و الكسب و الحرب، فنشأت بذلك عشائر، ثم الأفخاذ ثم البطون، فالقبائل...إلخ.
الفصيلة	عدها بعض النسابة الطبقة السادسة من طبقات النسب و عرفوها بأنها ما نقسم فيه أنساب الفخذ و مثلوها بالركبة التي تنفصل من الفخذ، فالفصائل هم الأحياء جمع حي، حيث انفصلوا من الأفخاذ كحال آل العباس و آل أبي طالب. و يعتبر التلاحم بين أعضاء الفصيلة اشد و أمتن من التلاحم الحاصل في مراتب أعلى للقرب اللحمة بينهم و قد ورد ذكرها في القرآن الكريم.

الرهط	بمعنى الأسرة و يزعم بعضهم بأنها أقل من الأسرة إذ يذكر " الرهط دون العشرة و الأسرة أكثر من ذلك" و قد جاء في القرآن الكريم: " و كان في المدينة تسعة رهط" سورة النمل الآية 48. و الأسرة في بلاد المغرب تعرف بالعائلة.

ج – تأصيل الحلف السياسي بالمغرب القديم :

لم يكن الحلف القبلي وليد الفتح الإسلامي أو بمجيئ العرب للمنطقة بل يرى المتتبع للأحداث التاريخية وخاصة السياسية لتاريخ المغرب عموما أن هذه الظاهرة قديمة بالمنطقة وهذا ما تمليه الفطرة الإنسانية التي تبحث دوما عن الأمن وتوفير القوت والدّود عن الأرض والشرف ، وسوف نحاول تأصيل ظاهرة الحلف القبلي بالمناطق الشبه الصحراوية والصحراوية باختصار إنطلاقا من عصر السيادة الرومانية، مبرزين أهم القبائل بهذه المناطق ودورهم السياسي (الحلف السياسي) بالمنطقة حتى الفتح الإسلامي.

إن الاستقرار البشري بشمال إفريقيا قديم جدا تجسد قدمه في الآثار المتنوعة التي اكتشفت و لا شك أن المجتمعات التاريخية في الشمال الإفريقي القديم شكلت امتدادا لمجتمع الحضارة القفصية و العاترية و مجتمع حضارة الفن الصخري في الطاسيليناجرّ، و الشعب الإفريقي (البربري) هو أحد الشعوب السبعة القديمة الوارد ذكرها في المصادر مثله كمثل المصريين و الإغريق و الفرس و غيرهم[1].

[1] –Camps (G): Recherchessur les relations du capsiensupérieur et de l'i'hérom au rusiendans le Constantinois, In Bulletin de la sociétéd'histoirenaturelle de l'Afrique du nord, T.46.1955.pp 88-97

و من بين أبرز المهتمين بالمغرب القديم المؤرخ اليوناني هيرودوت[1] حيث سجل لنا العديد من الأحداث و ذكر الكثير من الأوصاف عن هذه البلاد غير أن ذلك لا يفي الباحث مؤونة في رسم خريطة بشرية واضحة.

و مع ما تتضمنه النصوص القديمة من فجوات فإنها لا تخلو من أهمية تاريخية و قد أكدت المعطيات الأثرية و الدراسات الأنتروبولوجية صحة ما أورده المؤرخ اليوناني هيرودوت بسكان ليبيا القديمة و يمكن إدراج ما أخبرنا به هذا الأخير من معلومات ضمن ما يسمى اليوم بمعلومات الأنماط و المتمثلة بتصنيف السكان حسب مواردهم المعاشية.

يذكر هيرودوت : " اشرت إلى الليبيين البدو الذين سكنوا على طول شاطئ البحر و فوقهم و في الداخل البلاد توجد ليبيا الحيوانات المتوحشة و فوق هذه المنطقة يقوم مرتفع رملي يمتد من طيبة في مصر حتى أعمدة هرقل... و فوق هذا المرتفع نحو الجنوب و داخل ليبيا، فإن البلاد صحراء، بدون ماء بدون حيوانات بدون أمطار، بدون أخشاب، و محرومة من أية رطوبة..."[2].

---

[1]– و هو الملقب بأبي التاريخ الذي أفرد (لوبية) بقسم هام من كتابه، و قد نقل المؤرخ الفرنسي ستيفان غزيل كل ما يتعلق بإفريقيا الشمالية من أخبار هيرودوت إلى اللغة الفرنسية و علق عليه تحت عنوان " نصوص تتعلق بتاريخ افريقيا الشمالية"، و اعتمد عليه كثيرا في تحليل الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية للسكان اللوبيين القدامى ضمن كتابه الشهير " تاريخ افريقيا الشمالية القديم" غير أن أخبار هيرودوت لا تغطي جميع أجزاء المغرب القديم، إذ فيها تركيز على الجهة الشرقية و الجنوبية من البلاد دون غيرها و يأتي في المرتبة الثانية من الإغريق الذين اهتموا بأخبار اللوبيين وسترابون الذي خلق لنا معلومات بالغة الأهمية حول الأرض و السكان ضمن الكتاب السابع من مؤلفه " الجغرافيا"، ثم الجغرافي الشهير بطليموس الذي تعد خريطته عن شمال إفريقيا من أهم الأعمال النادرة في التاريخ القديم. أما الرومان فأشهرهم بلينوس القديم صاحب كتاب " التاريخ الطبيعي" الذي سيملي فيه معلومات قيمة تتعلق بسكان المنطقة و أوطانهم و طبيعة بلادهم ثم بقية الإغريق و اللاتين الذين تركوا لنا معلومات مقتضبة عن السكان الأصليين في المغرب الروماني لكنهم لم يفردوا هؤلاء السكان باهتمام خاص و إنما كانوا يوردون أخبارهم عرضا من خلال كتاباتهم في موضوع أو آخر من مواضيع عصرهم. محمد البشير الشنيتي، نوميديا و روما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية و اجتماعية في ظل الإحتلال، مؤسسة كنوز الحكمة، ط1، 2012، ص: 191.

[2] –ST.Gsell: Hérodote–textes–relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord–Alger,1915, PP 19–25

و هذا النص الذي أورده هيرودوت نلاحظ أنه أعطى أهمية كبيرة للظاهرة الصحراوية، مما جعل الجفاف هي الظاهرة الموجهة لنمط العيش و حتى السلوك اليومي و التنظيمات الاجتماعية[1].

أما بالنسبة للمجموعات البشرية التي تردد ذكرها في النقوش الأثرية و النصوص الأدبية هم الموريون في الغرب و النوميديون في الوسط و الشرق و الجيتوليين في الداخل بمحاذاة الموريين و النوميديين. ثم الفاروزيون في الجنوب الغربي و الغرامنتيون في الجنوب الشرقي. و تتضمن كل مجموعة كبرى من التي سلف ذكرها قبائل كثيرة عتيدة اشتهر بعضها في تاريخ المقاومة ضد الاستعمار الروماني، كقبائل البقواط و البوار المنتمية إلى بلاد المور (موريطانيا)، و قبائل الموزولامي الضاربة في بلاد النوميديين و الجيتوليين، ثم قبائل الحلف الخماسي المعروفة بشمال الصومام[2] و ما يلي نماذج من بعض القبائل الصحراوية بالمغرب القديم التي تكتلت وتحالفت لدرئمضالم عنها أو لصد عدو تعدى على ديارها أو لتوفير قوت عيشها :

الجيتول:و هم الذين شبهوا من طرف سترابون بالعرب البدو و كانت هذه القبائل منتشرة ما بين المحيط الأطلسي غربا حتى فزان شرقا و هي بهذا الانتشار لم تكن عصبة واحدة أو اثنية واحدة بل كانت متعدد الإثنيات و الأصول فقد جمعها إطار جغرافي متجانس نسبيا تمثل في السهوب و المرتفعات الجنوبية و حواف الصحراء الشمالية و هذا ما تمثل في الإقليم الإنتقالي الطبيعي بين التل و الصحراء و الغالب عليه الاقتصاد الرعوي و يذكر استرابون أن بعض الجيتوليين كانوا جبليين عتاة تمسكوا بسلسلة جبال الأطلس الصحراوي الموازية لجبال الأطلس التلي و أنهم أيضا كانوا رعاة نموذجيين و خيولهم و أبقارهم كثيرة العدد و أنهم أقوى الأمم اللوبية على الإطلاق.[3]

و قد جاء وصف بعض القبائل الجيتولية عند بلينوس بولاية موريطانياالطنجية بأنهم قوم متحركون يتحينون الفرص لاجتياح أراضي جيرانهم و حدد بومبونيوس ميلا موطنهم

---

[1]– هاشم العلوي القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى، المرجع السابق، ج1، ص: 211.

[2] محمد البشير الشنيتي ، نوميديا وروما الإمبراطورية ، المرجع السابق ، ص ص :191 ،210 .

[3] محمد البشير الشنيتي ، نوميديا وروما الإمبراطورية ، المرجع السابق ، ص :207 .

بأنها تمتد غربي مصر و شمالي اثيوبيا و أنهم شعب كثير العدد. بينما ذكر بطيموس أنهم كانوا منتشرين جنوبي المقاطعة الإفريقية و الموريطانية[1].

دورهم السياسي بالمنطقة:و من الوجهة السياسية كان الجيتوليون يمثلون شريحة سكانية مندمجة مع الشمال نسبيا من الناحية الإدارية، فهم موريون في الغرب الجنوبي و نوميديون في السهوب و المرتفعات الجنوبية الجزائرية التونسية وقد ظل الجيتوليون يكونون مصدر قلق للسلطة الرومانية، و خاصة ضد المؤسسات الزراعية في الأقاليم التي ألفت القبائل الجيتولية الانتجاع فيها. و قد بذل الرومان جهودا مضنية للحد من تحركاتهم الجماعية فشتتوهم و وجهوا تنقلاتهم و عملوا على امتصاص اليد العاملة منهم، كما استفادوا من شجاعة رجالهم في تغذية فرق الجيش المساعدة، إذ أن هؤلاء البدو كانوا يبدون للعسكريين الرومان كما بدو للقرطاجيين من قبل، أكثر الأقوام توفرا على الروح العسكرية، فهم بهذا الوصف كانوا يمثلون خزانا بشريا ثمينا لا ينضب معينه في نظر القادة العسكريين الرومان و كان الجيتوليون قد ظهروا في جيش حنبعل القرطاجي خلال الحرب البونيقية الثانية، كما ورد ذكرهم في جيش ماريوس ضد يوغرطة[2].

تمرد الجيتول و تحالفهم مع الموزيلامي ضد الرومان:

لم تدم هذه الانتفاضة سوى ثلاثة سنوات لكن كان لها بالغ الأثر على الرومان للخسائر المتكبدة و زعزعة الأمن الذي أثر بدوره على المردود الاقتصادي للمنطقة، فلم تكن تخمد ثورة حتى تثور أخرى و كانت هذه المرة في المناطق الجنوبية حيث قبائل الجيتول و قبائل الموزيلامي[3]. و قد أشار الباحث ايرنستمبرسي إلى أن قبائل الجيتول كانوا كثيري الانتفاضة ثوار متمردين ضد أية سلطة (كما الحال لزناتة في العهد الإسلامي) و قد بلغ تمردهم أشده أثناء حكم الملك يوبا الثاني لعرش موريطانيا القيصرية إذ لم يكن سوى ممثلا عن السلطة الرومانية، فزاد سخطهم و غضبهم على سياسته و ولائه، و لم يروا فيه إلا عميلا للمحتلين، و امتدت هجمات القبائل الجيتولية خلال فترة

---

1 – محمد البشير الشنيتي، نوميديا و روما الإمبراطورية، المرجع السابق، ص: 207،208

2 – محمد البشير الشنيتي، نوميديا و روما الإمبراطورية، المرجع السابق، ص: 208،209.

3 –Behabou (M), La résistance Africaine à la romanisation, éd, Maspéro, Paris, 1975, P 48.

التمرد تلك على كل من يحمل صفة الروماني بسلب و إحراق مزارع المستوطنين و الإغارة على مراكز إقامتهم و قد امتدت هذه الثورة حتى قبائل الموزيلامي جنوب الأوراس[1].

و قد أعطت هذه الانتفاضة رغم قصر مدتها الكثير من الدلالات و ذلك ما يبرز الرد العنيف من قبل الجيش الروماني و جيش يوبا الثاني الذي توغل حتى في عمق أملاك القبائل الموزيلامية لإنهاء الثورة من جهة و تفكيك التحالف الموزيلاميالجيتولي من جهة أخرى تنفيذا على ما يبدوا لرغبة الرومان في ذلك لأنهم رأوا في التحالف خطرا على تواجدهم في الشمال النوميدي، لاسيما و أن هذه الثورة على امتدادها الجغرافي شكلت امتداد للمقاومة النوميدية التي كافحت الاحتلال الروماني و تصدت على أراضيها. كما أن قبائل الجيتولكانوا يمثلون عمقا استراتيجيا و سياسيا بالنسبة للمملكة النوميدية، كما كانوا على إدراك و وعي بأن الاحتلال الروماني سيجلب لهم نفس المصير الذي لقيه بنو جلدتهم في الشمال [2].

و حتى يعيق الرومان تحركات قبائل الموزيلامي في جنوب الأوراس قاموا بتعزيز المراقبة العسكرية من خلال إقامة الفيلق الثالث الأغسطي في أمايدارا (حيدرة) جنوب شرق أراضي القبائل الموزيلامية[3] كما قاموا بدفع أحسن القادة العسكريين لديهم لمقاومة الثورة حين شعروا بالخطر[4].

---

[1] –– Mercier (E), Opcit, P 91.

[2]– محمد البشير الشنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، ص: 48.

[3]– و من جهة أخرى ففي بداية عقد القنصل ل. نوينيوسآسبريناس أي في سنة 14م تم إنجاز طريق استراتيجي يربط مقر معسكر الفليق الثالث الأغسطيبأمادارا إلى تاكابي (قابس) مرورا بكابس (قفصة) هذا الطريق الذي من شأنه أن يقطع الاتصال بين قبائل الموزيلامي و القبائل المجاورة لها من الجنوب الشرقي، و يبسط مراقبة الرومان للهضاب العليا الواقعة في منطقة الشطوط غرب سرن الصغرى.

Benabou (M): La résistance …, P 65.

[4]– تغيير الرومان للقادة العسكريين و إرسالهم للتعزيزات العسكرية إلى الجنوب النوميدي يندرج ضمن إطار التهديدات و الخطورة التي كشلتها ثورات القبائل الجيتولية على التواجد الروماني في المنطقة من جهة و من جهة أخرى زعزعتها للحدود الجنوبيةلموريطانيا القيصرية و ملكها يوبا الثاني لمدة طويلة قاربت الثلاثين سنة.العيد بشي إبراهيم، تاريخ

و من بين الطرق التي استعملها الرومان للتخلص من خطر القبائل الجيتولية حاولوا تشتيت تحركاتهم و قواهم و تنقلاتهم الجماعية تارة و تارة أخرى قاموا بإغواء و جلب شبانهم كعمال في المؤسسات الاقتصادية الرومانية بهدف رومنتهم، إضافة إلى العمل على استغلال شجاعة رجالهم و اتسامهم بالروح العسكرية في تزويد الفرق المساعدة للجيش الروماني مثل ما فعل حنبعل من قبل، حيث جند الكثير منهم في الجيش القرطاجي في خلال الحرب البونية الثانية، و ذلك في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد و هذا ما ذكره تيتيوسليفيوس[1].

تحالف قبائل الجنوب الشامل مع تاكفاريناس :

لقد كان سبب هذه الثورة و التحالف القبلي ، اقتصادي بالدرجة الأولى حيث قام الرومان بشق الطريق الايستراتيجي الرابط بين كاسترايبرنا الواقعة بين مدينتي تبسة و قابس مرورا بحيدرة و قفصة و ذلك سنة 14 للميلاد، مما أدى إلى إعاقة تنقل القبائل الموزيلامية و الجيتولية المرتحلة و شبه المستقرة عن ممارسة حرفتها (رعي المشاية) و التي تقتات منها بالإضافة إلى غطرسة الرومان من خلال اغتصاب أراضي أصحابها و جعلها تحت رعاية الإيطاليين و الجنود بالإضافة إلى سوء المعاملة و الاستعلاء و الغطرسة التي مورست على السكان المحليين[2].

المجال الجغرافي للثورة:

لقد اعتمد تاكفاريناس أساسا و بداية على قبائل الموزيلامي الواقعة مجالاتها ضواحي الأوراس غلى قفصة شرقا شاملة السفوح المحيطة بالكتلة الأوراسية، و اتسعت رقعة الحرب المعلنة ضد الرومان و حليفهم الملك يوبا الثاني بإنضمام ازيبا إلى

مختصر لأهم حضارات الشرق القديمة، دراسة حضارية في قبل التاريخ و عبر التاريخ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2007، ص: 187.

[1]- Tite-live.XXIII,18.1

[2]- و هذا ما أكده الباحثان أ. بيجانيول و ر.لورون فيبار إلى أن ثورة تاكفاريناس قامت على إثر المساس بمعاش هذه القبائل الرعوية خاصة. ينظر:

Piganiol (A) et Laurent Vibert (R), recherchesarchéologiques à Ammaedara(Haidra), M.A.H.N°1,Vol 32.1912, PP 69-229.

تاكفاريناس و تشكيل تحالف موزلامي موري و قد توسع الحلف ليشمل قبائل كثيرة أهمها الجيتول و الغرامنت و معظم هذه القبائل قاطنة في مناطق الهضاب و السهوب و جنوبهما[1].

الغرامنت:

" و أما في الداخل فيعيش الجرامنت في المنطقة المعروفة بمنطقة الحيوانات البرية و يقول هيرودت في الجزء الرابع الفقرة 183: " و على مسيرة عشرة أيام اخرى من أوجلة يوجد تل آخر من الملح تتوسطه عين ماء و حولها الكثير من النخيل المثمرة، و يسمى الأهالي الذين يسكنون هذه الجهات بالجرامنت و هم أمة كبيرة من الناس"[2]. و قد تعرض هيرودوت للكثير من ملامح حياتهم و أنشطتهم في معرض حديثه عن الصحراء .

بنى الجرميون الحصون، و القصور، و القلاع في مختلف ارجاء المملكة التي أصبحت مملكة مترامية الأطراف و كان الشعب الجرمي شعبا قويا امتلك المقومات التي كون بها دولة استطاع الوقوف من خلالها في وجه الرومان، و امتلك الجرميون المهارات التقنية و الخبرات القتالية و استطاعوا السيطرة على كل القبائل المجاورة لهم.

كما سيطر الجرميون على مجموعة الأودية و الواحات الصحراوية المترامية الأطراف و وحدوها تحت سيطرتهم[3].

أ التحديد الجغرافي لبلاد الجرامنت:

يعد إقليم فزان الواقع جنوب ليبيا لبّ قبائل الغرامنت و قد كان سابقا شاسع المساحة يصل امتداده من الناحية الشمالية على طول السفوح الجنوبية لجبل نفوسة مشتملا أيضا على بعض المرتفعات أبرزها جبال الصالحات و مسلاتة و وادي زازامت و واحات بونجيم و جالوا، و كانت منطقة غدامس من بين المواقع الهامة في إقليم فزان. أما شرق هذا الأخير فتمثل في منطقة واحات الكفرة، و إقليم برقة و هضبة التبسي من الناحية الجنوبية

---

[1]- Servier (J), Les berbères, (Que sais-je?), 1 émeédition, Dahlab, Alger, 1994, P 50.

[2]- Herodotus, Historia, Translated by A.D.Godley Harvard Univercity, Press, London, P 183.

[3]- محمد سليمان أيوب، جرمة: من تاريخ الحضارة الليبية، ط1، دار المصراتي للطباعة و النشر، طرابلس، ليبيا، 1969، ص: 9،10

و جبل طومو الذي يفصل بين ليبيا و التشاد حاليا و هضبة الطاسيلي في الجنوب الغربي أما من جهة الغرب كانت تحده المنطقة الوسطى من شرق الجزائر و المسماة بالعرق الشرقي الكبير[1].

أ- التنظيم السياسي لقبائل الغرامنت:

ذكر كل من بطليموس و سترابون أن الغرامنت كانوا محكومين من طرف ملك غير أن هذان الأخيران لم يقدما تفاصيل عن نظام الحكم السائد أو كيفية انتقاله و كان للملك الكلمة العليا في المملكة و كان له مساعدين (حكام أقاليم) حيث كانوا ينوبون عن الملك كما كان عليهم دفع الضرائب للملك و إمداده بالمقاتلين في وقت الحرب، و من خلال التجارة الصحراوية و بعض الضرائب أصبح هؤلاء الحكام (الأقاليم) أغنياء فتملكوا البيوت التجارية و قصوا في قلب الصحراء بنفس مستوى قصور أغنياء روما.

و كما ذكرنا سابقا كان جزء من الضرائب يذهب إلى الخزينة و الآخر يحتفظ به حكام الأقاليم لأنفسهم[2]، و هذا ما دفع بعض الباحثين إلى الاستنتاج أن النظام السياسي عند الغرامنت كان يشبه إلى حد بعيد النظام الملكي الذي يتكون من اتحاد عدة قبائل يتربع على قمته الأكليذ كما هو الشأن في الممالك التي ظهرت في شمال افريقيا كمملكتي الماسيل و المازيسيل[3].

جيش الغرامنت:

طبقا لما ذكرته بعض المصادر التاريخية و بعض المصادر الأثرية فإن قبائل الغرامنت كانوا محاربين أشداء حيث استطاعوا أن يفرضوا سيطرتهم على القبائل القريبة و على الطرق التجارية الواقعة ضمن أراضيها و قد ساعدها في هذا الإنجاز جيشها القوي

---

[1]- Siliusl ticus, Punica, Translated by F.E.Robins, Harvard university, press, London, V,11.55-65

[2]- محمد سليمان ايوب، المرجع السابق، ص: 161، 162.

[3]- ب. سلامة، الصحراء في التاريخ القديم، اللجنة العلمية الدولية (اليونسكو) لتحرير تاريخ إفريقيا العام، الجزء الثاني، جون أفريك، باريس، 1983.

المتكون من المشاة و الفرسان و قد دعم الجرميون قرطاجة خاصة مع صراعها ضد روما تحت قيادة القائد القرطاجي حنبعل[1].

في عام 146 ق.م احتل الرومان إقليم قرطاجة، و أدى الجرميون دورا مهما في سياسة الرومان تجاه الصحراء و الجنوب، حيث فرضت جرمة سيطرتها على مناطق شاسعة من الصحراء الكبرى حتى حدود المدن الثلاث (لبده،وصبراته، و أويا) على الساحل منذ العهد القرطاجي، كما ازداد تطور و قوة الجرميين خلال منتصف القرن الأول قبل الميلاد، بعد زوال مملكة نوميديا عام 40 ق.م.

و قد انتقل كل ما ورثته نوميديا من قرطاجة إلى الجرميين و كانت تشكل جرمة قدوة للقبائل الليبية لما حققته من فرض وجود، كما سيطرت القبائل الجرمية على باقي القبائل الصحراوية و أصبحوا في أعلى درجات القوة، و هذا ما شكل هاجس خوف لدى روما حيث شكل تنامي هذه القبيلة و قوتها خطرا على الأمن الذي حققته في ولاياتها.

و من البديهي أن يتصارع الطرفين فكل جهة قوية بما فيه الكفاية لبسط نفوذها بالمنطقة و أولى الحملات الرومانية حملة (كورنيليوس بالبوس) توجه هذا الأخير إلى الجرمين في أول حملة للجيش الروماني سنة 19 ق.م[2].

كما تحالف الجرميون مع تكفاريناس في نوميديا و يعد (مازيبا) من أهم قادتها، و الذي أضحى من أبرز مساعدي تكفريناس، الذي وضع تحت قيادته جزء كبيرا من القوات ذات التسليح الخفيف، و كلفه بشن الغارات الخاطفة على المدن الرومانية و استمر تكفاريناس في تحدي الرومان و اضطر إلى أن يلوذ إلى الصحراء عند الجرميين مرتين حيث وفر الجرميون الملاذ لتكفاريناس على الرغم من جهود الرومان الرامية إلى منع وصوله إلى الجرميين و اعتمد تكفاريناس على الجرميين فيشن غاراته على مدينة لبده ثم تراجع إلى الجنوب[3].

---

[1]– عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، الجزء الرابع، تامغناست للنشر، د ط، د ت، ص: 227.

[2]– Pliny, Natural history, translated by H.Rackhamunivercity, Press, London, V.S

[3]– Tacitus, The Annals, translated by Jhon Jackson, Harvard univercity, London,11.52.

لم تستطع روما في ذلك الوقت إرسال حملة لإرغام الجرميين على التخلي عن مساعدة تكفاريناس، و تمكن الرومان بقيادة (كورنييلوسدولابيلا) من تكثيف الهجمات ضد تكفاريناسو ملاحقته و من ثم محاصرته و الهجوم عليه، وقتل عدد كبير من قواته و قد قاتل تكفاريناس حتى سقط في المعركة عام 24 م و بذلك تمكن الرومان من القضاء على ثورة تكفاريناس بعد أن دامت سبع سنوات[1].

نشب صراع بين أويا و لبدة في عام 69-70م و بسبب قلة السكان و المقاتلين طلبت هذه الأخيرة المساعدة من جرمة و كانت هذه القبيلة القوة الوحيدة في الداخل القادرة على خلق تحالفات مع القبائل و المدن الأخرى بالإضافة إلى بعد النظر لأويا حيث كانت تدرك جيدا تضارب المصالح الاقتصادية و السياسية بين روما و الجرميين و استجابت جرمة لطلب أويا، و أرسلت جيشا مسلحا نحو مدينة لبدة داخل أسوار المدينة، و طلبوا المساعدة من الرومان, و تمكن الجيش الروماني بقيادة (فستوس) من هزيمة الجرميين و فك حصار لبدة و استرداد الكثير من الغنائم من القوات الجرمية و الاستيلاء على أويا ثم عقد (فستوس) صلحا بين لبدة و أويا.

قام (فستوس) بالتوجه نحو الأراضي الجرمية، و بدأ الجرميون في التراجع و كانوا يطمرون آبار المياه بالرمل، و قد اربكت هذه الأعمال (فستوس) و جيشه، كما قام الجرميون بشن الغارات المفاجئة على الجيش الروماني مما دفع الرومان إلى التراجع، و أقام الرومان خطا دفاعيا عند الرأس الصخري، و لم يستطع فاستوس الوصول إلى جرمة[2].

بعد هذه الحملة سادت العلاقات السلمية تدريجيا بين الجرميين و الرومان، مما كان له الأثر الكبير في ازدهار التجارة و التعاون المشترك بين الجرميين و الرومان و التقت المصالح الجرمية مع المصالح الرومانية، و نشأت علاقة صداقة بين الطرفين، شجعت الرومان على إرسال حملتين نحو الجنوب تختلفان في طبيعتهما السلمية عن الحملات الحربية السابقة[3].

---

[1]- IBID, IV,23-26-50.

[2]- Pliny.V.5.38

[3]- محمد سلمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، المرجع السابق، ص : 150.

الحملة الأولى بقيادة (سبتيموسفلاكوس) قائد الفرقة الأغسطية الثالثة الذي سار على رأس حملة إلى جرمة، و منها إلى بلاد الأصيوبيين و الحملة الثانية كانت بقيادة (يوليوس ماتيرينوس) عام 155 م الذي سار بقواته من لبدة حتى بلغ جرمة، ثم سار إلى الجنوب برفقة ملك الجرميين و قواته، و بعد أن ساروا طيلة أربعة اشهر إلى الجنوب وصلوا إلى منطقة تسمى (أجيسمبا) حيث يتجمع وحيد القرن بكثرة، و في هذا المكانلا تزال تقيم قبيلة إسمها جرمة، و هم أحفاد الجرميين الذين ظلوا بذلك المكان منذ القرن الأول الميلادي.

و هكذا بمساعدة الجرميين اخترق الرومان الصحراء الكبرى حتى أواسط افريقيا لأول مرة و بعد هذه الحملة زاد حجم التجارة بين بلدان البحر المتوسط و أواسط افريقيا عن طريق الوسيط جرمة.

شكل التحالف الموزيلاميالغرامنتي نموذجا للتضامن بين مختلف العناصر المحلية و مثالا للتآزر بين القبائل المرتحلة و نصف المستقرة في الأوراس و شماله و مع القبائل الصحراوية في جنوبه، مما يؤكد إيمان تلك العناصر بوحدة المصير إزاء التهديدات الأجنبية أو القوى الخارجية عن المنطقة.

د –التكتل القبلي بصحراء المغرب قبيل الفتح الإسلامي :

لا مجال للشك ممن تتبع التحرك البشري بالمغرب القديم أن يحكم على أن المجال الجغرافي لقبائل البتر هو نفسه مجال قبائل الجرامنت و الجيتول " القبائل المورية"، فجل هذه القبائل بدوية امتدت مجالاتها الجغرافية من برقة إلى حوض نهر ملوية شمالا، ومن فزان شرقا إلى سلجماسة و درعة في الجنوب المغربي، في السهوب و المرتفعات الجنوبية للتل و الأطلس و حوافي الصحراء الشمالية، أي إقليم الانتقال الطبيعي بين التل و الأطلس و الصحراء، و المتميز بالاقتصاد الرعوي و إمكانية الزراعة المحدودة في بعض جهات هذا الامتداد الجغرافي الذي تطور في مجتمع الواحات بنمطه المستقر.

و يذكر أحد الباحثين أن الجيتول يعدون نوميديين في الناحية الشرقية، و موريين من الناحية الغربية[1]، أما مجموعة أو قبائل الموزولامي يرى كامبس أنهم نوميديونو يعدون أحيانا من الجيتول.

لقد كان لجلاء الرومان عن الموريطانيتين بمثابة رفع قيد عن السكان المحليين, و ذلك سنة 285 م، أي القرن الثالث ميلادي، حيث تمكنت القبائل الصحراوية و الجنوبية بالتنقل الموسمي بين مراعي الشمال و السهوب و السباسب، فيكون بهذا فتح المجال الجغرافي لحرية التحرك و الانتقال القبلي، و كان هذا النشاط عاملا حيويا و أساسيا في الربط بين " قبائل الجيتول" و " الأثيوبيين" الرحل و أنصاف الرحل، و قد ذكر العديد من مؤرخي و جغرافي العصور الوسطى[2] أن هذه المجموعات القبلية كانت في صراع دائم مع بعضها من أجل الحصول على المراعي و المياه.

و بذلك إنبنى ولاء " القبائل الرحل" من الجنوب المغربي لحكام الشمال على حرية تنقلهم في أراضي الانتجاع و الرعي ، فالأصل في هذه العلاقات بين الشمال و الجنوب هو السيطرة على الأرض ذات المجال المفتوح و الواسع، مما يكون لدى هذه الأقوام ذهنية خاصة نحو علاقاتهم بالمجال الحيوي لتجمعاتهم، أبرز مميزاتها عدم وجود الملكية الخاصة مما قوي لدى هؤلاء مفهوم " الملكية الجماعية القبلية"، و تكاد تكون الأرض الجماعية هي " الرابط الفعلي" بين التجمعات البشرية، و المحدد الحقيقي للتضامن القبلي، و إذا أضيف إلى هذا العنصر، عنصر القرابة الدموية[3]، فإن ذلك قمة الترابط المحقق للتضامن الاجتماعي المؤدي إلى التحالف القبلي في مستواه السياسي الأعلى في النظام

[1]– محمد البشير الشنيتي: التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، ط الجزائر، 1984، ص: 159،168.

[2]– أبرز هؤلاء الباحثين هم: سترابون، بطليموس، بلين، و بروكوب.

[3] إن هذه النعرة ، أو التناصر تكون أشد قوة ، وأكثر وضوحا بين الأفراد الذين يجمعهم نسب قريب . وبالعكس من ذلك التناصر الذي يقوم بين الأشخاص الذين يربط بينهم نسب بعيد ، أو غيره من وجوه الإنتساب كالولاء والحلف ، فالنعرة والتناصر في هذه الحالة يكونان أقل شدة ، وأضعف قوة ، وبعبارة أخرى أن التعصب لنسب القريب أو الخاص ، أقوى وأشد من التعصب للنسب البعيد ، أو العام . محمد عابد الجابري ، فكر ابن خلدون ، العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، ط: 6 ، 1994م.

القبلي المغربي القديم. و كان نتاج هذا الأمر نشأة الإمارات أو الممالك السياسية اعتمادا على طبيعة المصالح الحيوية للقبائل التابعة لها، فالحدود السياسية لا يمكن الكلام عليها في هذا النظام، و إنما يمكن الحديث عن ولاء التجمعات القبلية[1].

لقد اهتم المؤرخان بروكوب و كوريبوس بظاهرة حرب الجمال التي اعتمدها هؤلاء البدو الجمالة ضد الحكم الوندالي و البيزنطي، و يظهر أن أبرز تحرك قبلي بربري (موري) من الشرق إلى الغرب هو الذي بدأ مع ثورة كابايون ضد الوندال بالولاية الطرابلسية و أحرز هؤلاء البدو انتصارات بارزة فتحت المجال لانتشار مجموعاتهم في المناطق الداخلية و الغربية[2]. و قد فشلت أمامهم جميع محاولات الردع البيزنطي خاصة في عهد الحاكم سليمان أو "Salamon" ما بين سنة 534 و 536 م، و قد مات في المعركة و هو يقاتلهم، كما فشل قادته في صد هجوم هؤلاء البدو[3].

و قد رجح بعض الباحثين أن هؤلاء القبائل الرحل الذين انطلقوا من إقليم طرابلس نحو الجهات الغربية في القرن السادس الميلادي هي المجموعة التي تولدت عنها مجموعة " لواتة" في عهد الفتح الإسلامي، و قد دخل هؤلاء في صراع طويل و مستميت مع البيزنطيين، تمكنوا في نهاية الأمر في إثبات ذاتهم حيث انتشروا و تواجدوا بالمناطق الجنوبية لمجال التحصينات البيزنطية الجنوبية[4].

و قد كانت هذه المجموعات البدوية البربرية بقيادة " الحلف اللواتي" هم الذين عرفهم العرب المسلمون في بداية الفتح الإسلامين و قد تطورت المنظومة القبلية البدوية و بدأت تتغير خريطتها الجغرافية من حيث المواقع و المواطن و دخلت عليها بعض التعديلات في الحياة الاجتماعية[5].

---

[1]- محمد العميم، قبائل المغرب و أقوامه خلال القرنين الأولين للميلاد، رسالة مرقونة لنيل دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب، فاس 1989 م، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد التازي سعود، ص: 139-140.

[2]- شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة، ج1، ص: 349.

[3]- شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ج1، ص: 366.

[4]- هاشم العلوي القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى، ج1، ص: 276.

[5]- هاشم العلوي القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى، ج1، ص: 277.

و كان الحلف اللواتي هو السبّاق في الأحداث التاريخية في مرحلة ما قبيل الإسلام و عصر الفتوح، و هو الذي نشأ بدوره قبل الحلف الزناتي.

هـ -تطور الحلف الزناتي من الفتح الى القرن الرابع هجري :

لم يظهر اسم زناتة إلا مع المرحلة الإسلامية الأولى حيث لازم جغرافية هذا القبيل مناطق الرعي و الترحال ، و قد أصبح مفهوم "زناتة" هلامي الطابع تتلاحم في داخله جميع القبائل التي جعلت من إقليم الهضاب و النجود العليا و السهوب المشرفة جنوبا على الصحراء الإفريقية، و قد عبر ابن خلدون عن هذا بوصف زناتة، فالمجال المفتوح على البحر شمالا و على الصحراء جنوبا و يمتد شرقا إلى فزان و إلى المحيط غربا أنه البعد الجغرافي المفتوح الذي عمّق في الذهنية الاجتماعية لإنسان هذه الجهات مفهوم " القبيلة المتحركة بحرية" فنشأ في إطاره نظام " الدولة الرعية" المتضامنة المتماسكة تماسكا مصلحيا يبرز بقوة مع بقائها و يضعف بعدم وجودها[1].

و قد اندهش ابن حوقل عند وصوله للمغرب أمام القوة الزناتية من حيث عددها البشري في القرن الرابع الهجري/ 10 م، حيث صرح قائلا عن التجمع الزناتي بعد أن عدد كثير من قبائل هذا المجتمع البدوي " و لو قلت أنه لهم أصل إلى علم كثير من قبائلهم لقلت حقا" ثم أضاف " إذ البلاد التي تجمعهم و النواحي التي تحيط بهم مسيرة شهور في شهور"[2].

لقد ارتبطت قبائل الجهات الصحراوية مصلحيا جمعها " حلف واحد" تفاوتت مجالاته الجغرافية، و أهم القبائل المشهورة المكونة له، هم: بنو يفرن و مغراوة و مطغرة، و جراوة، و بنو يالدس و بنو واركلا و مكناسة و لواتة و بنو خزر.

و هناك أسماء أخرى دخلت ضمن هذا الحلف أو هذا التجمع في ظروف تاريخية معينة، كما توجد أسماء قبائل أخرى انفصلت عنه، وهذا يدخل ضمن الحلف المؤقت الذي اشرنا إليه سابقا و يرى بعض الباحثين أن التجمع الزناتي بدأ تكوينه ما بين القرن

---

[1]- نفس المرجع ، السابق، ج:1، ص : 280.

[2]- ابن حوقل، صورة الأرض، ص: 103.

الخامس و السادس الميلاديين، و قد لعب الجمل و الفرس إلى جانب أنواع الماشية الأخرى دورا رئيسيا في تشكيل هذه المجموعة و توحيدها.

و كانت حرية الانتقال و الحركة أساس التوافق النمطي و قد عرف ثوار المنطقة الشرقية بالعنف و الشراسة، حيث كانوا يلقون بضحاياهم إلى الوحوش المفترسة، و يرجح أيضا أن أحداث الجهات الشرقية من بلاد المغرب هي التي تولد عنها تضامن المجموعات القبلية[1].

و تطور هذا التضامن مع التاريخ في شكل أحلاف أو اتحادات قبلية إلى أن عرف في الفتح الإسلامي بإسم زناتة، و ربما انقسمت القبيلة إلى جماعات مستقرة و جماعات بدوية. و في القرن الخامس الميلادي صار " البدو الجمالة" هم سادة الصحراء و حماة الطرق الواصلة بين مراكز الحياة الاقتصادية في القسم الشمالي من القارة الإفريقية و يعني ميلاد زناتة ميلاد سلطة البداوة[2].

لقد كان للانتشار الزناتي غرب و جنوب سطيف عاملا حاجزا و مانعا للبيزنطيين من التوسع غربا، و هو الذي وقف في وجه جيوش الفتح الإسلامي من فتح سبيطلة سنة 27 هـ/649 م، إلى ولاية عقبة بن نافع الثانية 62 هـ/682 م، و من تدخلات حسان بن النعمان[3] و موسى بن النصير.

صار تجمع هذه القبائل يكون حقيقة حلفا بربريا مغربيا بدويا هو الحلف أو " التجمع الزناتي" و في هذه المرحلة أصبح المجال الجغرافي لهذا التجمع هو المنطقة التي وصفها

---

[1]– هاشم العلوي القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى، ج1، ص: 283،286.

[2]– هاشم العلوي القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى، نفس المرجع السابق، ج1، ص: 289.

[3]– حسّان بن النعمان: هو حسان بن النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو بن مزيقيا بن عامر بن الازد ، وأهله من الغساسنة ملوك الشام كانوا مواليين للإمبراطورية البيزنطية قبل الفتح الإسلامي ، فأسلم بعضهم وبقي بعضهم نصرانيا فنشأ وترعرع في بيت عريق له مكانة كبيرة في القيادة والحكم ، وقد انتقل جده عمرو بن مزيقيا الذي كان من ملوك اليمن إلى أرض الشام فكان من أولاده وأحفاده ملوك بني غسان . ولد حسان بن النعمان في الشام واسلم بعد الفتح الإسلامي لباد الشام مع أهله ، وكانت له مكانة مرموقة عند بني أمية وعند الناس كما أطلق عليه الشيخ الأمين ، وقد ولي المغرب من طرف معاوية بن أبي سفيان . ابن عذارى المركشي ،البيان المغرب ، ج : 1 ، ص : 33 ، 37 ، .شاكر محمود ، موسوعة أعلام وقادة الفتح الإسلامي ، ط : 1 ، 2002 م ص : 32 .محمد الصلابي ، صفحات من تاريخ لبيا الإسلامي والشمال الإفريقي ، ط : 1 ، دار البيارق ، عمان ، 1998 م ، ص : 268 .

بن خلدون ب:" وطن زناتة"' و يعتبر هذا الإطار الجغرافي هو مفتاح المرور إلى مداخل الصحراء الإفريقية، و هذا يعني أن هذه المجموعة الزناتية تحولت إلى قوة بدوية رعوية و قوة متحكمة في طرق القوافل العابرة لوطنهم و للصحراء.

و لم تكن زناتة بدوا رحلا بصورة شاملة، و إنما كانت أيضا مجموعات قبلية غير زناتية تتوطن في هذه المناطق والعكس صحيح أيضا.

و لم تصمد القوة الزناتية أمام جيوش الفتح الإسلامي حيث تحولت زناتة إلى قوة إيجابية فاعلة في حركة الفتح الإسلامي، و قد ذكرت بعض المصادر أن زناتة ساهمت في جيش الولاية بعد انتصار حسان بن النعمان على الكاهنة ما يقارب إثنا عشر ألف (12.000) و أسلمت زناتة نهائيا، و قد أتم ذلك موسى بن النصير الذي تابع زناتة (بعض القبائل المتمردة)، و طاردها إلى أن وصلت إلى منطقة سجلماسة و قد أحدثت مطاردته إلى تغيير كبير في مواطن القبائل الرافضة للطاعة . وبعد تثبيت الفتح الإسلامي وخلال عصر الولاة كان التعسف وسوء التسير والتمييز ضد البربر مما مهد الطريق للأفكار الخارجية ، ولما اعتنقت زناتة المذهب الخارجي كان لها مد وجزر في حروب وصراعات طاحنة ضد ولاة بني أمية وبني العباس فكانت التكتلات والتحالفات هي المنفذ الوحيد من أجل الثبات والمحافظة على مصالح القبائل المتكتلة واستمرت ظاهرة التحالف إلى عهد الدويلات المستقلة وما بعدها. فمن هي هذه القبائل التي تزعمت هذا الحراك أو التكتل القبلي في صحراء المغرب الإسلامي ؟وما سبب فرار زعماء القبائل إلى الصحاري ؟ وهل كان هناك دعم قبلي من هذه المناطق ؟ .

تطور النسيج الديمغرافي :

تعد الصحراء في عصر دراستنا مناطق للترحال و الرعي و الانتجاع البعيد المدى، مصحوبا بظاهرة الاستقرار البشري في واحات متناثرة مشتتة مثل ورجلان و فزان، قفصة، درعة، سجلماسةوالزاب الكبير و غيرها، فمنذ عصور قديمة جدا كانت هذه التجمعات البشرية ترحل إلى مسافات واسعة لا تعرف حدودا طبيعية.

فظهرت هذه الجهات بمظهر الأرض المخصصة لترحال البدو الرحل و الخاضعة لتحكمهم، فطيلة القرن الرابع هجري تحولت هذه الجهات الصحراوية إلى ملجأ يحمي

المطاردين و خاصة الزعماء السياسيين منهم، فتنطلق من جديد انتفاضة أو ثورة جديدة، و هذا الأمر له دلالات سياسية:

1- أن هذه الجهات الصحراوية كانت في الكثير من الأحيان خارجة عن نفوذ حكام الشمال.

2- حكام المناطق الشمالية اضطروا إلى مداهنة قبائل الجهات الصحراوية والشبه الصحراوية في الكثير من الحالات ، خشية تمردهم ودعمهم لزعماء الثورات .

3- أن هذه المناطق كانت تتضمن قوة بشرية ذات قوة و بأس و عدد كافي للتجييش و تدعيم نفوذ قبلي سياسي جديد[1].

فكان لزاما علينا إبراز أهم القبائل التي ساهمت في النشاط السياسي و الاقتصادي أيضا من خلال التعريف بها و محاولة تحديد مضاربها معتمدين على مجموعة من المصادر الجغرافية ، كاليعقوبي، و البكري و ابن حوقل.

إن التعبير العام للصحراء يتضمن منطقتين هما: منطقة الجهات الشمالية و هي التي نعبر عنها " بالشبه الصحراوية و تمتد هذه من نهاية الرمال شمالا إلى أحضان الجبال الأطلسية و الهضاب و النجود الشمالية".

و هي بلاد مراعي الأغنام و ما شابهها و كانت أكثر تميزا و حركة قبلية.

أما المنطقة الثانية هي الجهات التي تغطيها الرمال و عرفت أيضا بالمجابات الكبرى، و هي التي قصدها ابن حوقل بقوله " لقد كان سكان الصحراء من قبائل البربر متعزبون لم يروا قط حاضرة و لا عرفوا غير البادية العازبة"[2].

هناك على المستوى البشري في مدلول الصحراء بنياتان بشريان يجمعهما نمط الرعي و الترحال و يفصل بينهما شكل الواقع المعاشي، ونظام التواصل الجهوي و التمييز القبلي بين بتر و برانس و هذا يؤدي بنا إلى أن نجعل زناتة القرن الرابع الهجري/10 م روادا للمناطق الشبه الصحراوية و نجعل صنهاجة الجنوب روادا للمناطق الصحراوية[3].

---

[1]- هاشم العلوي القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى، ج2، ص: 197.

[2]- ابن حوقل، صورة الأرض، ص: 92،98

[3]- هاشم العلوي القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى، ج :2، ص :201 ، 202 .

و –قبائل الجهات الشبه الصحراوية:

تعد هذه المناطق مفتوحة مجاليا من ناحية الخصائص الطبيعية و متأثرة إلى حد كبير بالمناخ القاري الصحراوي الجاف، تتعرض في أحيان متفرقة و متباعدة إلى أمطار و قد انعكس هذا الوضع الغير مستقر على سكان هذه المناطق حيث كان استقرارهم متذبذبا و متغيرا طيلة قرون من الزمن التاريخي.

إن الظروف التاريخية التي عرفها المغرب الكبير ، فرضت وضعية مكانية مختلفة في هذه المناطق [1]وقبائله .

و في القرن الرابع هجري أيضا، أصبح سكان هذه المناطق هدفا لصراع الخلافتين أولا الفاطمية، ببلاد افريقية في نهاية القرن الثالث هجري/9م (296هـ/1909م) و الخلافة الأموية تمثلت في قرطبة سنة (316 هـ/929 م)، فكانت قبائل المنطقة بين فكي الرحى حيث كان هدف التنافس ديني سياسي تمثل في فرض المذهب السني والشيعي وهدف اقتصادي هو السيطرة على الطرق التجارية الصحراوية و افريقيا جنوب الصحراء، فأصبحت المنطقة برمتها ميدانا للصراع الذي استمر على وجه الخصوص طيلة ثلاثة أرباع القرن الرابع هجري /10 م، و قد لعبت قبائل المنطقة دورا فعالا في أطراف الصراع، فكانت تناصر و تدافع بدورها عن كينونتها، تتحالف مع من يدعمها وترى فيه مصلحتها كما لم تكن هذه الربوع حكرا لقبائل البتر، بل تركت بعض قبائل البرانسية بصمتها في المناطق الصحراوية من خلال مشاركتها السياسية و الاقتصادية و لعل أبرز تلك القبائل البرنسية نذكر:

هوارة: انتشرت غرب وادي النيل إلى المحيط الأطلسي، و من البحر المتوسط إلى تخوم الصحراء الافريقية، و بحكم هذا التنوع المجالي الجغرافي الذي وجدوا فيه، تنوعت أنماط عيشهم و مواقفهم السياسية، و اتجاهاتهم المذهبية و حتى مواقفهم الولائية، فهم رحل و مستقرون و خوارج و شيعة و سنة، تجار رواد في حركة القوافل العابرة لطرق

[1] هاشم العلوي القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى، ج :2، ص :201

التجارة الصحراوية، و قد حاولت هوارة تكوين إمارة بقيادة بني مسالة[1] لكن الرستميون قضوا عليهم.

و قد ذكر اليعقوبي أن مواطنهم في منطقة برقة ثم تحولوا نحو الجهات الغربية مع زناتة، أما الإدريسي فيذكر انتشارها ما قبل الفتح الإسلامي من المنطقة الممتدة من غرب النيل بمصر إلى المحيط الأطلسي، و لعل الوصف الذي وصفهم فيه الشريف الإدريسي[2]يصرح بأنها قبيلة تجارة افريقية أكثر من أنها قبيلة الزعامة السياسية. و قد اتفق معه اليعقوبي إذ يقول: " و مدينة أغمات أهلها هوارة من قبائل البربر المتبربرين بالمجاورة و هم أملياء تجار مياسر يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطر الأموال..."[3] ولهذا النص دلالة أخرى تمثلت في الإنتشار الواسع لهذه القبيلة ولم تبقى المناطق الصراوية.

و في عصر الفتوحات الإسلامية انتشرت قبائل هوارة في صحراء ليبيا وساحلها على البحر الأبيض المتوسط، ثم انتشروا في الصحراء الكبرى إلى جانب صنهاجة اللثام، و هذا ما جعل ابن خلدون يلحقهم بقبائل " الهكار" أو الطوارق. و أما المناطق الصحراوية و شبه الصحراوية التي تواجدت بها في إقليم الزاب و ضواحي تبسة و الأوراس و أغمات و سلجماسة[4]. و كانوا خوارج إباضية في غالبية تحركاتهم القبلية و إن

---

[1]– إن جميع الناس من هوارة و غيرهم من القبائل كانوا بإزاء مدينة تاهرت، و كان لهوارة رؤساء مقدمون يقال لهم " الأوس" يعرفون ببني مسالة، و قد حاولت هوارة تكوين حلف مع بعض قبائل لواتة، ضد بني رستم عن طريق المصاهرة لكنها لم تنجح إثر هزيمتها في معركة إسلان في آخر القرن الثاني للهجرة، و يغلب على الظن أن نهر إسلان هو النهر الذي ذكره البكري قرب مدينة إسلان يشرق تيهرت. ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص 52. محمود اسماعيل عبد الرزاق ، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري ، دار الثقافة المغرب ط :2 ،1985، ص: 130.

[2]– الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص: 232.

[3]– ذكرهم اليعقوبي باسم بني لهان، و هو قسم هام من هوارة مقيم في شرق ولاية طرابلس رفضوا طاعة الأغالبة سنة 245 هـ. و ذكر عنهم محمد طالبي " إن هياكلهم الاجتماعية لم تتغير كثيرا منذ العصور القديمة، و قد بقي تنظيمهم القبلي خالصا بصورة خاصة في ناحية لا يستقر بها إلا قليلا جدا". محمد طالبي،الدولة الأغلبية " التاريخ السياسي " دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط: 2 ، 1415هـ ، 1995 م. ص ص: 284،280. اليعقوبي، البلدان، ص: 206، 207.

[4]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص : 286. اليعقوبي،البلدان، ص: 346.

لم يحاولوا تكوين كيان سياسي، مما صنفوا من طرف بعض الباحثين أنهم القوة المناصرة بدلا من القوة المتزعمة[1].

عجيسة: لقد أشار ابن خلدون[2] أنها تمتاز بالكثرة و بالبروز أثناء الأحداث الكبرى، أما مضاربها فتشمل المغرب الأوسط، و هي تجاور مضارب صنهاجة الشمال و تمثلت مراكزهم نواحي دلس و جبال الحضنة الشرقية و ناحية القلعة، و قد كانت منطقة عجيسة في وقت ما محطة هامة لأحداث سياسية خاصة في عهد الحاكم الفاطمي المنصور اسماعيل الذي خاض جولات و صولات في حربه مع أبي يزيد مخلد بن كيدادالنكاري الذي بدوره لجأ إلى مضارب عجيسة و اعتصم بإحدى قلاعهم الجبلية الحصينة التي عرفت بقلعة كيانة، لكن سقط في النهاية و قد يكون هذا الأمر بمساعدة قبيلة عجيسة التي أسلست قيادتها للفاطميين[3].

أما القبائل البترية خاصة زناتة منها فهي بنية بشرية غير ثابتة متحركة تلقائيا أو قسريا، لا تتوفر على شروط الاستقرار فهي خريطة هلامية و أهم من كان لها صدى على الواقع السياسي و الاقتصادي نذكر منها:

مطماطة: يدرجهم ابن خلدون ضمن مجموعة ضريسة البشرية التي تولدت منها كبريات قبائل التجمع الزناتي في القرن الرابع الهجري/10 م[4]. و يغلب على الظن أن المجموعة المطماطية عرفت تحركا من الجنوب التونسي إلى شمال المغرب الأوسط، و استقرت بعض بطونها في غرب حوض نهر شلف لأسباب اقتصادية و اجتماعية مرتبطة بعملية تكوين " الحلف الزناتي"[5]، و هي من ضمن المجموعات القبلية الواسعة الانتشار

---

[1]– أكدت الأبحاث الحديثة أن خوارج الإباضية في المغرب اعتمدوا في تاريخهم كله على تأييد ست قبائل كبرى منها: هوارة، الواتة، نفوسة، مكناسة، مزاتة، لماية و بطبيعة الحال تلحق بهذه القبائل و بطون أخرى صغرى و قد كانت هوارة تميل إلى مساندة قبيلة نفوسة . محمود اسماعيل، الخوارج، ص 85. حسين مؤنس، تاريخ المغرب، ج1ص: 346،347.

[2]–ابن خلدون، العبر، ج3، ص :2434.

[3]– موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ص: 70.

[4]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 250.

[5]– كانت معارضة للمد الشيعي و مؤيدة للأمويين. سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب، ج2، ص: 107-108.

بالمغرب الكبير، و صار اسم مطماطة اسم مكاني مثل جبل مطماطة بالجنوب التونسي[1]، و قد تحدثت بعض المصادر عن هذه الأخيرة باعتبارها متحالفة مع لواتة و دمر و نفوسة.

مكناسة:هي مجموعة قبلية بربرية زناتية، و قد انتشر وجودها منذ ما قبل العصر الإسلامي في جبال و سهول الموريطانيين القيصرية و الطنجية (المغربيين الأوسط و الأقصى في العصور الإسلامية) وقد تفاوتت القبائل التي أطلقت عليها المصادر الكلاسيكية اسم الماكينتس أو مكناسة في نمط عيشها بين نظام الرعي و الترحال، أو الزراعة و الاستقرار، و مكناسة عموما تشبه صنهاجة في تقسيمها التي قسمت إلى صنهاجة الشمال و صنهاجة الجنوب و كذلك نجد بالنسبة لمكناسة و الفرق أن مكناسة اندمجت في زناتة (الحلف الزناتي)[2].

فقد انضافت إلى مكناسة سجلماسة مدغرة و هوارة و مغيلة و مغراوة، و حققت هذه القبائل انتشارا بشريا في الجهات الجنوبية الصحراوية و الشبه الصحراوية الموالية لسلجماسة باعتبارها مدينة الاستقطاب البشري[3].

و قد كان سكانها أغنياء مياسير الحال و قد وصفهم ابن حوقل " و أهلها قوم سراة مياسر يباينون أهل المغرب في المنظر و المخبر"[4]. كما كانت لهم سلطة على طول الطرق التجارية المحادية حيث كانوا يفرضون ضريبة على المجتازين مقابل خفارتهم، فيفصل لنا ابن حوقل في ذلك فيقول: " و لهم لوازم على المجتازين من فاس إلى سلجماسة يلزمونهم على ما معهم من التجارة و يخفرونهم"[5].

---

[1]- روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، دار الغرب الإسلامي ، ط : 1 ، 1992 م ، ج2، ص: 71.

[2]- ابن خلدون، ج6، ص: 265. ابن حوقل، صورة الأرض، ص: 90. هاشم العلوي القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى، ج2، ص : 89،90.

[3]- نفس المرجع السابق، ج2، ص: 207.

[4]- ابن حوقلن صورة الأرض، ص: 99.

[5]- ابن حوقلن صورة الأرض ن المصدر نفسه، ص: 100.

بنو برزال: و وضعهم اليعقوبي ضمن مجموعة " بني دمر" و يعدون من زناتة الخوارج، و أدرج مضاربهم في الشمال الغربي من إقليم " الزاب"[1].

أما البكري[2] فأدرجهم ضمن أراضي المسيلة، أما ابن حوقل[3] فذكر أنهم من البربر الفلاحين الذين يمارسون الرعي المحدود إلى جانب قبائل هم بنو زنداج و هوارة و مزاتة.

و لقد كان لهذه القبيلة دور في الأحداث السياسية خاصة في العهد الفاطمي، فبحكم موطنها القريب من تيهرت كانت مستهدفة من طرف الفاطميين حيث أعلنت بن برزال العداء لهم و توجهوا إلى ولاء الأمويين بالأندلس، فكانوا بذلك خصم الصنهاجيين، حلفاء الفاطميين حيث طاردوهم و أبعدوهم عن أوطانهم فلم يكن لهم حظ في لعب دور المحرك الرئيسي للأحداث السياسية بالمغرب الأوسط، كما كانوا رواد الثورة الأوائل ضد الشيعة و يعود سبب عدم تصدرهم أو قيادتهم زعامة الحلف الزناتي إلى ما يأتي :

- التعداد البشري[4]: بالرغم من أنهم كانوا محاربين أشداء من الطراز الأول إلى أن القوة البشرية المتمثلة في نسبة الفرسان و عدد المشاة و غيرهم من القوة الحربية للقبيلة لم تؤهلهم لزعامة الحلف.

- بالإضافة إلى عدم تفرعهم، فقد ذكر اليعقوبي أن كيانهم لم يتجاوز الفخذ القبلي، فهم كما ذكرنا سابقا فخذ من بني دمر من زناتة[5]. و لهذا ظلوا في التبعية لتجمعات زناتة المعارضة لبني رستم في آخر عهدهم، و لبني عبيد و خلفائهم الصنهاجيين، كما حالفوا علي بن حمدون الأندلسي[6].

مغراوة: كانت هذه القبيلة القوة المحركة للحف الزناتي لكثرة بطونها و توسعهم، و قد كان انتشار مغراوة بالقرن الرابع هجري و ما بعده ما بين افريقيا و المغرب الأقصى (بلاد السوس) و من حوضي نهر شلف و ملوية شمالا إلى التخوم الصحراوية، كما كان

---

[1]- اليعقوبي، البلدان، ص : 102- 103 .

[2]- البكري، المسالك و الممالك، ص : 239 .

[3]- ابن حوقل، صورة الأرض، ص: 102

[4]- هاشم العلوي القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى، ج2، ص: 84.

[5]- اليعقوبي، البلدان، ص: 352.

[6]- هاشم العلوي، مجتمع المغرب الأقصى، ج2، ص: 83.

انتشارها في الجنوب ضواحي سجلماسة[1]. ولشساعة مناطق نفوذها و التنوع القبلي بالمنطقة تولد نوع من التنافس القبلي الداخلي و الخارجي و قد نتج عن هذا التنافس القبلي تقسيم مجالي للنفوذ بين كبريات قبائل زناتة، كما استمرت مغراوة في تطلعاتها التوسعية بالرغم من الضغط العبيدي حيث تطور المجتمع المغراوي في الجهات الغربية بزعامة بني الخير و استمرت معارضتهم للعبيديين و حلفائهم الصنهاجيين و تمثلت منطقة ما بين سجلماسة و تلمسان حلبة صراع بين جميع الأطراف خاصة و أن السيطرة على الطرق التجارية كانت المحرك الأساسي للأحداث الكبرى، سواء في إطار الصراع القبلي داخل زناتة (مغراوة، بن يفرن، مكناسة) أو بين السياسة العبيدية و الأموية الأندلسية، أو على مستوى الإمارات المحلية التابعة لكل جهة قوية: عبيدية أو أندلسية و قد استطاع المغراويون تكوين إمارات مستقلة في المناطق الحيوية تجاريا و رعويا مما يزكي الاتجاه المتمثل في تحكم زناتة في الطرق التجارية الغربية من بلاد المغرب[2]و أحسن نموذج تمثل بـ :

إمارة بني الخير المغراويينبسجلماسة: (سنة 366 هـ/ 977 م)

و استمرت إلى قيام المرابطين حيث قضوا عليهم في القرن الخامس هـ/11 م.و كانت هذه الإمارة محل صراع بين المتنازعين الأمويين و العبيديين، فالتدخلات العسكرية لم تنتهي بين الطرفين و كان الهدف طبعا هو السيطرة على تجارة الصحراء.

مزاتة: صنفت ضمن الحلف الزناتي و كانت ضمن مضاربها نواحي إقليم الزاب، و كان أول من أشار إليها ابن عبد الحكم[3] المتوفي سنة 257 هـ/871م، عند ذكره يزيد بن حبيب و أخباره و تدخله بإقليم برقة سنة 128 هـ/746 م .

---

[1]– هاشم العلوي، مجتمع المغرب الأقصى، ج2، ص: 113.

[2]– هاشم العلوي، مجتمع المغرب الأقصى، ج: 2 ، ص: 114،117.

[3]– ابن عبد الحكم، فتوح مصر و افريقية و المغرب، ص 196. و قد اعتبرهم ابن حزم مع لواتة من الأقباط المصريين. ابن حزم، أنساب العرب، ص: 498.

و الظاهر من خلال ما أورده ابن حوقل و ابن خلدون أن مزاتة تتألف من عدة قبائل و أفخاذ، و قد ذكر منها ابن حوقل منها ثلاثة و هي زمراتة و بنو إليان أو بنو ليان و بنو حمزة[1].

و قد تحددت مضاربها و انتشارها في حوالي نهاية القرن الثالث هجري بمنطقة الجريد و إقليم الزاب و منطقة قابس، حيث أصبحت هذه المناطق مقترنة بقبيلة مزاتة إلى أن سيطرت قبائل بنو هلال العربية على المنطقة[2]. أما ابن خلدون فيذكر عنهم " و نسابة البربر يعدون في مزاتة بطونا كثيرة مثل: بلايان و قرنة و مجيجة و لكمة و حمرة و مدونة.

لواتة: تعد كل من برقة و طرابلس المضارب الأساسية للواتة، و أهم بطونها تمثلت في مفرطة، مصغونة، أكودة و دادنة، فطيطة، و قبائل لواتة هاته هي التي أنشأت مركز " أجدابية" الذي يعتبر من أهم محطات طرق القوافل.

كما أشار اليعقوبي إلى السيطرة اللواتية على قابس[3] في منتصف القرن الثالث هجري/9م[4]. ولم تفوت لواتة حركة أبي يزيد. حيث شاركت في ثورته ضده الفاطميين و كان انتشارها آنذاك في جبال الأوراس إلى جانب قبائل مزاتة و هوارة، و كذلك بجنوب الزاب وريغ. و في عهد بن زيري ثارت بعض قبائل لواتة ضد المنصور الخليفة

---

[1]- ابن حوقل، صورة الأرض، ص: 103.

[2]- يذكر ابو زكريا أن مزاتة المغرب الأوسط كانت على قدر كبير من الشدة و البأس، فالقوة الحربية لديهم تمثلت في عدد الذين يركبون للحربي مثلا 12000 فارس، كما كانت مشاركتهم في ثورات الخوارج خاصة منها ثورة صاحب الحمار.أبو زكريا يحي بن بكر ، ، سير الأئمة وأخبارهم ، تح : اسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ن الجزائر ، 1979 ، ج : 1 ، ص: 199.

[3]- لقد أدت التدخلات الأجنبية من روما و بيزنطا إلى نزوح قبائل لواتة نحو الجنوب نحو مدينة قابس 543 ه، و استقر عدد كبير من هؤلاء في الجبال الجنوبية و سميت تلك الجبال بهم (جبال لواتة). هاشم العلوي، مجتمع المغرب الأقصى، ج2، ص: 128.

[4]- اليعقوبي، البلدان، ص: 347.

الثالثالعبيدي و أدى ذلك إلى طردهم نحو الصحراء الافريقية[1]. و هكذا يظهر أن الانتشار اللواتي تأثر بثلاث عوامل:

- عامل الاتجاه المذهبي الديني (صراع خارجي شيعي)
- عامل نظام الطرق التجارية (الأرباح الاقتصادية من القوافل)
- الموقف السياسي من السلطة المركزية بالقيروان (الموالاة أو المعارضة).

بنو يفرن: هي عبارة عن تكتل قبلي داخل الحلف الزناتي الكبير، و هو ما يرمز إليه ابن حوقل عند تصنيفه للقبائل الملحقة لزناتة، فهم إذن مجموعة من البطون القبلية، المتحدة في الأهداف المتوافقة في المواقف الاجتماعية و السياسية، تطورت ضمن هذا الاتجاه منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأوسط و الأقصى، غلى أن اختفت قوتها العصبوية في منتصف القرن الخامس الهجري/11م، و مع ظهور دولة المرابطين[2]. و بنو يفرن هؤلاء من شعوب زناتة، و أوسع بطونه ، م و هم عند نسابة زناتة بنو يفرن بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن البرت بن جانا، و إخوته مغراوة و بنو يرنيان و بنو واسية، و أما شعوبهم فكثير و من أشهرهم بنو واراكو[3] و مرنجيصة.

مطغرة: أكبر تجمعاتها القبلية مدغرة وادي زيز بإقليم سلجماسة و تربط مدغرة الواحات الشرقية بفكيك و توات و تمنطيط و عموما هي قبيلة بربرية تنتمي إلى زناتة و

---

[1]– إن اتجاه حركة الانتشار اللواتي استمرت في اتجاه من الشرق إلى الغرب على محورين من الشرق إلى الجنوب الغربي نحو مراكز و محطات طرق قوافل تجارة الصحراء، و الاتجاه الآخر من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي من بلاد المغرب. هاشم العلوي، مجتمع المغرب الأقصى، ج2، ص: 129.

[2]– ويظهر أن المجموعة اليفرنية هاته ما هي إلا حلفا داخليا في المجموعة الكبرى لزناتة، فهي على بناء على ذلك عبارة عن اتحادية قبلية اتخذت اسما جديدا لا ينفصل عن الاتحاد القبلي الأكبر. و لعل النطاق الجغرافي الذي انتشر فيه بنو يفرن هو الذي أثمر استقلالية بني يفرن من شلف شرقا إلى حوض نهر سبو هذا المجال أيضا كان مشتركا مع قبائل بربرية زناتية أخرى مثل مكناسة و مغراوة. و لعل هذا التنوع هو الذي طبع حركة بني يفرن بروح المنافسة مع أقاربهم و جيرانهم. هاشم العلوي، مجتمع المغرب الأقصى، ج2، ص 133. ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 22.

[3]– كان صاحب الحمار أبو يزيد من قبيلة بني واركوا، إخوة مرنجيصة و كلهم من بطون بني يفرن. ابن خلدون، العبر، ج4، ص: 2698.

تذكر محرفة باسم مطارة، كما ذكرت برسم " مدغرة" بالدال و هو الغالب عليها و برسم "مضغرة" بالضاد و هو النادر في ذكرها[1].

و الملاحظ في هذه القبيلة أنها لم يكن لها ذكر في التأثير السياسي للمنطقة، و ذلك طبعا لقلة قوتها البشرية و الحربية، كما ساهمت سيطرة القوى الكبرة (من مغراوة و هوارة و مكناسة) على الزعامة القبلية فقيادة الحلف الزناتي كان لأقوى القبائل عددا و عدة، فأضحت موالية لمكناسة أو مغراوة، مطماطة، و لماية، و صدينة، و مديونة[2].

سدراتة: تعد صدراتة ضمن المجموعة المغراوية كبراء زناتة في القرن الرابع هجري، و قد تفرعت هذه القبيلة إلى فروع كثيرة انتشرت عبر الصحراء الافريقية، حيث كان لها الفضل في إنشاء محطات و مراكز على طول طريق القوافل التجارية[3].

و كانت مدينة ورجلان من تأسيس هذه القبيلة و قد تمكنت زناتة من السيطرة على الطريق التجاري الرئيسي الأوسط و الرابط بين القيروان و افريقيا جنوب الصحراء، و بين تيهرت و وركلة عن طريق غرداية الحالية، ثم الطريق الجنوبي الغربي الذي ينطلق من وركلة إلى تمنطيت، في اتجاه تغازة و هذا طبعا بفضل سدراتة[4]. فهم رعاة متحكمون في طريق الوسط القوافلية و تعتبر أيضا من القبائل الكبرى الرحل المختصة في النتجاع الطويل في مناطق السهوب المغربية عموما، فقد ذكر ابن الصغير في القرن الثالث هجري/9م " أن قبائل مزاتة و سدراتة و غيرهم كانوا ينتجعون من أوطانهم التي هم بها من المغرب و غيرها في أشهر الربيع إلى مدينة تاهرت وأحوازها لما حولها من الكلأ و غيره"[5].

1- محمود اسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص: 62،81. البكري، المسالك، ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص: 135.

2- هاشم العلوي، مجتمع المغرب الأقصى، ج2، ص: 136.

3- نفس المصدر السابق، ص: 139.

4- البكري، المسالك، ص: 713. ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 22،68.

5- ابن الصغير، السير، ص: 17،18. هاشم العلوي، مجتمع المغرب الأقصى، ج2، ص 138،139.

ز –قبائل الصحراء أو سكان الرمال:

جزولة: من ضمن التجمعات الكبرى لقبيلة صنهاجة الجنوب، مارست الظعن و الترحل في الصحراء الكبرى ما بين افريقيا و صحراء أدغشت، يمتد انتشارها شمالا إلى الأطلس الصغير و حوض نهو درعة، ثم إلى سهل سوس.

لمطة: و قد سيطرت هذه القبيلة على جميع نواحي الهكار و امتدت فروعها المتحالفة معها شمالا إلى واد مامنة، و قد كانت أيضا في تعايش مع القبائل المجاورة لها خاصة قبيلة جزولة، كما كانت مدينة نول من تأسيس اللمطيين بسهل وادي نون.

لمتونة: و جدالة أو كدالة قبيلتان على قدر كبير من الشدة و البأس، سيطروا على الجهات الصحراوية جنوب مجال نفوذ لمطة و جزولة، وبدأ الدور اللمتوني منذ القرن الثاني للهجرة/8م في الجنوب الصحراوي، و كانت قوته السياسية الفعلية في القرن الخامس الهجري/11م، أما جدالة فتنتشر شمال نفوذ لمتونة.

مسوفة: تنتشر بين سجلماسة و أدعشت شرق الانتشار اللمطي و الجزولي، و مركزها الرئيسي هو تدمكة و تعد من التجمعات الصنهاجية الكبرى و أحد مؤسسي تجمع آنية الصنهاجي.

بنو دمر: من زناتة كانت لهم مع زناتة صولات و جولات في حروبها، فهم من ولد ورسيك بن آديدت بن جانا، أما بطونهم إيدمر بنو ورغمة، و من بطونهم أيضا بطن متسع كثير الشعوب، و هم بنو ورنيد وانتن بن واريرن بن دمر و من شعوبهم بني ورتاتينو بني غرزول و بني تفورت، أما مواطنهم فكانت بافريقية نواحي طرابلس و جبالها و ضواحي تلمسان.[1]

قبيلة نفزاوة: تحتل قبيلة نفزاوة مكانة بارزة ضمن شجرة القبائل البربرية، و قد نسبها ابن خلدون إلى زحيك بن مادغيس الأبتر جد البربر البتر و منه انحدرت أربعة بطون و هي: نفوسة و أدراسة و ضريسة و بنو لوا[2]. و توضيح موقع نفزاوة أدرجنا هذا الجدول

[1] - ابن خلدون، العبر، ج6، ص : 181 .

[2] – ابن خلدون، العبر، ج : 3، ص : 2408.

نقلا عن محمد ضيف الله في كتابه نوافذ على تاريخ نفزاوة[1]. و قد اعتمد هذا الأخير على عبد الرحمن ابن خلدون في كتابه العبر.

بطون البربر			
	المستوى الأول	المستوى الثاني	المستوى الثالث
	أداسة	ضربة- اندارةهترولة- هداغة-أوطيطة-نزهنة	
البتر	نفوسة	بنو زمور- بنو مكسور- ماطوسة	
	ضريسة	مضغرة- لماية- صدينة- كومية- مدينونة- مغيلة- مطماطة- ملزوزة- مكناسة- دونة	
	بنو لوا الأكبر	نفزاوة	ولهاصة- غساسى- زهيلة ورسيف- زاتيمة- مجرة- مكلاتة- - وركول- مرنيسة- ورد- غروس- وردن

و أما مجالات القبيلة فقد كانت مثل باقي القبائل البترية الأخرى، تعيش على التنقل و الترحال في المناطق الصحراوية و الحارة عموما بشمال افريقيا[2].

ح –القبائل العربية :

1- أسباب الاجتياح:

لقد مرت مصر بأزمة شديدة في ظل الحكم الفاطمي، و كانت هذه الأخيرة بسبب السياسة المالية التي لم تكن تقدر ظروف مصر إلى جانب حب الفاطميين للمال و الشراء الفاحش، حيث ظلوا يحتجزون الأموال و يقومون بها للتجارة و شراء العبيد حتى يعود عليهم بالنفع، و ترجع هذه الأزمة أيضا إلى طمع الأمراء و تطلعهم إلى السلطة و

[1]- محمد ضيف الله، نوافذ على تاريخ نفزاوة، المغاربية للطباعة ،2008 م، ص : 19،18.

[2]- محمد ضيف الله، نفس المرجع والصفحة.

تنافسهم الحاد على المناصب التي استغلوها في سبيل تحقيق مصالحهم الخاصة[1]، و بالإضافة إلى العامل الاقتصادي و المتمثل في نقص فيضان النيل في تلك الحقبة و كان من البديهي إذا نقص و جق مقدار من نهر النيل تبور الأرض و ينتشر الوباء و تغلى الأسعار، أما إذا ارتفع منسوب النيل فيكون الرخاء و الوفرة في الأسعار[2].

و من بين المشاكل التي كانت تعاني منها الدولة الفاطمية تلك القبائل العربية المشاغبة في الصعيد حيث كانت تشغل بال السلطة الفاطمية و هي قبائل بنو هلال و بني سليم و قد فكر الوزير اليازوري في استخدام تلك الحشود الهمجية، حيث أشار على الخليفة بمصالحة تلك القبائل و تقليد رؤسائها افريقية، و توجيه رجالها إلى محاربة صنهاجة، و حسب النويري[3] فقد استدعى اليازوري أمراء بني هلال و أطلق أيديهم في أقاليم افريقية و وعدهم بالعدة و المدد و أمرهم بأن يعيثوا في البلاد فسادا، فدخلوا إلى بلاد المغرب سنة 442 هـ/26 ماي 1050 م[4].

يعد الغزو الهلالي لبلاد المغرب من أهم الأحداث التي عرفتها المنطقة، و التي امتد تأثيرها السلبي و الإيجابي لقرون عدة، و قبل أن تتبع انتشارهم خاصة بالمناطق الصحراوية كان لابد من الوقوف قليلا عند التعريف بهم:

إن بني هلال أهم الشعوب العربية الثلاثة الداخلة إلى بلاد المغرب، فقد كانوا من كثرة العدد و تعدد البطون، بحيث غطى اسمهم على الشعبين الآخرين بنو سليم و المعقل، و يشتمل هذا الشعب على عدد كبير من القبائل، بعضها ينتمي حقيقة بالنسب و بعضها نسبه في غيره، و لكنه محسوب منه و مضاف إليه. و من هذه القبائل من أكلتها الحروب أثناء الزحف و بعده، فاندثرت و لم يبقى منها إلا اسمها يذكر بها، و منها قبائل تناسلت و نمت فصارت لها البطون و الأفخاذ الكثيرة فارتقت من رتبة القبائل إلى رتبة الشعوب[5].

---

[1]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 23،69.

[2]– نفس المصدر، ج6، ص: 72.

[3]– النويري، كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج2، ص: 141.

[4]– الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص: 247،248.

[5]– عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968، ص: 417.

و قال ابن حزم[1] في نسبهم: " بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان" و أبرز قبائل بني هلال:

الأثيج: ينسبون إلى الأثيج بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال، كانوا أوفر عددا من غيرهم و أكثر بطونا فكان لهم التقدم على من سواهم، و من قبائلهم دريد و كرفة و الضحاك و مقدم و لطيف و العاصم و غيرهم[2].

و تعد أحد القبائل الهلالية الأوفر عددا و الأكثر بطونا النازلة بالمثلث: قسنطينة- الزاب- الحضنة، و انقسمت إلى مجموعات ثلاثة كبرى: المشرق، دريد و كرفة، ولئن لم تظهر بوادر الانقسام إبان حلولها بافريقية، و دخولها في نزاع مع صنهاجة فإن الحرب أضحت سجالا بين دريد من ناحية و الحلف المكون من قرة و المشرق (كرفة و عياض)، في أواسط القرن السادس هجري/ الثاني عشر ميلادي، و قد تعرضت آنذاك بعض فروعها من المشرق، و هي عاصم و مقدم شأنها في ذلك شأن قرة و جشم إلى النقل القسري عهد الموحدين.

و بالتالي فإن تراجع أهمية هذه القبيلة جعلها تفرط في سهول قسنطينة الخصبة لقبيلة رياح و تركن إلى الاستقرار بقرى الزاب و جبل الأوراس و غيرها، و هذا ما يعني انتقال القبيلة من طور إلى أخر، من قبيلة منافسة شديدة البأس و محاربة إلى قبيلة غارمة لتفككها و ضعف [3].عصبيتها التي ساهمت دولة الموحدين في إضعافها فقد كانت هذه القبيلة في القرن الخامس هجري من أقوى القبائل و أكثرها سطوة إلى أن ضعفت عصبتها في القرن الموالي بفعل السياسة الموحدية الذي عمدت إلى النقل الإجباري لكثير من بطونها و الاعتماد على بقية القبائل المنافسة مثل رياح للحد من تنقلاتها بين الصحراء و التلول و قد انتهى بها المطاف إلى النزول بالمثلث: قسنطينة- الزاب- الحضنة, و التحول إلى قبيلة خاضعة للضرائب و غيرها.

---

[1]- ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، جمهرة أنساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت سنة : 1983 ، ص: 272.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 48.

[3]- محمد حسن ، المدينة والبادية، المرجع السابق ، ج : 1 ، ص : 98.

جشم: ينسبون إلى جشم بن معاوية بن بكر بن هوزان و اندمجت فيهم قبائل أخرى من الأثبج كالمقدم و العاصم فعدو منهم، و غلب اسم جشم عليهم جميعا و من أهم قبائلهم بني جابر و الخلط و السفيان[1].

رياح: ينسبون إلى رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، كانوا من أعز قبائل بني هلال نفرا و أوفرهم جمعا عند دخولهم إلى بلاد المغرب، و قبائلهم كثيرة منها الخضر و مرادس[2] و أولاد سعد و أولاد سليم[3].

كانت رياح من أهم قبائل هلال و أكثرها جمعا سنة 443 هـ/1051 م، و ذكر من بين رؤسائها: ذياب بن عانم و مؤنس بن يحيا الصنبري[4].

و قد تنامت أعدادها و تفرعت بطونها و قد تحدثت إحدى الرسائل الموحدية عن " اختلاف قبائلها و تعدد عشائرها و اتساع أفخاذها و عمائرها"[5].

لكن هذه القوة البشرية الهائلة لم تصمد أمام الآلة العسكرية الموحدية و قد دخلت القبيلة في صراع مع الدولة وتحالفات قبلية في فصول عدة لعل أبرزها مشاركتها في حركة بني غانية منذ سنة 583 هـ-580 هـ/1187-1184 م، حيث كانت طرفا أساسي في الحلف مع بنو غانية و قراقوش، و هي قوة مختلفة المنازع، لا يجمع بينها سوى معاداتها للموحدين، و بعد أن تمكن الخليفة المنصور من التغلب على هذا الحلف، اعترف مسعود بن زمام من جديد بالموحدين، و هكذا كانت الحرب سجال بين الطرفين حتى موت يحيى بن غانية سنة 631 هـ/1233 م. كان بمثابة الإعلان عن نهاية

---

[1]- نفس المصدر و الجزء، ص : 51.

[2]- أما بنو مرداس فكانوا يمثلون أهم بطن من بطون رياح و كان على رأسهم مؤنس بن يحيى التابع لبطن بن صنبار و يلاحظ ابن خلدون أنه لا ينبغي الخلط بين " مرداس رياح" المنتمي إليهم مؤنس و " مرداس سليم" . الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ج1، ص: 250.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 69.

[4]- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص :275.

[5]- ابن عذارى، البيان، ج1، ص 300،301.

تحركات هذه القبائل البدوية عامة و انتشار رياح بالتلول و رئاسة محمد بن مسعود خاصة[1].

و نظرا للتوطين القسري الذي مارسته الدولة الموحدية في حقهم أضعفها و ساهم في تشتت بطونها، حيث بدأت في انزياح بطيء في اتجاه قسنطينة و الزاب، حيث الأشيج[2].

زغبة:

ينسبون إلى زغبة بن أبي ربيعة بن نهيك بن علال بن عامر، و كانت لهم كثرة و عزة عند دخولهم المغرب، و تغلبوا أولا على نواحي طرابلس و قابس، و من قبائلهم حصين و بنو مالك و بنو عامر و بنو يزيد و عروة[3].

و تعد من بين القبائل الأولى التي حلت بجهة طرابلس منذ سنة 429 هـ/1030 م،و قد ظلت منتجعة في المجال الممتد بين طرابلس و قابس إلى حد سنة 580 هـ/1184 م، بعد أن تغلبت على الزناتيين من مغراوة، و كانت من بين القبائل التي لم تناصر و تحالف ثورة بنو غانية عند قيامها مفضلة بذلك الإنحياز إلى صفوف الموحديينو الذين بدورهم راعوا هذا الأمر، حيث كلفوها بالانتقال إلى المجال الممتد بين المسيلة و تلمسان لحمايته من الملثمين و هناك أقامت عصبية الحلف مع جيرانها الزناتيين في الشمال بني بادين[4].

و أما بنو سليم فهم: بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان، من أوسع بطون مضر، و أكثرها جموعا، كانت مواطنهم الأولى بنجد و كانت السيادة فيهم لبني الثريد بن عصبة بن حفاف بن بهتة بن سليم.

و لما أدركهم الإسلام كان منهم عناد، و من بين أشهر بطونهم قبائل عصبة و زعل و ذكوان الذين دعا عليهم رسول الله صل الله عليه و سلم لما فتكوا بأصحابه، ثم أسلموا و خاضوا فيما خاضت فيه القبائل من شؤون الخلافات و الفتوح و صاروا في عهد

---

[1]– ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 71،72.

[2]– المراكشي، المعجب، ص: 328.

[3]– ابن خلدون، العبر، ج:6، ص :75.

[4]– محمد حسن ، المدينة والبادية، ، ج : 1 ، ص : 102.

الخلافة العباسية أولي فتنة و بغي، و لما ظهر القرامطة[1] خمسوا أيديهم في فتنتهم و حالفوا أبا الطاهر و بنيه أمراء البحرين مع بني عقيل بن كعب، فلما انقرض أمرهم اعتنق بنو سليم مذهب الشيعة و تغلبوا على البحرين و استمروا هناك حتى قام بنو الأصغر بدعوة العباسيين، فانتزعوا الحرين منهم (بني سليم) في أيام بني بويه و طردوهم عنها.

بنو عوف: هي من قبائل بني سليم بن منصور بت عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان، و قد ذكروا لأول مرة في معركة سبيبة سنة 547 هـ/1064 م، و منذ سنة الأخماس تم جلبهم من قابس إلى المهدية[2].

و أصبحت بنو عوف قبيلة مخزنية ظاعنة بشرقي افريقية من قابس و الجريد إلى حد بونة شمالا، و انقسمت غلى بطنين: مرداس و علاق و تفرع علاق غلى بني يحيى (ومنها الكعوب) و بني حصن (و منها بنو علي و حكيم)[3].

و قد ظلوا مقيمين بناحية برقة إلى حد أواسط القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي، و الظاهر أنه ابتداء من دخول الموحدين البلاد، و خاصة بعد قيام حركة بني غانية سنة 580 هـ/1184م، انتشرو من جديد بجهة طرابلس و قابس مستغلين بذلك فترة الاضطرابات الداخلية. لكن قراقوش حال موقفا دون تقدمهم مستأصلا شأنه عدد هام من

---

[1]- تراجع دور القرامطة إلى الأفكار الدينية التي تتعلق بالمهدي المنتظر في العقيدة الشيعية و قصائدهم الدينية اسماعيلية شيعية في مجملها، و اختلف في تسميتهم على عدة أقوال منها:

- ترجع إلى رجل بإحدى القرى بسواد الكوفة اسمه حمدان بن الأشعث و يلقب كرميته لحمرة عينيه و التقى هذا الرجل برجل من الباطنية يدعى حسيب الأهوازي، و كان يتظاهر بالورع و الزهد، ويدعوا إلى الإمام من أهل البيت و كان هذا الرجل مريضا فحمله غلى بيته و اعتنى به و بدا ينتشر هذا المذهب من هذا البيت ، و نسب المذهب غلى كرميته باعتباره الذي آوى الداعية و حث الناس على اتباع مذهبه.

- تنسب القرامطة غلى مذهب يقال له القرامطة و هو مذهب خارج عن الإسلام.

- و يرى أخرون أن القرامطة ينسبون إلى حمدان بن الأشعث نفسه و هو رجل كان يعيش بسواد الكوفة و لقب قرمطا لأن كان قصيرا و كانت رجلاه قصيرتين ، عبد القادر صالح، العقائد و الأديان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى 2003، ص: 266.

[2]- المراكشي، المعجب، ص 492-412. ابن الكلبي، جمهرة، ص: 395.

[3]- ابن الكلبي، جمهرة، ص: 395. و قد قال عنها أنها بطن كبير من بني سليم، و أن عوفا أمه هند بنت مازن بن منصور .

الكعوب، مما جعلهم يكرون راجعين إلى برقة، مستصرخين سائر قبائل يحيى بن علاق، و هكذا انحاز بنو عوف إلى جناب أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص، فيما تحالفت الدواودة مع بني غانية[1].

بنو مرداس: ظلت مرداس منتجعة في نواحي طرابلس، دون أن تتخطى قابس بين سنة 580 هـ إلى سنة 630 هـ/1184-1232 م، و لما تمكنت عوف من طرد رياح من افريقية تقدمت إلى ناحية القيروان.

احتل بنو هلال ناحية برقة مدفوعين بأمل الغنيمة و استولوا على مدنها و قراها و خربوها و كتبوا غلى إخوانهم الذين مكثوا في الضفة الشرقية من النيل وصفا جذابا للبلاد التي اجتاحوها، لحثهم اللحاق بهم، و يقال أن اليازوري بوصفه خبيرا ماليا ماهرا لم يسمح لهم باجتياز النيل إلا بشرط " أن يؤدي كل عابر فروا و دينارا، فأخذ بذلك أكثر مما أعطى"[2].

' لما حل بنو هلال في سنة (442 هـ/1050-1051 م) أرض برقة و ما والاها وجدوا بلادا كثيرة المرعى، خالية من الأهل، لأن زناتة كانوا أهلها فأبادهم المعز"[3]. و قد أقام الأعراب في ناحية برقة و استوطنوها و عاثوا فيها فسادا في أطرافها حتى حدود طرابلس، و حسب رواية ابن خلدون " سارت قبائل دباب و عوف و زغب و جميع بطون هلال إلى افريقية كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه"[4].

و قد كان ذلك سنة 443 هـ/1051-1052 م، كما ذكر ابن خلدون في موضع آخر أن النواحي الواقعة غربي قابس أصبحت على ملك القبائل الهلالية، و هي رياح و

[1]- محمد حسن، البادية، ص: 113،114. ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 144،146.

[2]- روجيه إدريس، المرجع السابق، ج1، ص: 249. رحلة التيجاني، المصدر السابق، ص: 20.

[3]- النويري، المصدر السابق، ج2، ص: 141.

[4]- ابن خلدون، العبر، ج :6، ص : 14.

زغبة و معقل و جشام و قرة و الأثبج و شداد و خلط و سفيان و قد أسند المستنصر سلفا القيروان و باجة إلى مؤنس بن يحيى المرداسي، و قسنطينة إلى حسن بن سرحان و طرابلس و قابس إلى زغبة[1].

[1]– نفس المصدر، ج6، ص: 19.

الفصل الثالث

نماذج للتحالفات السياسية و المذهبية

1_ نماذج منالتحالفات السياسية والمذهبية :

أ- الحلف الزناتي الأموي.

ب-حركة محمد بن خزر ودوره في في عقد التحلفات القبلية .

ت-التحالف الزناتي مع عامل الزاب الفاطمي (علي بن حمدون).

ث-التحالف الثلاثي(جعفر بن علي بن حمدون مع زناتة وأموي الأندلس).

ج- حركة أبي يزيد والتحالف الخارجي السني.

ح- أبو الركوة ودوره في التحالف الزناتي مع قبيلة بني قرة العربية.

خ- التحالف الصنهاجي الجنوبي .

د- تحالف بنو غانية(بني غانية وقراقوش والعرب)

لم يكن المغرب الإسلامي بمعزل عن التيارات السياسية والعقدية، والمذاهب الفقهية التي كانت تنشأ في المشرق مركز الخلافة الإسلامية، فما كان يظهر هناك ينتقل إلى بلاد المغرب بعد أن يتبلور ويتكيف، فقد ظهر بالمغرب المذهب الحنفي[1]إبان نفوذ الخلافة العباسية وتبنى سكان المغرب والأندلس المذهب المالكي[2]، كما وردت إليهم مذاهب أخرى كالمذهب الحنبلي[3]، والمذهب الشافعي[4]، والظاهري[5]، الذي ظهر ظهورا خفيفا، أما عقائد الفرق الإسلامية، فقد انتقلت هي الأخرى إلى بلاد المغرب كعقيدة الخوارج ممثلة في فرقتين الصفرية والإباضية، عقيدتي الاعتزال والإرجاء ثم دعوات آل البيت . العلوية ممثلة في الأدارسة وقليل من التشيع، والإسماعلية ممثلة في الدولة الفاطمية والإسماعلية التي كانت مشروع الشيعة لإقامة خلافة آل البيت.

وقد اتسعت الحركة الفكرية واشتد الصراع المذهبي في نهاية القرن الثاني والثالث الهجري في بلاد المغرب ، وخاصة إبان العهد الفاطمي، وصاحب هذا الإتساع مظاهر:

---

[1]– هو أحد المذاهب الأربعة المشهورة سمي نسبة لمؤسسه الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بنو زوطى بن ماه التيمي . الكوفي، إبراهيم بن علي بن يوسفالفيروزبادي الشيرازي أبو اسحاق طبقات الفقهاء ، تح : ،إحسان عباس ، دار الرائد العربي ن بيروت ، 1970 ، ص : 86.

[2]– المذهب المالكي هو ثاني المذاهب الإسلامية المعتمذة في الفقه الإسلامي ، من حيث الترتيب الزمني ، وينسب إلى عالم المدينة ، وإمام در الهجرة مالك ابن أنس الأصبحي وهو من أصح المذاهب وأعدلها في العقيدة و الأحكام . سير أعلام النبلاء لذهبي المصد ر السابق ج : 8 ، ص : 48 .

[3]–نسبة لمؤسسه الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي

[4]– هو رابع المذاهب الأربعة المعتبرة عند الجمهور المسلمين من حيث النشأة والظهور ، وهو منسوب إلى الإمام أحمد بن حنبل الشيباني الذي اشتهر تعضيمه لنصوص وأثار الصحابة وبنى جل فقهه عليها ، ومن تأمل قوة حافظته ، وسعة علمه ، وكثرة شيوخه يدرك مقدار ما بلغه هذا الإمام من العلم والفقه . المذاهب الفقهية الأربعة ، أئمتها ،أطوارها ،أصولها وأثارها .وحدة البحث العلميبإدارة الإفتاء ، راجعه : أحمد الحجي الكردي ، علي الشيخ الشربجي، بومية بن محمد السعيد ، عنان بن سالم النهام .وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، ط : 1 ، الكويت ، 2015 ، ص : 161 .

[5] – المذهب الظاهري هو المذهب الذي أنشأه في المشرق دود بن علي الاصبهاني والذي يرمي الى التمسك بظاهر الأيات القرآنية ، أي بمعناها اللفظي والذي اعتنقه ابن حزم ودافع عنه حتى في شعره . اسماعيل بن عمر ابن كثير البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، 1990 ج : 11 ، ص : 41 .

أولها : نشوء دول مذهبية " تمثلت في الدولة الرستمية ودولة الأدارسة و ودولة بني مدرار و دولة بالأغالبة والدولة الفاطمية التي قضت على كل هؤلاء " . وكانت للمذاهب والفرق الإسلامية الأثر البارز في بروزها .

ثانيا : احتدام الصراع السياسي الدموي ، وكان لظهور الشيعة في بلاد المغرب بمثابة الفتيل الذي ألهب المنطقة من جديد ، وزعزع أمنها واستقرارها السياسي والفكري ، و دعم النزعة القبلية بالخصوص ، وقد حاول الفاطميون منذ قدومهم إدخال تغيرات جوهرية في العبادات والمعاملات مثلا أنهم زادوا حي على خير العمل في الأذان وتحريم صلاة التراويح[1]، ونافلة الحج، تغيير أوقات صلاة ، وأبطلوا دعاء القنوت وأمروا بالصلاة

[1]– لم يكن عمر بن الخطاب هو من شرع صلاة التراويح بل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء في صحيح مسلم حديث روته السيدة عائشة رضي الله عنها " أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خرج من جوف الليل فصلى في المسجد ، فصلى رجال بصلاته فأصبح الناس يتحدثون بذلك ، فاجتمع أكثر منهم ، فخرج رسول الله في الليلة الثانية فصلوا بصلاته ، فأصبح الناس يذكرون ذلك فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفق رجال منهم يقولون : الصلاة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خرج لصلاة الفجر فلمى قضى الفجر أقبل على الناس ، ثم تشهد ، فقال : أما بعد ، فإنه لم يخف عليّ علي شأنكم الليلة ، ولكني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل ، فتعجزوا عنها " .أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، ص : 300 حديث رقم 761 .وباب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح ، ص : 299 ، 300 حديث رقم : 761 . البخاري المصدر نفسه ، كتاب الجمعة باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد ، ص : 173 .، حديث رقم 924 .وكتاب صلاة التراويح ، باب فضل من قام رمضان ، ص : 363 . حديث رقم 2012 . إنما تمثل دور ابن الخطاب (رضي الله عنه) في كونه أول من أحي هذه الشعيرة ، طبقا لما أخبر به عبد الرحمان بن عبد القاري حين قال :خرجت مع عمر بن الخطاب في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون ، يصلي الرجل لنفسه ن ويصلي الرجل فيصلى بصلاته الرهط فقال عمر : والله إني لأرني لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ، فجمعهم على أبي بن كعب ، قال : ثم خرجت معه ليلة أخرى ، والناس يصلون بصلاة قارئهم فقال عمر : نعمة البدعة هذه ..." مالك بن أنس الموطأ ، كتاب الصلاة في رمضان ، باب ما جاء في قيام رمضان ، صححه ورقمه وخرج أحديثه وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتاب المصري بالقاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت ، د. ت ، 1/ 114 ، حديث رقم : 3 . الفيروز وبادي نفس المصدر ، ،ص : 668 ، 770 .

علىعلي بن أبي طالب، وطلبوا الإقتداء به، و ترك الإقتداء بعمر[1]، كما أسقطوا طلاق البتة، وأباحوا نكاح المتعة الذي ضيقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد سموا الفاطميون بأهل التشريق لأنهم اتبعوا رجلا من الشرق أبو عبد الله الشيعي ومن هذه الدعوة وهذا المنطلقات نشأ خلاف حاد بين أهل المذاهب والفرق من جهة والشيعة من جهة أخرى، وكان أبرز المعارضين أهل السنة المالكية والإباضية، وقد قامت بين هذه الأطراف مناظرات ومساجلات استعمل فيها كل طرف ما عنده من إمكانات فكرية لإقناع الطرف الأخر ثم تطور الأمر إلى صراع مسلح تجسد في ثورات وحروب قامت بها قبائل المنطقة بقيادة زعماء أشداء رفعوا راية لا للظلم[2] .ونشير في هذا الصدد إلى أن ظاهرة الحرب كانت تحضر باستمرار بين القبائل لتحافظ على اختلافها وتمايزها (واستقلالها وحريتها)، لكنها تنتج ايضا نقيضها عندما تحتاج كل قبيلة إلى من يسند ظهرها ، ويعينها على عدوها ، فتكون بذلك الحرب عنصر تقسيم وتجزيء ، وفي الآن ذاته عنصر جمع وتوحيد من خلال عقد التحالفات القبلية .

أ- **البوادر الأولى للحلف الزناتي الأموي** :بحكم موقع دولة بني رستم [3] الجغرافي بالمغرب الأوسط والظروف السياسية والمذهبية ، توجهوا إلى بني أمية بالأندلس وعقدوا معهم تحالفا وديا، فقد كانوا يتوسطون فكي كماشة أو بتعبير أخر كانوا بين فكي الرحى الأغالبة شرقا، والأدراسة غربا، فقد كان من الطبيعي أن يحدث تقارب ودي وربما عسكري

---

[1]- ابن عذراي المراكشي ، نفس المصدر ، ج : 1 ، ص : 51 . ابن حماد الصنهاجي ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، 1984، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، دون طبعة ، ص :27 .

[2] - نشير للإطلاع أكثر في هذا المجال إلى أطروحة دكتورى الموسومة ب " الصراع المذهبي العقدي بالغرب الإسلامي أسسه مجالاته وإن انعكاساته" للباحث :سبع قادة ، إشراف ، الأستاذ الدكتور : محمد بن معمر ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران ، السنة الجامعية : 1436 – 1437 هـ / 2014 – 2015 م .

[3] - نسبة لمؤسس الدولة الرستمية (عبد الرحمان بن رستم بن بهرام بن كسرى حكم 106 هـ – 171هـ من أكبر أعلام الإباضية ، ولد بالعراق في العقد الأول من القرن الثاني للهجرة ، ويرجع في نسبه الى أكاسرة ملوك الفرس فهم أجداده ، اختير إماما للأول دولة اسلامية مستقلة بالمغرب الأوسط عرفت في التاريخ باسم الدولة الرستمية . بحاز ابراهيم بن بكير وأخرون ، معجم في التاريخ باسم الدولة الرستمية . جمعية التراث غرداية ، الجزائر

وسياسي واقتصادي وحضاري، بين بني رستم في تاهرت وبين بني أمية في الأندلس تدفعهم في ذلك مصالحم السياسية، ودفع العدو المشترك وقد اتسمت العلاقة الاموية الرستمية بالطابع الودي بغض النظر عن الاختلاف المذهبي بينهما[1]، فبنو أمية السنيون متعصبون لمذهب أهل السنة أما بنو رستم فهم خوارج إباضية، غير أن المذهب الذي يعتنقونه يعتبر أكثر المذاهب الخارجية اعتدالا وأقربها الى مذهب أهل السنة .

وقد استعان الأمويون بالرستميون في إدارة أعمالهم وقيادة جيوشهم، كما استعان الرستميون ايضا بالخبرات الأندلسية في بلاطهم منذ أيام المؤسس الاول عبد الرحمان بن رستم حتى أصبحوا أعضاء بارزين في مجلس الشورى الإباضيالتهارتي، وقد اشتهر من بين الوافدين الأندلسيين اثنان منهم عمران بن مروان الأندلسي ومسعود الأندلسي، وقد كان من بين السبعة أشخاص الذين رشحهم عبد الرحمان ين رستم للإمامة الإباضية بتهارت قبل وفاته [2] ناهيك عن التعاون الاقتصادي الذي شكل ذروة التحالف بين الطرفين وكان سبب تراجع بنو أمية في علاقتهم مع الرستميون تزايد الفتن والثورات في الأندلس ن وانشغالهم بحفظ الأمن وعدم الإنفلات والظاهر أن الظروف الصعبة التي مرت ببني أمية خلال هذه الفترة شلت حركتهم وابعدتهم عن حلفائهم في المغرب، فلم يستطيعوا تقديم المساعدات الى أصدقائهم الرستميين أصحاب تهرت الذين تهاوى عرشهم على يد الداعي الشيعي والجيش الفاطمي سنة 296 هـ 909 م لكن ظلت قبائل المنطقة في المواجهة، فبرغم من محاولة الفاطميين تشتيتهم الى(ورجلان ، بلاد الجريد ، جبل نفوسة ......) إلا أن زناتة وأحلافها تبنت الحرب لتدافع عن أرضها فهي تواجه عدو وقوة لا يستهان بها أخذت تبسط نفوذها على كامل المغرب الإسلامي[3] والتي بدورها استعانت بدعم وتحالفات قبائل المنطقة " كتامة ، صنهاجة الشمال " لكن هذه الوثبة فتحت الستار على خصم

---

[1]- عبد العزيز فيلالي ، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب دار الفجر لنشر والتوزيع ، مصر، الطبعة الثانية . 1999 م ص : 96 – 97 .

[2]- الدرجيني ، الطبقات ، ج : 1 ، ص : 46 .

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج : 6 ن ص : 302 . ابن خلدون ج : 7 ، ص : 16، اسماعيل محمود ، الخوارج ، ص :16 .

عنيد خاصة بعد التعدي على مجالتها وهي المتجذرة والمتأصلة في الصحاري المغرب الإسلامي من برقة حتى المحيط الأطلسي، وما زاد الطين بلة والصراع حدة اعتماد العبيديينعلى الخصم التقليدي لزناتة " بتر، وبرانس. " كتامة وصنهاجة ، فما كان من زناتة سوى تجديد الوثاق مع أموي الاندلس وحتى هذه الأخيرة كانت تترقب ما يحدث بالمغرب من سيطرة الفواطم على أراضي كثيرة مما أرعبها ودفعها لتدخل ، وقد تزامن ذلك ببروز زعيم زناتي يدعى محمد بن خزر من قبيلة مغراوة أذاق العبيديينالأمرين إذ أبرم حلفا مع الأمويين تعهدهم بالولاء مقابل الدعم فكان له ذلك من طرف عبد الرحمان الثالث [1]، حيث بادر باحتلال ثغر مليلة الحصين سنة 314 هـ/ 998م ليعزز انتصارات حليفه محمد بن خزر على الجيوش الفاطمية في إقليم الزابوتاهرت وهو عمل بحري يعتبر الأول من نوعه في تاريخ الإمارة الأموية في الأندلس إذ لم يسبق للأسطول أو جيش أندلسي أن دخل بلاد المغرب غازيا من الشمال منذ ان فتحها العرب وبدأ يتدخل تدخلا مباشرا في العدوة المغربية لكسب تأييد أمراء المغرب ورؤساء القبائل وولائهم وتحريضهم على الشيعة الفواطم [2] .

ومما لاشك فيه أن وجود الجالية الأندلسية [3] بالمغرب قد تركت أثرا فكريا ومذهبيا بين سكانه ، فأهل المغرب والأندلس يلتقون في حبهم لسنة ومذهب مالك ،وكما أن سكان الأندلس يتعصبون للمذهب المالكي و قد يشترك مع الخوارج في خصومة الشيعة إذ هم أعدائهم منذ خروجهم على علي بن أبي طالب و هذا ما حدث بالفعل فقد انضم صوت الخوارج إلى صوت أهل السنة لدفع الخطر الفاطمي و مقاومته و صادفهم من

---

[1] عبد الرحمان الناصر لدين الله أو عبد الرحمان الثالث (هو ثامن أمراء أموي الأندلس ، يعتبر عصره من العصور الذهبية للأندلس وحد الأندلس بعد التمزق ورد لها عضمتها دام حكمه مايقارب خمسين سنة . أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص : 180 ، المقري التلمساني نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح: إحسان عباس ،دار صادر بيروت 1988 م . ج : 1 ، ص : 331 .

[2] – عبد العزيز الفيلالي ، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، المرجع السابق ، ص: 123 .

[3] عبد العزيز الفيلالي ، المرجع السابق ، ص : 134 .

جراء ذلك عناء كبير و من بين الأمور التي دفعت المغاربة إلى الالتفاف على أي ثائر ضد الفاطميين أن هؤلاء عنفوا و قتلوا أحسن الفقهاء السنيين و أتقاهم فقد أمر عبيد الله المهدي في سنة 309 هـ/921م بقتل الزاهد محمد الشذوني و سبب ذلك تفضيل هذا الأخير لبعض الصحابة على الإمام علي بن أبي طالب[1]، فكان الصراع المذهبي في افريقيا و المغرب على أشده بين أهل السنة و الشيعة.

و هناك مثال آخر لهذا الصراع المذهبي ما أورده المالكي في حديثه عن احتلال عبيد الله المهدي لافريقية، إذ يقول: " بأن فقيها مالكيا يدعى جبلة ترك رباطه بقصر الطوب[2] و أقام في مدينة القيروان فقيل له: أصلحك الله كنت بقصر الطوب تحرس المسلمين و ترابط فتركت الرباط و الحرس و رجعت إلى هاهنا فقال: كنا نحرس عدوا بيننا و بينه البحر، فتركناه و أقبلنا نحرس الذي قد حل بساحتنا، لأنه أشد علينا من الروم"[3].

و قد أصبح الفقهاء يؤلفون الدعامات القوية، للحرب ضد الفواطم فهم الذين أخذوا يذكون حماس الجماهير في الشوارع و المساجد ووقت الصلوات و هم الذين حملوا الرايات لقيادة الفرق الثائرة، مثل ما حدث في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد (صاحب الحمار) و من بين هؤلاء الفقهاء الذين أشعلوا حمية أهل السنة ضد الشيعة، الفقيه أبو الحسن الخلاف الذي قال: " إن قتال الفاطميين أفضل من قتال المشركين". و أنه كان يرى في محاربة الفواطم فرضا و واجبا[4].

و قد اجتهد الخليفة عبد الرحمن الناصر في اصطناع رؤساء القبائل و أمراء المغرب حيث وجد هو أيضا ضالته في حلفاء بني أمية القدماء و هم الزناتيون و لاسيما مغراوة التي أقبلت على الدعوة الأموية السنية اقبالا كبيرا و أيدت عبد الرحمن الناصر

---

[1] ابن عذارى، البيان، ج1، ص: 187.

[2] يقع قصر الطوب جنوب مدينة سوسة بتونس. ابن عذارى، البيان، ج1، ص: 171

[3] أحمد مختار العبادي، دراسات، ص: 60،70.

[4] الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان أكمله وعلق عليه :التنوخي أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى ، تصحيح وتعليق :إبراهيم شبوح ، مكتبة الخانجي بمصر ، ط : 2 ، 1388 هـ ، 1968 م ، ج3، ص: 33،34 .

تأييدا مطلقا[1] و لم تتردد عن تلبية ندائه عن طيب خاطر و أصدق دليل على ذلك ما رواه صاحب كتاب مفاخر البربر: "... و تخطاهم عبد الرحمن إلى مسكن خلفهم من زعماء قبائل البربر، يستألفهم و يحمل أهل الطاعة، على أهل المعصية منهم عمدا لمن عجز برجاله، مقويا لمن ضعف بماله متفقدا بهم في سائر الحالات بالطاقة، متعهدا بوجوه رسله و خواصه إلى أن تميز أكثر بوادي زناتة في حزبه و ارتسموا في طاعته"[2].

و كان عبد الرحمن الناصر قد أرسل هدايا و عطايا و أموال كثيرة مع سفيره القاضي عبد الله بن أبي عيسى سنة 316 هـ/918م إلى رؤساء القبائل و كان تأثير هذا السفير على الأمراء و شيوخ القبائل مثل السحر فقد كان حكيما عرف كيف يستهوي قلوبهم و يستميل نفوسهم و يحكم المواصلة بينهم و بين خليفة الأندلس و يقول في ذلك ابن حيان في كتابه المقتبس: "...فلم يلبث أن هويت إليه أفئدة كثير منهم، و من زعمائهم بين مصحح في ولايته و مستجيب لدعوته، مغتنم لعطيته مستعين بعونه"[3].

و أخذت تلك السفارة أكلها حيث كان من بين نتائجها إرسال الرسائل و الوفود من طرف القبائل المغربية خاصة الزناتية منها يعبرون فيها عن ولائهم و يبعثون له بأخبارهم و أخبار الشيعة الفاطميين, و قد وصلت عبد الرحمن الناصر لدين الله بقرطبة، رسالة من محمد بن خزر زعيم زناتة و كبير الموالين له سنة 317 هـ/929م يطلعه فيها على أعماله و أعمال ابنه و أخويه و ما أنجزه من اخضاع القبائل أبرزها بن برزال و استيلائه على المسيلة و الزاب و أحوازها و سيطرته على الطريق الواصل بين افريقيا و المغرب[4]. و قد وضعنا مضمون الرسالة كاملا و رسائل أخرى تعبر عن مدى ولاء هذه القبائل للأموي الأندلس في الملاحق.

---

[1] حيان بن خلف ابن حيان الأندلسي أبو مروان ، المقبس من أخبار بلد الأندلس ، تح : صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، ط : 1، 2006 م .

[2] مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تح : عبد القادر بوباية ، دار أبي الرقراق لطباعة والنشر ، المغرب ، ط: 1 ، 2005م

المصدر السابق، ص: 4.

[3] مؤلف مجهول: كتاب مفاخر البربر، ص :4 .

[4] ابن عذارى، البيان، ج1، ص: 194.

و لم يقف الخليفة الأموي عند الدعم السياسي و المادي لأصدقائه في المغرب و حلفائه بل عمد إلى جلب فرسان زناتة إلى الأندلس، ليستعين بهم في حروبه ضد المناوئين و الخارجين عليه.

كما ورد كتاب آخر من طرف محمد بن خزر يظهر فيه ولائه و تأكيد اعترافه بأحقية محاولات إغراء من طرف العباسيين و المصريين و الفاطميين حتى ينضم إليهم لكن أبى ذلك اعتقادا منه كما قال أن الخليفة الناصر هو أحق بمنصب الخليفة و كان ذلك بعد دعاء منه و استخارة على حد قوله و لأهمية هذه الرسالة أدرجنا محتواها ضمن الملاحق أيضا .

و قد ظلت الدولة الأموية تتوسم خيرا في هؤلاء المغاربة و تتلقى منهم التقارير عن أحوال المنطقة كما كانت تأتي الرسائل للحاكم الأموي (عبد الرحمن الناصر) تمجده و تثني عليه بأسمى عبارات الود و التقدير و الإخلاص و التعاون و كان من ضمنها كتاب لحليفهم المكناسي موسى بن أبي العافية يعلمهم بما تم بينه و بين محمد بن خزر زعيم زناتة من مصالحة فقد أنهيا كل الخلافات المتعلقة بالمنافسة على الأعمال حتى يتفرغا للعدو المشترك و هو المشارقة (الفاطميين) و قد توجا هذه المصالحة المغراويةالمكناسية بالمصاهرة و امتدت العلاقة و التحالف مع أبنائها أيضا مع شيء من التنافس على السلطة[1].

تدعيم الناصر لثورة أبي يزيد:

و قد أفردت لهذه الثورة عنوان منفردا وقد اقتصرت على ما قدمته الدولة الأموية لهذا الزعيم حتى يتغلب على عدوهم المشترك " الفاطميين" .

كان ميل أبي يزيد للأموي الأندلس مصلحي و ليس حبا في أهل السنة حيث كان ينتظر المساعدة المادية من أموال و عتاد فحسب و ذلك ما حصل عليه إثر السفارات الثلاثة التي بعثها كان أولها:

[1] – محمد بن عميرة ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص : 190 .

1- قدم على الناصر رسولان من أبي يزيد يحملان له أخبار تغلّبه على مدينتي القيروان و رقادة و ما جاورهما و إيقاعه بأصحاب السعي فيهما و كان ذلك في منسلخ شوال من سنة 333 هـ/944م[1].

2- و في السنة الموالية (334هـ) جلس الناصر لدين الله لوداع السفارة الثانية التي أرسلها ابو يزيد إلى قرطبة و كانت تتكون من أهل القيروان و هم ثلاثة أفراد كبيرهم تميم بن أبي العرب التميمي، فأجابهم الناصر بما طلبوا و أذن لهم بالانصراف[2]. و يشير ابن خلدون لهذه السفارة على تقديم الولاء من طرف يزيد للأمويين و إعلانه الطاعة[3].

3- و أرسل أبو يزيد سفارة ثالثة سنة 335 هـ/946م إلى قرطبة برئاسة ولده أيوب بن أبي يزيد مخلد بن كيداداليفرنيالاباضي فأكرمه الناصر و أمر إنزاله في قصر الرصافة و قد أعد له من الفرش و الوطاء و الغطاء و الآنية و الألة فأقام هناك تحت نزل واسع و إكرامة موصولة[4] و عند انصرافه أمد الناصر بمبلغ كبير من المال لتعزيز مركز والده[5].

و على الرغم من أن أبا يزيد صاحب الحمار استمر نحو خمس قرن من الزمن يقاوم الشيعة و يهدد كيان الدولة الفاطمية في افريقية و المغرب إلا أن ثورته هذه انتهت أخيرا بالفشل و قضي عليها بقتله سنة 336 هـ/947م.

و يظهر لنا جليا من خلال هذه السفارات حرص الأمويين لتمويل أي طرف يساهم في تقويض سلطات الفاطميين، فهذا التحالف السياسي بين أبي يزيد و الأمويين بالرغم من التبيان المذهبي إلا أنه كان حلف لدفع شر عدو مشترك.

---

[1] - عن تفاصيل أحداث هذه الثورة راجع: الدرجيني صفات المشايخ بالمغرب، ج1، ص 216، ابن خلدون، كتاب العبر، ج7، ص: 26 و ما يليها.

[2] - ابن عذارى، ج2، ص: 212،213

[3] - ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 28،29.

[4]ابن عذارى، البيان، ج2، ص 214 .ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعيالبلنسي ، الحلة السيراء ، تح : حسين مؤنس ، دار المعرف ، القاهرة ، ط : 2 ،1958 م ، ج: 2، ص: 390.

[5] أحمد مختار العبادي ، دراسات، ص: 77.

ب-محمد بن خزر ودوره في عقد التحالفات القبلية [1]:

إن عداء زناتة للحركة الإسماعيلية قديم العهد و يرتبط بالفترة التي كان فيه الداعي في ايكجان و عبيدة الله المهدي في سجلماسة إذ تشير بعض النصوص إلى أن عامل طبنة من طرف الداعي و هو يحيى بن سلمى ترك مركز ولايته و اسرع للقاء الداعي في باغاية و قد كان في طريقه إلى قسطيلية و اخبره بأن رسله الكتاميين عند عبيدة الله في سجلماسة و كان عددهم اربعة عشر رجلا قد أدوا مهمتهم عند صاحب الدعوة و عند عودتهم قتلوا عن آخرهم في منطقة الزاب قرب طبنة من طرف عناصر زناتة كانت فيما يبدوا تخضع لإشراف محمد بن خزر[2] (الذي كان له الحرية التامة في الحركة من مجالات الزاب و افريقية حتى تلمسان و هذا له دلالة أن القبائل في هذا المجال كانت جلها مناصرة له).

و قد كان هؤلاء الرسل يحملون كتابا هاما مرسلا من عبيدة الله إلى داعيته، لم يتمكن المعتدون من العثور عليه لأن رجال الوفد تمكنوا من دفنه في الأرض، كما أخبر بذلك أحدهم الذي تحامل على نفسه و أدركه الموت في طبنة و قد قام والي طبنة بالبحث عنه و سلمه إلى الداعي في باغاية[3]، و بقدر ما كان اغتباطه بمحتوى الكتاب فحمد الله أن لم تطلع عليه زناتة على ما فيه بقدر ما تألم للحادث الذي راح ضحيته خيرة رجاله و عزم الرجوع لتأديب زناتة و الانتقام من زعيم مغراوة و لم يثنه عن عزمه إلا رأي أصحابه، على أساس أن البلد بعيد، و فلم يأمنوا أن يخالفهم إلى بلدهم [4] وأجمعوا على الاستمرار في الخطة القديمة و الانطلاق إلى قسطيلية لأن أمر زناتةلا يفوتهم.

---

[1] يقول عنه ابن خلدون بأنه من أعقاب محمد بن خزر بن خزر بن حفص الداعية لإدريس الأكبر، ابن خلدون ، العبر ج : 2 ، ص : 35 .

[2]موسى لقبال ، دور كتامة ،المرجع السابق ، ص : 344 .

[3]- النعمان، افتتاح الدعوة، ص: 143

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، الشركة التونسة للتوزيع ، ط 2: ،1986 م . ص: 144

و يبدوا أن منطقة تاهرت كانت مهمة بالنسبة لزناتة فهي بوابة الصحراء و محطة تجارية على قدر كبير من الأهمية (تجارة الذهب والرقيق [1]) فالسيطرة عليها من قبل الفاطميين أعاقت تنقلات زناتة فهي ضمن مجالاتها (خاصة الطرق الصحراوية منها) و قد نشطت حركة المعارضة و ظهر تآمر و تحالف ابن خزر ضد سلطان الفاطميين في تاهرت و بلاد الزاب منذ وقت مبكر، يرجع إلى بداية عهد أوائل ولاة المدينة الكتاميين و هو أبو حميد دواس[2] الذي كلف بالإشراف على شؤون تهرت و مراقبة حركة المعارضين فيها.

و كانت مناصرة بن دلوس[3] من سكان المدينة دافعا لمحمد بن خزر حيث وعدوه بالتأييد و المساعدة و قد خيل لمحمد بن خزر أن الفرصة مناسبة لاستخلاص المدينة من قبضة الفاطميين من جهة و للتعرض لمولى عبيد الله و داعيه عند رجوعهم من سجلماسة و كان الفشل مصاحب لمحمد بن خزر هذه المرة لأن عيون أحلاف الفاطميين كانت بكل مكان و كانت سببا في الهزيمة، لخروج المبادرة قبل وقوعها، و استعداد الطرف الآخر و هكذا كان الصراع والتحالفات حول تاهرت و أرباضها (منطقة الزاب) يكتسي طابعا سياسيا و مذهبيا، فضلا عن الطابع القبلي إذ أن البتر و بدو زناتة كرهوا الحاميات الكتامية و ولاة الفاطميين من كتامة و عجيسة و صنهاجة لأنهم تصوروا أن هدف

[1] كانت كل من تهرت وسجلماسة سوقين كبيرتين تتحكمان في محوريين تجاريين هما الشرقي والصحراوي ولهما أهمية إقتصادية كبيرة ، وكان الأمويون على ما يبدو يعتمدون على الثروات المعدنية للمغرب الأقصى خاصة الذهب الصحراوي الذي كان يتحول إلى عملة في سجلماسة وأغمات وفاس ثم تنتهي إلى الأندلس عن طريق سبتة و تلمسان وكان الفاطميون يعرفون أهمية ذلك لأن المهدي عاش لاجئا في سجلماسة ، لذلك حاولوا حرمانهم من الذهب الإفريقي . محمد بن عميرة ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص : 185 .

[2] هو أبوحميد دواس بن صولات اللهيصي ، كان أبو عبد الله ولاه هو وإبراهيم بن محمد المياني المعروف بالهواري الذي كان يلقب بالسيد الصغير ، على مدينة تيهرت بعد استيلائه عليها . البيان ج : 1 ، ص : 153 .

[3] – ابن دلوس، قبيلة، موسى لقبال، دور كتابة، ص: 344

السياسة الفاطمية هو إذلال البتر بواسطة أعدائهم البرانس و هو التصور الذي أعطى المقاومة طابعا حادا[1].

و قد عزم ابن خزر على اقتحام تهرت في نفس السنة التي سيطرت فيها على كامل إقليم الزاب و إخراج حاكمها[2] مع حاميات الدولة الفاطمية، بيد أن مقاومة السكان الموالين للدولةأو المعاونين لحكم مغراوة و انتشار الأخبار عن قرب وصول الحملة الفاطمية التي وجهها المهدي بقيادة موسى بن محمد الكتامي نجدة لوالي تاهرت هما اللذان صرفاه عن الاستمرار في حصارها و فضل الانسحاب إلى مجالاته القديمة في إقليم الزابو الصحراء التي أدركها في نفس الوقت الذي وصلت فيه حملة موسى بن محمد الكتامي إلى مشارف طبنة و لأن هؤلاء لم ينتبهوا لوجود رجال ابن خزر بمعية أخيه عبد الله بن خزر في وادي مطماصة بالمنطقة لحقت بهم هزيمة مفاجئة و قتل أكثرهم و مات قائدهم أيضا و لم يصل منهم إلى تاهرت فيما يبدو إلا عدد ضئيل و من ثم اقتضى الأمر بذل مجهود جديد لتدعيم مركز والي تاهرت المستضعف أمام تحرشات ابن خزر و إخوته عبد الله و معبد، و فلفل و من بين هؤلاء الإخوة أصبح عبد الله بمثابة نائب عن أخيه محمد في مجالات لماية و أحلافها و مناصريها من القبائل الأخرى حيث ارتضوه واليا عليهم بعد انضمامهم إلى مغراوة للعمل ضد النفوذ الفاطمي في منطقة الزاب و تاهرت[3].

و هكذا أرسل المهدي حملة جديدة عهد بقيادتها إلى كتامي آخر هو اسحاق بن خليفة لمحو آثر الهزيمة التي مني بها بواد مطماصة و كذلك لتأديب قبيلة لماية و كل من حالفها ضد النظام الفاطمي[4].

---

[1]– موسى لقبال، دور كتامة في الخلافة الفاطمية، ص: 363

[2]–يصل هو أخو مصالة بن حبوس

[3]– محمد بن عميرة ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ، المرجع السابق ، ص: 182 .

[4]– ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص: 269

غير أن مجهود اسحاق بن خليفة لم ينجح بسبب مناصرة قبيلة مغراوةللمايةو أحلافها و بل أشرف عبد الله بن خزر على المعركة بنفسه[1].

و يبدوا أن سيطرة محمد بن خزر على الوضع السياسي في الزاب و غيرها من المناطق المحادية إضافة إلى الهزائم المتوالية لقادة كتامة ثم الوضع العدائي و النفور الذي انتشر بين قبائل هذه المناطق (زناتة و هوارة و لماية و مطغرة و بني برزالو مكلاتة) بالإضافة إلى الانتصارات المتوالية لبني خزر و حلفائه دفعت الدولة الفاطمية إلى بذل جهد ضخم أشرف عليه أبو القاسم ابن المهدي الذي لم يتمكن من محمد بن خزر و إنما روّض القبائل الثائرة مثل هوارة و لماية حيث تحصن (محمد بن خزر) في قلعة عقار و وصفها صاحب عيون الأخبار أنها منيعة وعرة المسالك صعبة المرام، و قد التجأت إليها جماعة من كتامة و بني كملان و قبائل زناتة ممتنعة من أبي القاسم الفاطمي عند ملاحقته لابن خزر و القبائل المتحالفة معه (315 هـ/927م)، و ققل راجعا إلى المهدية و لم تفلح حملته في ترجيح كفة الفاطميين لكنه توج الحملة ببناء قاعدة شيعية جديدة بإقليم الزاب. هذا الإقليم الواحي الذي نشط به محمد بن خزر و استولى عليه العديد من المرات، فكان بناء المحمدية (المسيلة) قد أوكلت إليها مراقبة زناتة الضاربة في الصحراء و بالفعل كان لها دور إيجابي للفاطميين خاصة أثناء ثورة أبي يزيد الخارجي[2].

و لم يهدأ لزناتة بال إلا بالتطاحن القبلي الذي وقع على إثر سيطرة محمد بن خزر على تاهرت حيث فرض سيطرة فرع مغراوةالزناتية على المنطقة بعد طرده لميسور الفتى.

---

[1]- ابن عذارى، البيان، ج1، ص 269.

[2]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 179،المقريزي،أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تح : جمال الدين الشيال ، محمد حلمي محمد أحمد ، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ط : 2 ، 1996م ج1، ص : 72 .

و قد أمر ابو القاسم بتزيين الطعام في المحمدية، كما قام بتهجير بني كملان منها.

فلم يرق لهذه السيطرة قبائل المنطقة مثل هوارة و لماية و فرع بن يفرن المنافسين لفرع مغراوة على الرياسة إلى أن تمكن يعلى بن محمد اليفرني من الاستيلاء على تاهرت، و نلاحظ الفراغ على السلطة دفع بهذه العصبيات على اختلاف مشاربها إلى التمرد و عدم قبول الرئاسة لبني خزر للحلف، لكن لم يدم ذلك طويلا حيث أخضع جوهر الصقلي كل من تاهرت و فاس و سلجماسة و قتله و أسر ابنه يدو و بسبب مقاومته و مناصرته للأمويين أحرقت أفكان و جرد كل ما يملك و أخذ كل ذخائره و وكل أمير المنطقة إلى زبيري بن مناد جزاء له لجهده في محاربة زناتة و فتح باب جديد مع صنهاجة ضد بتر زناتة حليفة الأمويين بالأندلس[1].

و في الوقت الذي أصيب فرع بن يفرن بهذه النكبة زال الخطر الخزري المغراوي الزناتي عن المنطقة بسبب توفيق المعز لدين الله في سياسته مع محمد بن خزر و سائر الثوار في منطقة الزاب و ضواحيها إذ منحه الأمان و احتفى به عندما قدم المهدية و بقي في القيروان حتى توفي سنة 348هـ/959-960م و قد آل الأمر من بعده إلى إبنه الخير ثم حفيده محمد بن الخير اللذان واصلا سياسة الموالاة للأمويين الأندلسيين حيث عادت زناتة و مغراوة إلى التحالف من جديد مع القبائل الأخرى على الفاطميين الذين وواصلوا كما ذكرنا سابقا الصراع مع صنهاجة و بالفعل كانت نهاية محمد بن الخير على يد بلكين بعد محاصرته مما أدى بمحمد إلى قتل نفسه مخافة المعرة، فأنطفأت شمعة محمد بن الخير و حل بأسرته بينما نشط في سلجماسة أبناء عمومتهم خزرون و زيري بن عطية ضد النفوذ الفاطمي في سلجماسة و أحوازها[2].

ويمكن تصنيف هذا التحالفات القبلية ضمن التحالف المؤقت أو العصبيات المؤقتة على إثر اجتماع عوامل عديدة كان أبرزها من الناحية السياسية " الإضطهاد الفاطمي

---

[1]- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص: 189، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري السلاوي ، الاستقصا لدول المغرب الأقصى ، تح : جعفر الناصري ، محمد الناصري ، دار الكتاب ، المغرب ، 1997م ، ج1، ص :180، ابن خلدون العبر، ج4، ص: 97.

[2]- ابن عذارى: البيان، ج1، ص: 281.

والسيطرة بحد السيف " إضافة إلى محاولة العدو فرض مذهبه بالقوة مع العلم أن المنطقة " الزابوورجلانوسجلماسة وبلاد الجريد ....." تتبنى معظمها المذهب الخارجي والبعض الآخرالمذهب السني .

ت- التحالف الزناتي مع بن حمدون عامل الزاب الفاطمي :

كان لأسرة بني حمدون دور سياسي بارز لما كان لها من حضور خاصة في التاريخ الفاطمي و الأموي ولابأسأن نعرض بعض من تاريخ هذه الأسرة متتبعين مراحل قدوم هذه الأسرة التي سوف تلعب دورا سياسيا هاما في تاريخ هذه المنطقة خاصة مع قبائلها بمنطقة الزاب وأرباضه .

تنتمي هذه الأسرة إلى القبائل العربية اليمنية القحطانية[1] و أخبرنا ابن عذارى أنه الداخل إلى الأندلس من بلاد الشام نقلا عن محمد بن يوسف الوراق و ذكر ابن حيان نقلا أيضا عن هذا الأخير أن عليا وقع في بلاد كتامة لما قام بالرحلة إلى المشرق رفقة والده حمدون لأداء فريضة الحج حيث كان ارتباطه من قبيلة كتامة و تزوج منهم بإمرأة من جيملة[2] و ذات هذا لإسم هو اسم لقبيلة كبرى من كتامة تنتشر فروعها في جيجل[3]و من هذه الزيجة كانت اسرة بني حمدون .

يذكر العديد من الروايات التي توضح تواصل علي بن حمدون مع الفاطميين لعل أقربها ما ذكرنا سابقا فزواجه من ميمونة بنت علاهم الكتامية و التي تنتمي إلى

[1]- ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص: 33

[2] - ان جميلة والتي هي بطن من كتامة انتشرت على عدوتي وادي جندين بين جيجل وسطيف وتوغلت في الداخل إلى منطقة العلمة ، بوخالفة نور الهدى ، أنساب القبائل العربية المهاجرة بمواليها إلى بلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة ، رسالة دكتورى دولة ، السنة الجامعية 1994 – 1995 م ص : 471 ، الإحالة رقم 3 .

[3]- موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلاقة الفاطمية، ص: 153، القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص: 51،48

جيملةإحدى أكبر بطون كتامة [1] و فيها تقع قلعة ايكجان. و قد قاموا باستضافة الداعي عبد الله و نصرة دعوته. وهذه المرأة كانت من أبرز المدافعين عن الداعي الشيعي فمن خلال هذا الارتباط كان التواصل الأولي بين علي بن حمدون و الداعي الشيعي حيث اختلط بهم و ناصرهم[2]. و هناك روايات كثيرة تدل على أن هذه الأسرة قد تشيعت بالمشرق و أن وجودها بالمغرب كان من أجل الدعوى و تثبيت قوائم الدولة.

و قد قدمت أسرة بني حمدون خدمات كثيرة للفاطميين خاصة على بن حمدون الذي تميز بذكاء و حنكة سياسية منفردة أهّلته أن يكون سفير عبيد الله بالمشرق و المسؤول عن حمل رسائله إلى الخارج[3].

و مازاد قربه للفاطميين تركه لأبنائه جعفر و يحيى و زوجته في القصر الفاطمي تحت كفالة عبيد الله المهدي فزادت العلاقة ترابطا و إحكاما خاصة أيضا بعد أن أرضع رابع الخلفاء و هو المعز معهما.

و عند خرجة من خرجات الفاطميين لترويض القبائل الثائرة عليهم رافق علي بن حمدون أبا القاسم في حملته العسكرية لردع زناتة و قد لاحظ أبا القاسم الخلل الذي وقع فيه الجيش المبعوث سابقا لإخماد الثورات و هو عدم وجود محطة لإمداد الجيش بالميرة و كما أن الطريق طويلة و المسالك وعرة و الانتفاضات كثيرة بتهرت و الزاب كما ذكرنا سابقا من خلال صراع محمد بن خزر، قرر أبا القاسم بناء محطة كان غرضها الأول

---

[1] – عند نسابة البربر من ولد كتام بن برنس ويقال كتم كما أن نسابة العرب يقولون أنهم من حمير ، وكانوا مواطني ينبارياف قسنطينة إلى تخوم بجاية غربا وإلى جبل الأوراس من ناحية القبلة ، ابن خلدون ، العبر ، ج : 6 ، ص : 195 .

[2] – أحمد بن ذياب المسيلة وإمارة بني حمدون وأميرها حعفر بن علي ، مجلة الأصالة ، العدد 7 ، ربيع الأول 1392 هـ ، مارس أفريل 1972 م ص : 56 .

[3] – ابن حيان، المصدر السابق، ص: 34، ابن عذارى: البيان، ج2، ص: 242، ابن خلدون، ج4، ص :107.

عسكري محض حتى تكون مكان مراقبة الخارجين عنها فكان اختيارهم على أرض القبائل التي كانت في ثورات و خروج مستمر عليهم[1].

حيث بنيت المسيلة في أرض كانت تسكنها هوارة مزاتة بنو برزال، بنو زنداج،عجيسة، صدراتة، بني كملان، و أبرز ما يلاحظ عن هذه القبائل أنها ذات ميول خارجية إباضية ما أدى إلى توجهها و تحالفها تحت عامل العصبية الدينية.

و نلاحظ تحالف بين البرانس و البتر و الجامع بينهما كان انتمائهم المذهبي فمن هذه القبائل نذكر على سبيل المثال بن برزال حيث فصل لنا اليعقوبي عن هذه القبيلة و مضاربها فقال عنها : " إذا خرج الخارج من عمل الزاب مغربا صار إلى قوم يقال لهم بن برزال، و هم فخذ من بني دمر من زناتة و هم شراة كلهم"[2] أما ابن خلدون فيذكر عنهم أنهم كانوا " بإفريقية و كان مواطنهم منها جبل سالات و ما إليها من أعمال مسيلة. و كان لهم ظهور و وفور عدد و كانوا نكارية من فرق الخوارج"[3]. كما ذكر عنهم أنهم من ولد ورنيديد بن وانتن بن واردين بن دمر[4]. و ذكر صاحب مفاخر البربر نقلا عن أبي مروان عبد الملك بن موسى الوراق أنهم فخذ من زناتة من يفرن و مواطنهم بالزاب الأسفل من إفريقيا أما البكري فيذكر عنهم أنهم كانوا يسكنون بجبل قرب المسيلة .

فكان لابد من تحالف هذه القبائل على اختلاف انتمائها ومشاربها للعوامل التالية:

1 الجوار: قبائل متجاورة مشتركة الأرض و المرعى و الماء و غيره، فالمناصرة واجبة لأن العداء و الأذى لا يكون لقبيل دون آخر " و هذا ما أشرنا إليه سابقا في تحالف القبائل الصحراوية قديما في الفصل الثاني ".

---

[1]- ابن حوقل، صورة الأرض، ص :58، مؤلف مجهول الاستبصار، ص: 172، ابن عذارى، البيان، ج1، ص: 190. ابن حزم الأندلسي. أبو محمد علي بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، ص: 496، ابن الأثير الكامل، ج7، ص: 36.

[2]- اليعقوبي، البلدان، ص: 199.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 72

[4]- ابن خلدون، العبر ، نفس الجزء و الصفحة.

2 المذهب واحد: هو المذهب الخارجي حيث نلاحظ توحّد النكارين و الإباضيين بعدما كان لهم صراع ماضي في العهد الرستمي فالخطر الفاطمي استوجب تحالفهم لرد عاديتهم و ضمان استقرارهم فلم يفوتوا أي فرصة لثائر إلا و ناصروه وساندوه إلا أنه توجد بعض الاستثناءات فهناك بعض من هذه القبائل خرجت من الحلف الزناتي الخارجي و ساندت الفاطميين حيث أسلست قيادتها للفاطميين و أدت دورها كاملا في مناصرتهم " قبيلة عجيسة مثلا "مما سمح لها بأن تقوم بعملية تأسيس المسيلة[1] على يد بن حمدون و تعمرها و تدافع عنها و هنا بدأ حلف هذه القبيلة مع أسرة بني حمدون بإقليم الزاب[2]و من أبرز الأسباب التي دفعت الفاطميين بتأسيس هذه المدينة هو فك الحلف المتعاقد بين قبائل الزاب و أرباضها فقد صارت تشكل خطرا حقيقيا و دائما للوجود الفاطمي بالمغرب عامة و بإقليم الزاب خاصة و كان لابد من الحاكم الفاطمي بإفريقيا أن يجد حلا نهائيا و جذريا لإبعاد الخطر الزناتي الخارجي.

و قد ظهرت هذه القاعدة العسكرية كحصن و جدار فاصل أمام الثورات الزناتيةو القبائل الخارجية فقد أثبتت بأنها قلعة الخلافة الفاطمية بإقليم الزاب فقد كان لهم دور بارز في القضاء على ثورة أبي يزيد الخارجي[3] و في تحسين الخدمات للجيش الفاطمي من مدد في الغذاء و العسكر و في قطع الميرة على الزناتيين محاولة فصل المناطق الصحراوية والمحادية لها حيث كانت الممول الأساسي لهجمات الزناتيين، كما نجحت هذه القلعة أو المدينة في تسريع المدد لقربها من تيهرت التي كانت دائمة التمردات خاصة و أن هذه المنطقة صعبة التضاريس كثيرة التحصينات و الجبال المانعة لأهلها كما

---

[1]- يرى روجي إدريس أن المدينة بنيت على أساس بلدة صغيرة تسمى المسيلة و صاحب تاج العروس يرى أن اسم قبيلة المسيلة من إسم قبيلة بربرية. الهادي روجي إدريس، ج1، ص 47. مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج8 ص: 116.

[2]- إدريس القرشي عماد الدين ، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار ، تح : محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط : 1 ، 1985م . ص: 141. موسى لقبال، المرجع السابق، ص: 70.

[3]- موسى لقبال، دور كتامة، ص 432.

أصبحت عين على أي تحرك قبلي خاصة القبائل ذات النزعة الخارجية النكارية المستقرة ببلاد الزاب كهوارة و بني كملان و بني برزالالزناتية و بني خزر الموالين للأندلس و من فضائل الحملة التي قام بها ولي العهد الفاطمي أن تنبه أبا القاسم[1] إلى عدم وجود أي قاعدة عسكرية من المهدية إلى تيهرت و هذا خلل في الاستراتيجية العسكرية للدول فكلما زادت شساعة البلاد كلما يصعب التحكم في العباد خاصة باختلاف المذاهب و النسب مما جعله يزيد من حصانة الدولة ببناء هذه القلعة التي كان لها دور دفاعي عسكري محض بداية الأمر.

و بما أن هذه القبائل كانت دائمة التحالف و التمرد عمد أبا القاسم إلى ترحيل المشاغبين و الثائرين من مضاربهم إلى مكان قريب من المهدية نواحي القيروان " الجهة الجنوبية "و بنى مكان تواجدهم حصن عسكري و ذلك للتحكم فيهم و مراقبة حركتهم وقطع تحالفاتهم و شل تمرداتهم و كان التركيز على بطن بني كملان الذين ينتمون إلى النزعة الخارجية النكارية[2] لكن هذا الترحيل و التهجير من الأرض لم يأتي أكله إذا تتحالف جل هذه القبائل و تثور و تساند أبي يزيد الخارجي .

وفي إطار هذا الصراع السياسي والمذهبي استعانت اللدولة الفاطمية بأسر عربية (بني حمدون) و بربرية (صنهاجة) و عينتهم عمالا على أقاليم المغرب و أعطتهم حق توارث الحكم فيها و الحرية في إدارتها و تسيير الجيوش فيها و في المقابل يعمل حكام هذه الولايات في إبقاء هذه الأقاليم تحت سلطة الدولة الفاطمية و الالتزام بجباية الأموال من ولاياتهم و إرسالها إلى الخليفة الفاطمي، و على هذا فإن المهام التي يضطلع بها عامل الفاطميين على الزاب ذات الطبيعة العسكرية بالدرجة الأولى فهو في وقت السلم

[1]وقد رأى في الشأن الأستاذ الدكتور محمد بن معمر " أن الحملة التي قام أبو القاسم بالمغرب جعلته ينتبه إلى أن إقليم الزاب الواقع غرب إفريقيا والمؤدي إلى تهرت خال من أي قاعدة عسكرية تحد من هجمات بني خزر الزناتيين مما جعل هذا الإقليم ثغرة كبيرة يتسلل إليها الزناتيون وينجحون في بسط نفوذهم على المنطقة "محمد بن معمر ،العلاقات السياسية والروابط الثقافية ، ص : 141 .

[2] جودت عبد الكريم يوسف ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط ، ص : 365 . مرمول محمد الصالح ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983م ، ص : 297 .

سيعمل على الدفاع عن منطقته و مراقبة قائمها و إحكام سيطرته عليها وعلى قبائلها، و سيقوم أثناء الحرب بدعم جيوش الدولة الفاطمية عند مرورها بإقليمه و إرسال النجدات إلى المناطق المعرضة للحصار أو الخطر[1].

و كباقي الدول و الإمارات كان لا بد من إنشاء حلف قبلي يساند جعفر بن علي على تثبيت حكمه فاستطاع هذا الأخير أن يعقد حلفا مع قبيلتين

- **عجيسة:** و قد ذكر البكري أنها تسكن في جبل بالقرب من المسيلة و يعرف ابن خلدون هذه القبيلة بأن أفرادها ينتمون إلى بطن من بطون البرانس من ولد عجيسة من برنيس و يصفهم بأنهم كانوا من أقوى القبائل البربرية و أكثرها عددا و كانت مضاربها مجاور لمضارب صنهاجة الشمال[2]. ثم يحد أماكن تواجدهم في عهده بنواحي تونس و الجبال المطلة على المسيلة، أما طبيعة الحلف و بدايته كان منذ أن سيطر أبا القاسم على الزاب كله حيث أعلنت الطاعة و انقادت له و ناصرته أيضا سنة 315 هـ/927-928م و كان أبا القاسم هو من أشار عليها بالبقاء مع ابن حمدون لبناء المسيلة على خلاف القبائل الأخرى التي هجّرها من أراضيها لأنها كانت أكثر عدوانية وتمردا و ما يثبت توقعاته إعادة عقدها لحلف سياسي مذهبي مع أبي يزيد ضدهم.
- **بنو برزال:** كما ذكرنا سابقا استطاع جعفر بن علي بن حمدون أن يخضع أشد القبائل تمردا على الدولة الفاطمية ن وأكثرها دعما لثورة ابي يزيد حيث استقامت في عهده على طاعة الشيعة ، بل عقد معها حلفا وصداقة متينة حتى صارت من أهل خصوصيته فساندته عند مواجهته مع زيري [3] قبل أن تطرد إلى الأندلس و قد عرف عنهم مساندتهم

---

[1]- الدشراوي الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص : 524،525.

[2]- البكري: المسالك، ص 59. ابن خلدون، ج:6، ص: 201 ،202. الهادي روجي ادريس، الدولة الصنهاجية، ج1، ص: 32.

[3] ابن خلدون ، العبر ، ج :7 ،ص : 73 . الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية ، ج : 2 ، ص : 92 . هاشم العلوي، مجتمع المغرب الأقصى، ج2، ص: 83

لأبي يزيد الخارجي في ثورته و الأمويين أيضا و هم من الخوارج النكارية[1].و نلاحظ سببين واضحين للخلاف و الصراع على هذه المنطقة لعل أبرزها الاختلاف المذهبي و الانتماء القبلي فزناتة مشهورة بالعداء للبرانس (صراع منذ القدم البتر مع البرانس).

و هاتين القبيلتين تعاقد معها حتى يستقوي و يثبت حكمه فهو عربي بدون عصبة تناصره، و قد تمتع علي بن حمدون بسمات خاصة لإمارته لعل أهمها الاستقلالية و حرية التصرف و هذا يدخل في نظام حكم الفاطميين الذين استعملوا الإمارة في تسيير بعض نواحيهم و قسم الفقهاء الإمارة إلى نوعين: " إمارة خاصة و هي مقصورة على تدبير الجيش و سياسة الرعية و الدفاع عن كيان الدولة و ليس مثل هذا الأمير أن يتعرض للقضاء و الأحكام و لا لجباية الخراج و الصدقات أما الإمارة العامة فقسمت بدورها إلى إمارتين:

1- إمارة استيلاء.
2- إمارة استكفاء.

فالأولى فتكون بعقد إضطراري فيفرض على الحاكم إقراره. أما الثانية فهو عقد عن اختيار أي أن الأمير يتولاها باختيار من الحاكم ولها سلطات مطلقة[2] و قد فاز علي بن حمودن بإمارة الاستكفاء و كانت له سلطات مطلقة و يد واسعة لعل أبرزها النظر في تدبير الجيوش و وضع الخطط الحربية و تقليد القضاة، و جباية الخراج و قبض الصدقات و إقامة الحدود، و تسيير الحجيج، و جهاد الأعداء و توزيع الغنائم بين المقاتلين[3].

[1]- اليعقوبي: البلدان، ص 162. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 72. الداعي إدريس: تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص: 392.

[2]- الماوردي علي بن محمد حبيب البصري: الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 1983، ص: 27،31 .

[3]-صبحي صالح الصالح: النظم الإسلامية نشأتها و تطورها، منشورا الشريف الرضي ، إيران ، ط : 1 ، 1417 هـ ، ص: 311.

و هذه الحرية التامة في المال و الأعمال سوف يستعملها و يستغلها جعفر بن علي بن حمدون في صراعه مع صنهاجة و خصّمه" (عندما يدعم بهذه الأموال زناتة) و قد خصت الدولة الفاطمية عامل الزاب بحرية مطلقة في تسيير المنطقة لعدم قدرتها على التحكم في شساعة المنطقة فكثرة تمرد قبائلها و صعوبة تضاريسها بالإضافة إلى الترقب الأموي استعانت بهذه الأسرة العربية و أخرى صنهاجية .

و خلال السنة التي أنهى فيها علي بن حمدون من المسيلة دخلها و كانت أبرز الخدمات التي قدمها للدولة الفاطمية قدومه للمهدية برفقة فلفل بن خزر أخو محمد بن خزر المعادين للدولة الفاطمية و أحد أشراف زناتة و رؤسائهم ليعلن الولاء للفاطميين[1]، و هذه الحادثة فزعت لها الدولة الأموية بالأندلس مما اضطر أخاه محمد بن خزر إلى كتابة رسالة إلى الخليفة الأموي الناصر يستنكر فيها فعلته و يجدد ولائه و حلفه [2] معها بالرغم من إصرار الفاطميين من دعوته للانضمام إليهم و كسبه كحليف لهم لكنه رفض و كما واجه علي بن حمدون هجمات الزناتيين بقيادة مغراوة حيث وجه محمد بن خزر أخاه عبد الله بشن هجوما على المسيلة و قد استطاع الاستيلاء عليها بعدما هرب علي إلى قلعة منيعة[3]، و نلاحظ أن التضاريس تلعب دورا هاما بالمنطقة و في الأحداث العسكرية و الحصار و غيره فنرى أنه كل طرف شعر بالخطر يلتجأ إلى حصن أو جبل أو قلعة تحميه. وعندما تنفرج الأمور قليلا يتوجه إلى الصحاري حتى يستعيد نشاطه وقوته.

أما زناتة فأخضعت القبائل المستقرة بذلك الموضع و تمركزت في مكان اسمه سوق ابن ماها ليمنع وصول الميرة و الدعم إلى تيهرت قاعدة الفاطميين بالمغرب الأوسط إلى أن طوردوا من قبل الفاطميين.

---

[1]- الداعي إدريس: تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص: 231.

[2] نشير هنا إلى الملاحق حيث وضعنا بعض من مراسلات محمد بن خزر مع الأمويين .

[3]- ابن حيان القرطبي: المقتبس، ج5، ص: 259. ابن عذارى المراكشي: البيان، ج1، ص: 199.

و أرجح سبب عدم بقاء علي بن حمدون بالمدينة أي المسيلة إلى ما يلي:

- حديثة عهد التأسيس حصانتها و دعمها العسكري لم يجهز بعد.
- قبائل المنطقة ذات نزعة خارجية والأخرى سنية ينتظرون أي فرصة حتى يتحرروا من السلطة الشيعية.
- حاكم الإمارة دون عصبة قبلية تحميه و حتى مذهبه الشيعي الذي يعتقده سبّب له نفور و عداء سكان المنطقة.
- قبيلة زناتة كثيرة البطون و الأحلاف و العدة.

و لم يدم حكم علي بن حمدون طويلا إذ لاقى حتفه في الثورة العارمة التي كادت أن تودي بالدولة الفاطمية و تنهي حكمها و كانت بزعامة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي و سنوفي تفاصيلها في العناصر اللاحقة و الخاصة بالحلف النكاريالإباضي السني و ما يهمنا الآن أن علي بن حمدون أنهيت حياته على يد أيوب ابن أبي يزيد الخارجي[1]، و عمره يناهز الخامسة و ستين عاما و بفضل ما كان لهذا العامل و الحاكم إن صح القول كان جزاء ولده جعفر أن ينوب عنه في تسيير إقليم الزاب.

تحالف جعفر بن علي بن حمدون مع زناتة و الأمويين بالأندلس:

لم يكن جعفر جاهلا بتسيير إمارة المسيلة إذ كان والده يعهد إليه بتسيير شؤونها عند ذهابه إلى المهدية لأغراض ترقية مذهبه و لعل حدثين بارزين قابلهما جعفر بداية حكمه للمسيلة: كان أولهما الثائر أبي يزيد الخارجي و ما قام به من جهد لمساندة الفاطميين و فك الحصار عنهم و إمدادهم بالجيش و العدة ونترك تفاصيل الصراع لمكانه (الحلف النكاري السني) أما الحدث الثاني فكان القبض عل الفتى الذي أثار فتنة سياسية و دينية في الأوراس و تسمى بالناصر لدين الله و ادعى النبوة و زعم أنه الإمام القائم

---

[1]- الداعي إدريس: تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص: 266. ابن خلدون: العبر، ج7، ص: 19.ابن حماد أخبار بني عبيد، ص: 55. ابن عذارى: البيان، ج1، ص: 216.

بالحق و أتى بأعمال استمال بها العامة و جند من حوله جنود فصارت قبائل كثيرة تتبعه خاصة من زواوة و صنهاجة و عجيسة[1].

و بعد النصر الكبير الذي كان حليف المنصور الفاطمي عقد ولاية الزاب له مكافأة له على ولائه و خدمته للدولة الفاطمية فكانت وفاة المنصور سنة 341 هـ/953 م ليكون المعز لدين الله في سدة الحكم. و ما يثبت قرب جعفر للمعز أن هذا الأخير أهداه فرسه المحببة و لا غرابة في ذلك فهو أخوه من الرضاعة كما ذكر لنا ابن خلدون[2].

و لكن ما لبثت هذه العلاقة أن فترت و تراجعت و أسبابها خطيرة فبداية سوء العلاقة كانت:

- **أولا:** من الناحية المالية أن إقليم الزاب أكثر الأقاليم غنى و سعة رزق و مال و لا يرسل المال لخزينة الدولة إلا قليل مقارنة مع أقاليم أقل مساحة و غنى و قد لاحظ ذلك جوذر خادم المعز مما عزم على رفع شكوى ضد هذا العامل إلى الخليفة الفاطمي المعز يحثه على التحقيق في الأمر حتى لا يذهب ماله (أي المعز) خسارة على حد قوله[3]. و استفسر المعز من جعفر ذلك إلا أن جوابه لم يقنعه و بقيت الأمور في أخذ و رد و مسائلة و جواب فكان حلم المعز واضح على جعفر لقربه و خدمات عائلته للفاطميين و حتى يقطع أمل الحاسدين في عزله أو الإساءة إليه.
- **ثانيا:** وهي سياسية و خطيرة جدا إذ تجرأ على إيواء شخص موالي للأمويين و إسمه عثمان بن أمين و كان هذا الأخير يدعوا للأمويين بالأندلس و يشهّر بهم و بل يتراسل مع الأمويين بالأندلس و كل هذا تحت مرأى و مسمع جعفر و بل كان يرعاه و

---

[1]- ابن حماد الصنهاجي: أخبار بني عبيد، ص ص:65،64. الهادي روجي ادريس: الدولة الصنهاجية، ج1، ص: 53. الداعي إدريس: تاريخ الحلفاء الفاطميين، ص: 391.

[2]- ابن حيبان المقتبس: تحقيق علي حجي، ص ص: 70،53. فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص: 353. الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ج1، ص: 47.

[3]- جوذر علي أبي منصور العزيزيالجوذري ، سيرة الأستاذ جوذر ، تقديم : محمد كامل حسين ، محمد عبد الهادي شعيرة ، دار الفكر العربي ، مصر، ص: 129. فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص: 354.

يقضي حوائجه و نلاحظ أن الشاعر ابن هانئ يفصل لنا العلاقة بين الأمويين و بلاط جعفر بن علي بن حمدون من خلال كتابه خاصة عندما منعه أحمد الوهراني[1] المكنى بأبو جعفر من الدخول على الأمير:

إن في صدر أحمد لبني أحـ مد قلبا يهمي بسم مدوف

زمن أنت يا أبا الجحر فيه ليس من تالد و لا من طريف.

و يحذر جعفر بن علي بن حمدون منه و بأنه موالي للأمويين و أنه يعمل على بسط نفوذهم في إمارة المسيلة و الخلافة الفاطمية و كاتب المعز الخليفة الفاطمي منصبا نفسه محاميا و مساندا للخلافة الفاطمية حيث حاول فضح خصمه الوهراني الذي صار في نظره عدوا للمعز[2].

الخفيف:

ليس مستكثرا لمثلك أن يفـ رق بين الشريف و المشروف

يا معز الهدى كفاني أني لك طول على أعاديك موف

و يبدو أن النزاع كان على أشده بين الموالين للفاطميين و المواليين للأمويين فكل طرف منهم يشد أزر جعفر الحمدوني و يحثه على الموالاة و الطاعة، و الغريب في الأمر أن كل هذا الأحداث لم تدفع المعز إلى عزل جعفر لنيته الحسنة به و لاقتناع أنه محسود من أطراف تهدف إلى عزله عن إمارته كما أنه الأنسب لتسيير إقليم الزاب لحنكته و براعته السياسية و العسكرية [3].

و يرجع السبب الرئيسي في توتر العلاقة بين المعز و جعفر يعود إلى فترة رحيله أي قبل انتقال المعز إلى مصر حيث ظهر على الساحة خصم عنيد و مزاحم لجعفر و

[1]– محمد اليعلاوي ابن هانئ المغربي الأندلسي، دار الغرب الإسلامي ، 1995 ، ص: 64.

[2]– منصور الجوذري: سيرة الأستاذ جوذر، ص: 124.

[3] فرحات الدشراوي ، الخلافة الفاطمية ، ص : 354 .

هو زيري بن مناد الذي كان مقرب للدولة الفاطمية عموما و للمعز خصوصا لمجهوداته و قبيلته في رد عادية زناتة و إرضاخ القبائل المتمردة، حيث ظهرت هناك منافسة شرسة بينهما و تطورت إلى درجة الإنتقام و ذلك للحسد و العداوة التي يكبتانها في صدريهما و أساس هذه المشاحنة خلاف سياسي و أول ظهور لها كان عندما أضاف المعز لزيري بن مناد كورة تيهرت و أعمالها (348 هـ)[1] جزاء له و لقبيلته التي أنقذت الفاطميين من الحصار المطبق عليها من طرف أبي يزيد و كذلك لكثرة الأتباع و القوة إضافة إلى تمويل الفاطميين بالمدد و العدة و الميرة أثناء تنقلات الجيش الفاطمي و أعظمها كان عند مطاردة الزناتيين المتحالفين مع الأمويين و كل القبائل المناصرة لهم ما دفعهم إلى التوجه للمغرب الأقصى[2] و لأن العلاقة تطورت بين زيري و المعز لاحظ جعفر خصمه يحصل على المزيد من الامتيازات و إقليمه يزداد اتساعا، زاد كرها للمعز و حقدا و ابتعادا عنه و عن الفاطميين عموما و لم تفلح محاولات الصلح التي حاولها جوذر و المعز للتقريب بين الخصمين المتنافرين خاصة و قد تطور الأمر إلى النزاع العسكري حينما طارد بلكين بن زيري الزناتيين و ناوش قبائل المنطقة و المعروف عنهم بانتمائهم إما الزناتي أو الخارجي و هم في حمى الأمير جعفر ما دفع المعز كما ذكرنا بإجراء جلسة صلح كان الهدف منها كما صرح في ذلك في رد لرسالة جوذر أن نجاحه في الصلح بين عاملين المسيلة و أشير إنما يغيض المتربصين بها و تفرح المناصرين لها في إشارة إلى الخصمين زناتة و الأمويين[3].

و استغل جعفر الحرية لإمارته خاصة و أنها إمارة استكفاء في مد إمارته و عقد تحالفات قبلية خاصة منها الزناتية كما يذكر لنا ابن خلدون و التي كانت بعلم الفاطميين و هذا و أنه تمكن من إخضاع قبيلة خارجية معاندة و مشاغبة و هي قبيلة بن برزالالتي

---

[1]- ابن خلدون: العبر، ج4، ص ص: 60،59. ،إبن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، مطبعة الدولة التونسية ، الطبعة الأولى ، ص: 74.

[2]- إبن الأثير: الكامل، ج7، ص 333. ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص: 204،203. ابن أبي دينار المؤنسي، ص: 74.

[3]- روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ج1، ص: 66. منصور الجوذري، المرجع السابق، ص: 101

ساندت كل ثائر (محمد بن الخزر و أبي يزيد) و استعصت على الدولة الفاطمية إلا أنها استقامت في عهد جعفر و عقد معها حلفا و صداقة متينة .

تحالف بني حمدون مع الأمويين:

لقد لعبت القبيلة بالمغرب الإسلامي دورا بارزا في تأجيج الصراع السياسي و المذهبي و كان وراء ذلك قوى أجنبية تمثلت في الأمويين و الفاطميين الذين حركتهم المصالح الاقتصادية و المذهبية و السياسية.

بعدما كان يتجهز الخليفة الفاطمي للرحيل إلى مصر واجهته صدامات قوية زعزعت أركان الدولة نظرا لما كانت تقدمه هذه العناصر التي تسببت في الصدمة و قد تجلت هذه الأخيرة في مقاطعة أسرة عريقة قدمت خدمات جليلة للفاطميين منذ تأسيسها[1]، إلى رحيلها لمصر أما الصدمة الثانية تمثلت في وفاة أو قتل زيري بن مناد الصنهاجي أحد أقوى الحلفاء الفاطميين إذ بوفاته فقدت الدولة الفاطمية زعيم و حليف كانت تعقد عليه آمالا و أهداف بعد مغادرتها المنطقة.

تأجج الصراع بين عاملي الخلافة الفاطمية خاصة بعد استعدادها للرحيل إذ كان التنافس بين جعفر بن علي بن حمدون و زيري بن مناد على من يخلف الفاطميين على افريقيا و المغرب فبدأت المنافسة و وضع كل زعيم أوراقه حتى يحسم الصراع لصالحه و قد تطورت هذه المنافسة إلى حقد و كراهية بين الطرفين و يؤكد ذلك كل من النويري و ابن خلكان بقولهما أن العداوة و المشاجرات التي كانت بين العاملين جعفر و زيري تطورت إلى صدام مسلح بينهما نتج عنه هروب جعفر إلى الأندلس و تخليه عن إمارته و أحلافه مع الفاطميين و غيرهم.

---

[1]– لم تكن هذه الشخصية الوحيدة التي انقلبت على الفاطميين نذكر من بينهم حميد بن يصل المكناسي الذي كان موالي للفاطميين و صاحب تهرت يعلى بن محمد اليفرني و كذا موسى ابن أبي العافية المكناسي الذي كان مواليا للفاطميين، ثم أعلن استقلالهم عنهم و تحالف مع الأمويين 319 هـ. ابن خلدون، ج6، ص: 171،177

عوامل تخلي جعفر على الحلف الفاطمي:بعدما قرر الخليفة الفاطمي الرحيل إلى مصر كان مضطرا لختيار من ينوبه على خلافته للمغرب و افريقيا و كان للشخصين المتنافسين حظوظا وافرة حيث رشحهما للنيابة عنه في تسيير المنطقة و ذلك للأمارات الشخصية القوية و الحنكة السياسية المؤهلة لخلافته على افريقية و المغرب فاهتدى إلى تقسيم التركة إلى جعفر و زيري و بحكم تجاورهما ازداد التنافس بينهماو لوحظ تفوق زيري بن مناد على جعفر بن علي[1] و هذا لما أظهره من قوة عسكرية شكلت سدا منيعا أمام الأمويين و حلفائهم الزناتيين بالإضافة إلى مشاركتهم القوية و مساندتهم لحملة القائد جوهر عند تأديبهم للزناتيين و دفع عاديتهم و هذا المجهود توج من طرف المعز بأن أمد من ملك قبيلته حيث منحه أراضي واسعة الممتدة من ضواحي الزاب إلى حدود تاهرت غربا يمارس فيها السلطة باسمه[2].

و تعود قوة و نفوذ زيري إلى عصبيته القبلية و التي تجاوزت السبعين قبيل و بالتالي الطاقة البشرية الهائلة ساهمت في فرض النصر بالقوة البشرية على عكس جعفر بن علي بن حمدون الذي كان دون عصبية قبلية[3] يستند إليها حيث ظهر ضعيفا أمام زيري الذي كان زعيم قومه فلم يجد جعفر عصبية قبلية لا من نسب و لا من مذهب أو فكرة دينية يتجمع بها أنصاره ويستقوي بهم على أعداءه فلم يكن أمامه سوى طريقة الحلف مع القبائل الزناتية ليقابل بها عصبية زيري الصنهاجية فوضع خطة لإضعاف خصمه و إزالته من طريقه و هو طريق التربع على عرش افريقيا و المغرب بعد رحيل الفاطميين لمصر فوجد بجانبه قبيلة بني برزالالزناتية[4] التي ما تفتأ أن تناصر كل ثائر على

[1]– أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1972م ، ج1، ص: 360. النويري، المصدر السابق، ص: 308. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص: 107.

[2]– ابن الأثير: الكامل، ج7، ص ص 333–334. الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، المرجع السابق، ص: 334.

[3]– عبد العزيز الفيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب. ص: 192.

[4]– ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص: 73.

العبيديين و قد أخضعها من قبل أبا القاسم و تركها بجانب والده علي بن حمدون يستعين بها في بناء المدينة و الاستقواء بها عند الحاجة و الظاهر أن هذه القبيلة خضعت للفاطميين تماشيا مع مصلحتها و ليس نصرة لها أو اعتناقا للمذهب الشيعي و الدليل على ذلك مناصرتها لجعفر و لصاحب الحمار.

لقد كان لجعفر ما خطط له من سعيه للحلف مع الزناتيين فأول ما قام به أنه عقد حلفا سريا مع محمد بن الخير بن محمد بن خزر حيث دعمه و قواه من ناحية العدة و من ناحية الاستراتيجية التي يستخدمها في حربه مع زيري بن مناد إذ كشف له عورات خصمه و تحركاته و نقاط ضعفه و أسهم هذا العمل في شن هجمات ناجحة على منطقة تاهرت و حقق انتصارات عديدة أزعجت الخليفة الفاطمي خاصة و أنه يجهز حاله للإنتقال لمصر [1].

و بهذا الحلف مع الزناتيين ستكون علاقة إلزامية مع الأمويين لأن هؤلاء يستحيل أن يفوتوا هذه الفرصة الاستثنائية لصالحهم حيث قاموا بربط الإتصال مع جعفر بن علي و عقد صداقة معه ربما كان الزناتيون حلقة الربط بينهما أو من خلال الجواسيس [2] الذين خدموا الأمويين بالبلاط الحمداوي بالمسيلة مثل أمين بن عثمان الذي اتهمه ابن هانئ الأندلسي بميله إلى الأمويين و كرهه للفاطميين و قد كانت سياسة غرس الجواسيس و المخابرات من أهم الوسائل المستعملة بين الفاطميين و الأمويين بالمغرب لإغلاب مذهبيهما و يبدو أن السياسة الأموية في غرس الجواسيس كان لها صدى إيجابي و مثمر [3] تمثل في التأثير على جعفر بن علي و استخدامه لصالحها و ما زاد من توطيد العلاقة بينهما أن صهريه أبي القاسم الغساني و محمد بن المهناالبجاني الأندلسي كانا سنيين [4] و قد كانت الشكاوى السابقة لدى المعز في محلها من نقص أموال الجباية في

---

[1]- ابن حيان: المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي حجي، ص: 35. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7، ص: 327.

[2]- الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص: 354

[3]- عبد العزيز الفيلالي: العلاقات السياسية، ص ص: 127،128. أحمد مختار العبادي: تاريخ المغرب و الأندلس، ص: 185-190.

[4]ابن حيان: المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي حجي، ص: 53 .

إقليم واسع و ذو خيرات واسعة كالزاب فتحالف جعفر مع الزناتيين اقتضى منه دعمهم سريا من ناحية المال و لكثرة و شدة الصراع استلزم من جعفر الأخذ من مال الجباية الذي يرسل لخزينة الفاطميين فلوحظ عليه ذلك و كان عتاب المعز تكرارا و مرارا لكن جعفر أنكر ذلك و بسبب هذا التحالف الحمدوني الأموي الزناتي ضد زيري بن مناد تحولت العلاقة بين جعفر و زيري من مجرد منافسة داخلية محدودة بين عاملين تابعين للدولة الفاطمية إلى صراع إقليمي بين خلافتين كبيرتين للأمويين بالأندلس و الفاطميين بالمغرب.

و الظاهر أن سبب تحالف جعفر بن علي مع الزناتيين مرده إلى ضعفه من ناحية العصبية القبلية فهو عربي وسط قبائل و زعماء بربر فكان تخطيطه للظفر بالخلافة دفعه إلى إيجاد أحلاف يعتمد عليهم و يناصرونه ضد عدوه زيري بن مناد الذي أصبح مقربا و مرحبا به لدى الفاطميين خاصة و أنه أمير قومه و أي قوم هم صنهاجة أقوى قبائل المغرب عدة و عدا و الظاهر أن جعفر لم يكن النصر حليفه حيث كشف أمره من طرف زيري بن مناد إذ ذكر لنا ابن حيان في كتابه المقتبس حيث يقول أن زيري بن مناد حين استقوى دفعت به علياؤه إلى ملاحقة القبائل الزناتية داخل إمارة جعفر و التي كانت تحت حمايته دون إذن منه ما جعل جعفر يحقد عليه و يبحث عمن يستقوي بهم عليه. و هذه الرواية يمكن ربطها برواية الوراق بالرجوع إلى ما أفادنا به صاحب مفاخر البربر نقلا عن ابن حيان أن التمادي في أعمال جعفر من طرف زيري بن مناد كان بعد أن هاجم ابنه بلكين بن زيري و قتله لمحمد بن الخير نفسه انتحارا و تصفية الأمراء الذين كانوا معه من زناتة و ما رواه ابن حيان نقلا عن الوراق أن زيري وجد في المكان الذي انتحر فيه محمد بن الخير فرسا كان المعز قد أهداها لجعفر و وجد رسائل من طرف جعفر تدل على تحالف جعفر بن علي مع بن الخزر الزناتيين.[1]

[1]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7، ص: 327. ابن حيان المقتبس، المصدر السابق، ص: 35. الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص: 401.

فكانت هذه الأدلة بمثابة الضوء الأخضر لزيري بن مناد السطو على أعمال جعفر و معاملته كعدو له و للفاطميين معا و بهذه النكسة أضطر جعفر إلى مغادرة المسيلة متوجها إلى حلفائه الزناتيين الذين قبلوه قبولا عظيما و ملكوه عليهم و كان ردا بديهي من طرف زيري بن مناد أن يلاحق جعفر بالطبع بموافقة المعز حيث أراد أن يفاجئهم قبل أن يستفحل خطرهم و يقوى أمرهم و كان جعفر قد شق طريقه إلى الصحراء مع حلفائه الزناتيين تحت زعامة الخير بن محمد و الذي كان عقد العزم على الانتقام لأبيه فكان اللقاء عند مشارف المغرب الأقصى حيث قتل أعظم زعيم و حليف للفاطميين و هو زيري بن مناد و هذه الواقعة يكون الثأر للزناتيين لقتل أمرائهم و لما لقوه من مطاردة و تضييق من لدن زيري[1].

و كانت هذه العاصفة التي عصفت بعلاقة الحمداويين و الفاطميين و تأكيد الحلف و توطيد الصداقة مع الزناتيين و الأمويين، و قد أثرت على الفاطميين بخسرانها للحليفين مهمين و بارزين زيري بن مناد الذي قتل، و فساد جعفر و انضمامه للأمويين ما زاد فيقلقهم و شكوكهم في مخافة ضياع المغرب و أعماله ،بينما سرت الدولة الأموية بهذا النصر الذي اعتبرته نصرا استراتيجيا و خاصة أنه جاء في سياق تجهز الخليفة الفاطمي للرحيل إلى مصر.

أما بني حمدون فقد خسروا إمارتهم بالزاب أجمع ، كما ضاع أملهم في حكم افريقيا و المغرب نيابة عن الفاطميين[2].

أما الصنهاجيون فكانوا الرابح الأكبر في المسألة حيث عين المعز ابن زيري بن مناد بلكين سنة 361 هـ/972 م خليفة له على المغرب أجمع كما أضاف له إقليم الزاب بما فيه إمارة المسيلة التي كانت تحت حكم بن حمدون.

---

[1]– ابن حيان: المقتبس، ص: 37. ابن خلدون: العبر، ج4، ص: 108. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص: 67. الداعي إدريس: تاريخ الحلفاء الراشدين.

[2]– ابن خلدون: العبر، ج6، ص: 205. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ص: 310.

أما الزناتيين فلم يسعدوا بالنصر إلا لوقت قصير، حيث هبّت عاصفة الصنهاجيين و كانت أيضا بمثابة إعصار قضى على كل من مر به فلم يكد يعلم بلكين بمقتل أبيه حتى قام بتجهيز جيش كبير و مساندة من الخليفة المعز و قد قاده هذا الأمر إلى تحقيق هدفين في الوقت نفسه:

1- الانتقام من زناتة و تأديبها.
2- فرض الوجود الفاطمي و إعادة الأمور إلى ما كانت عليه.
3- السيطرة على أراضي بني حمدون سابقا وزناتة .
و قد نتج عن ذلك هروب زناتة إلى المغرب الأقصى و التحصن به.

و بهذا أضحى المغرب و كأنه حلبة صراع هجوم، صراع خسارة، أو انتصار، ثم ثأر بعد ذلك و يبدو أن انتقام بلكين قد طال و توسع فطلب الزناتيين رد الجميل من جعفر فكما كانوا حلفاؤه و ساندوه على خصمه زيري ، طلبوا من جعفر مساندتهم في رد عادية الزعيم الصنهاجي الذي كانت هبته قوية و حاسمة. و يظهر أن جعفر كان يتحين الفرصة للهروب إلى الأندلس وقد نجح في ذلك خشية منه للأسباب التالية:

- قوة بلكين كانت أضعاف قوته و قوة زناتة من ناحية العدة و العدد كما أن بلكين كان مدعما من الفاطميين.
- خشيته من غدر زناتة به خاصة و أنهم فشلوا في رد عاديته و عدم تراجعه في انتقامه و تقتيله للزناتيين ما جعل زناتة تخطط في تسليم جعفر و تنجوا من انتقام بلكين.

ث- التحالف الخارجي السني ضد الفاطميين: بعد الوثبة التي كانت للفاطميين على دويلات الخوارج تشتت قواهم بين ورجلان و بلاد الجريد و نفوسة و منطقة تهرت والزاب وغيرها ما أصبح لهم تهديد أو خطر على الوافد الجديد ما عادا بعض الثورات كما ذكرنا سابقا حيث كانت إقليمية محدودة كانت الدولة الفاطمية لها بالمرصاد دوما حتى ظنوا أنهم تمكنوا من السيطرة على كامل بلاد المغرب.

لم تجد الثورات التي قام بها أهل الزاب أو الأوراس أو الجريد و غيرها من ثني الفاطمين عن استغلال المنطقة و سكانها فلم يتحرر أهل هذه المناطق من الأتواتو المغارم التي كان الفاطميون يفرضونها عليهم إلا بعدتكتلات وتحالفات بين سكان المنطقة للقيام بثورة كبرى تحت زعامة أبي يزيد مخلد بن كيداداليفرني الزناتي و قد شملت جميع أطياف الاباضية في المنطقة من نكار [1] و وهيبة و خلفية و نفاثية وبل تحالف أهل السنة ، فلم تكن المنطقة حكرا على المذهب الخارجي ، فقد كانت طبنة مثلا من بين المراكز السنية [2] التي ذكرتها المصادر وأشار إليها القاضي النعمان في افتتاح الدعوة و قد هددت هذه الثورة المشحونة بالتكتلات القبلية والمذهبية الدولة الفاطمية و أوشكت على اقتلاعها من الجذور.و لابأس أن نورد بعض من حياة زعيم هذه التحالف الإباضي السني ضد المد الشيعي :

أبو يزيد هو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث يذكر ابن خلدون بأن هذا الأخير من بنى واركوا إخوة مرنجيصة، و كلهم من بطون يفرن و كنيته أبو يزيد و إسمه مخلد بن كيداد، و لا يعلم من نسبه فيهم غير هذا[3]. و ذكر عنه أيضا " عن ايوب بن أبي يزيد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن وريمت بن

---

[1] – محمود اسماعيل ، الخوارج، ص : 176 .

[2] – في المغرب الأوسط اشتهر عدد من الفقهاء الذين خدموا المذهب المالكي ومكنوا لهم في أوساطهم بسدهم حاجيات الناس من الفتوى وما اعترضهم من نوازل متأثرين في ذلك مما بلغته المدرسة السنية المالكية بإفريقية من نظج وصيت من بينهم ابو الوليد مروان بن أبي شحمة المسيلي ، فقد سمع من المحدثين الكبار كابن مهدي ووكيع وجمع بين الحديث والفقه إضافة إلى الفقيه إبراهيم الطبني نسبة إلى طبنة ببلاد الزاب فقد عاصر الإمام سحنون وكان من =المقربين منه وبل شاركه القضاء ، مثل هؤلاء هم النخبة التي بثت قواعد المذاهب الفقهيةالسنية ببلاد الزاب وما جاورها بوضعهم اللبنة الأولى لتأسيس المدارسبدء بمدرسة طبنةوغيرها . موسى هصام ، التمكين للمذهب المالكيفي المغربين الأدنى والأوسطبين القرنيين الرابع والسادس هجريين، ج : 1 ، مؤسسة كنوز الحكمة لنشر والتوزيع ، الأبيار الجزائر ، 2013 م . ص :66 .

[3] – العبر، ابن خلدون، ج7، ص: 16

خونليفز بن سميران بن يفرن و يفرن هو أبو الكاهنة و تنتسب إلى جانا بن يحيى زناتة كلها"[1].

أما ابن عذارى فيذكر: هو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن يفرن و هو أبو الكاهنة و تنتسب إلى جانا بن يحيى زناتة كلها[2]. كان كيداد والد أبي يزيد من سكان تيقيوس[3] من بلاد الجريد قسيطلية و كان يختلف إلى بلاد السودان للتجارة فولد له بها.أبو يزيد من جارية هوارية[4] أتى به توزر[5] فعلم بها القرآن و صاحب جماعة من النكارية[6] فاعتنق مذهبهم بعد أن كان وهبيا[7] إلا أن هناك رأي للقاضي عياض حيث يرى بأنه كان يبطن رأي الصفرية، و يتمذهب بمذهب الخوارج. مات أبوه و تركه فقيرا معدما فكان أهل قيطون يصلونه بفضل أموالهم و كان يعلم صبيانهم القرآن و مذهب النكارية[8].

---

[1]– المصدر نفسه، ج7، ص: 495

[2]– ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص 216. مفاخر البربر مصدر سابق، ص: 186.

[3]– تيقيوس بالفتح ثم السكون و ياء مضمومة واو ساكنة و سين مهملة مدينة بإفريقية من توزر .الحموي، معجم البلدان، ج2، ص: 37.

[4]– عند المقريزي جارية صفراء هوارية. المقريزي ،اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء. ج:1، ص : 157

[5]– و هي أم المدائن قسطيلية، حصينة كثيرة النخيل و الثمار و هي أكثر بلاد افريقية تمرا. البكري، المصدر السابق، ص: 38.

[6]– النكار أو النكارية و يقال لهم أيضا النجوية و الشعبية و الشغبية و هم خوارج المغرب و الأندلس من الإباضية أو كانوا الغالبين على خوارج المغرب و الأمدلس و هم جماعة يزيد بن فندين الذين أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن لأنه لم يكن الإمام بالإجماع و كان فيهم علماء فاعتبروه مغتصبا لإمامة، و نكثوا بيعته فقيل لهم النكاث، و كانوا في اجتماعاتهم يكثرون النجوى فقيل لهم النجوية و أحدثوا في الجماعة الشغب بمعنى الفرقة، أو الشغب بمعنى العصيان و الفوضى فقيل لهم الشعبية أو الشغبية. عبد المنعم الحنفي: موسوعة الفرق و الجماعات و المذاهب، ط2، مكتبة مديولي، القاهرة، 1999، ص: 652،653

[7]– الوهبية هم الذين أيدوا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، و صوبوا إمامته، و هم جمهور إباضية المغرب. أبو زكرياء، المصدر السابق، ص: 176

[8]– القاضي عياض ، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام المذهب مالك. تح: أحمد بكير محمود. منشورات منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، د.ت، ج:6، ص: 318.

رحل إلى تيهرت و علم الصبيان حتى إذا انتقل الشيعي إلى سلجماسة في طلب المهدي غادر بها إلى تيقيوس يختلف بينها و بين مدينة توزر و حمل على نفسه مهمة تغيير المنكر و الإنكار على الولاة.

و قد فكر في الخروج على السلطان، فعد من دعاة الفتنة " فهدر الولاة بقسطيلية دمه".

ففر إلى المشرق يريد الحج، فوجه المهدي في طلبه مرة أخرى فرجع من طرابلس مع صاحبه أبي عمار إلى تيقيوس و هكذا كان الهروب من السلطان كل ما طالب به حيث نشر فكره و سعى في تسويع دعوته مختبأ من عيون الفاطميين.

لكنه اعتقل و زج به في السجن فثار أنصاره لإنقاذه و كان في هذه الثورة صديقه أبو عمار رأس النكارية حيث بذل جهد حتى يطلق صراحه فيما تعلل الحاكم في إخراجه.

و قد اتفقوا على قتل الحراس و أخرج من السجن فتوجه إلى واركلا أو ورجلان و منها كان يختلف إلى جبل الأوراس يدعوا القبائل البربرية للثورة على العبيدين[1].

و يرى في هذا الشأن محمود اسماعيل أن هذه الثورات و التحالفات القبلية و صراعاتها ما هي إلا حلقة من حلقات الصراع التقليدي بين البتر و البرانس فهي من جهة تعبر على الحرية التي يدافع عليها البربر البتر باستماتة و من جانب آخر يمثل الصراع بين سكان البوادي و أهل القرار أما من الناحية الإقليمية فهي تمثل صراع أو حرب بالوكالة من طرف أمويين الأندلس و الفاطميين بالمغرب[2].

لم يكن لدى المغرب إلا الثورات و النهوض في وجه الغاصب من خلال تحالفات قبلية تثور لدلالة على" السخط الذي كان يجيش في صدور أهل افريقية و المغرب الأوسط و قبلاتها من جراء السياسة المجحفة التي مارستها الدولة الفاطمية مستهدفة بذلك

---

[1]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 16، 17.

[2]- محمود اسماعيل: الخوارج، ص: 177.

فرض المذهب الشيعي على سكان المنطقة كما أن الضرائب و الأتوات التي أثقلت الفلاحين و التجار" [1] عموما بحيث كانت دافعا لسكان المنطقة (الزاب) بالانخراط في الثورة و لقد كان خروج صاحب الحمار إلى الدعوة جهرا فيما يروى سببه " أن أبو القاسم الشيعي لما مات أبوه عبيد الله أظهر مذهبه و أمر بسب الغار و العباء و غير ذلك من تكذيب الله، فمن تكلم عذب وقتل و اشتد الأمر على المسلمين ثم أن أبا يزيد هبط من جبل الأوراس يدعوا إلى الحق بزعمه و لم يعلم الناس مذهبه فرجو فيه الخير و القيام بالسنة"[2] و قد ناصر المالكية أبي يزيد حيث أفتوا بمشروعية الخروج على العبيديينو مقاتلتهم نصرة للدين و الدفاع عن سنة رسوله الكريم عليه الصلاة و السلام.

لقد ذاق علماء السنة و المنتمين إلى المذهب مالك الأمرين من الفاطميين بالإضافة إلى التقتيل و التنكيل و التعذيب، وصدر من السلطة الحاكمة أمرا قضى بمنع الفقهاء من الإفتاء بمذهب مالك و غيره و ألزم الناس بإتباع مذهب جعفر الصادق وحده فقط[3].

و يظهر جليا هنا مدى الظلم الذي نال المالكيين لا لشيء و إنما لأنهم رأوا بأن المذهب السني المالكي الذي مثلوه و دانوا الله تعالى به هو سبب سيادته بالنطاق و العقبة كأداة وحيدة تحول دون تجسيد دولتهم بالتالي فلا تفوق و لا ظهور لهم إلا بتصفيتهم.

و لم يقف السنيين خاصة أصحاب الإمام مالك مكتوفي الأيدي بل اقتحموا الصراع سلميا و عسكريا.

أ- **سلميا:** تجسد ذلك في المناظرات التي كانت بين السنيين و الشيعة و لم تسجل المصادر الفاطمية أي إشارة عن هذه المناظرات أما عند السنة فقد سرد لنا كل من

---

[1]- بوبة مجاني: أثر الضرائب في ثوابت و متغيرات سياسة الخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية، مجلة الدراسات التاريخية، دمشق، ع: 67-68 كانون الثاني حزيران 1999، ص: 141،142، الحبيب الجنحاني السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب الأصالة، ع/49/50 وزارة الشؤون الدينية سبتمبر ص: 56،57

[2]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص: 216.

[3]- ابن عذارى المراكشي: المصدر نفسه، ج1، ص: 159

الخشني ت 381 هـ/971 م[1]و المالكي المتوفى سنة 474 هـ/1081م[2]مناظرة لابن الحداد من طرف السنيين و أبي العباس[3]بمصاحبة أخيه أبي عبد الله الشيعي من طرف الفاطميين .

ب- عسكريا: و هنا مربط الفرس حيث لم يفوت السنيين فرصة ثورة أبي يزيد حتى تحالفوا معه حيث كانت نظرة السنيين أصحاب المذهب مالك أن هذه الثورة فرصة لا تعوض و لابد من استغلالها حيث اعتبروها أملهم الوحيد[4] للخلاص من الاضطهاد الفاطمي فما كان منهم إلا مناصرتها بكل ما أتوا من قوة و عتاد و حتى يكون جانبهم أكبر عدد من الأنصار استندوا إلى أدلة و نصوص دينية. ذكر بعض علمائهم[5]أن كفرهم الكفر البواح كان لازما شرعا جهادهم حسب فتواهم. إذ هو مقدم و أفضل من جهاد أهل الشرك. كما أن أبي يزيد و أتباعه الذين خرجوا بالثورة على السلطات اعتبروا المسلمين من أهل القبلة تجري عليهم جميع أحكام الإسلام من توارث و توريث و مناصرة عكس العبيديين الذين لا تسري عليهم مثل هذه الأحكام لكونهم من غير أهل القبلة[6].

---

[1]-الخشني، عبد الله بن محمد بن الحرث ،طبقات علماء إفريقيا، دارالكتاب اللبناني، بيروت ، د ت. ، ص: 210،199

[2]- المالكي، المصدر نفسه، ج2، ص: 96،75 .

[3]- محمد بن أحمد المخطوم هو أسن من أخيه أبي عبد الله الشيعي، و أعلم و أقل رجاحة عقلية منه يعتبر من الدعاة الذين دعوا إلى النحلة الإسماعيلية إنطلاقا من الشام حتى انتقال الأخير نحو المغرب رفقة أخيه المذكور المتوج بالتمكين لها به بفضل خدماتهما، ثم قتلهما بأمر المهدي العبيدي في ظروف غامضة سنة 298 هـ /910م. المقريزي، المصدر نفسه، ص: 38،36

[4]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص: 427. موسى لقبال، المرجع السابق، ص: 426.

[5]- منهم علي أبي المماسي، و ربيع بن سليمان القطان، أبي العرب، بن تميم و أبي اسحاق السبائي عن عياض المصدر السابق، ج2، ص: 30. المالكي، المصدر السابق، ج2، ص: 339

[6]- المالكي،أبو بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفرقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ،تح :بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط:2 ، 6: ص: 297،345. عياض ، ترتيب المدارك ، ج2، ص 30-31. الدباغ، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان أكمله وعلق عليه :التنوخي أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى ، تصحيح وتعليق :إبراهيم شبوح ، مكتبة الخانجي بمصر ، ط : 2 ، 1388 هـ ، 1968 م ، ج3، ص: 33.

كما كان لحضور المالكيين في الثورة أهمية كبيرة إذ ان أبي يزيد لم يكسب معاركه الأولى إلا بفضل هؤلاء المتحالفين معه من المالكية كما أخبرنا به كل من الدباغ و عياض.

و قد استقطب أبي يزيد أهل السنة عموما خاصة بالأوراس و الزاب بعد أن تسلح بمثل دينية و سياسية مدعومة بالصراع الأزلي بين البدو و الحضر البتر و البرانس كما تسلح بسلاح استراتيجي و هو كتم أهدافه وعدم الإعلان عن مبادئه حتى يستفيد من جميع الفرق و المذاهب الناقمة على الشيعة و يضمن مناصرتهم له ومع هذا فقد تفطنوا و لم يكونوا غافلين حيث وضعوا شروط[1] قبل الإنضمام إليه و لأن الضغط كان شديد من طرف الفاطميين فنجدهم استعانوا و تحالفوا مع من يخالفهم مذهبيا و فكريا من أجل التخلص من فتك الشيعة.

لم يحدد أبي يزيد منطقة الأوراس المنطلق لثورته هباء بل كان للاستراتيجية في ثورته لعل ابرزها :

- أن هذه المنطقة منطقة جل قبائلها زناتية من نفس قبيلته فكان لزام له الاستناد إلى عصبية دم له و كما هو معروف جغرافيا أن الاوراس و منطقة الزاب على امتداد واحد جغرافيا و قبليا فتركيبتها تمثل في بني برزال و بنوا زنداج من مغراوة وبنوا يفرن و بني كملان من هوارة و لواتة فقد استوثق منها و رأى قوة استعدادها للوقوف معه.
- أمر آخر و هو المذهب الخارجي الذي كانت تتبناه قبائل هذه المنطقة خاصة الزاب فقد لعب دورا هاما في عقد التحالفات خاصة بين أطياف الإباضية من نكاريةو وهبية حيث انضموا تحت راية أبي يزيد الخارجي.
- كما أن المنطقة لم تكن تضم فقط قبائل زناتية من البتر بل نلاحظ أن أكبر داعم له كان من طرف بني كملان من هوارة البرنسية فهي تجاوزت عصبية الدم إلى عصبية المذهب فتعصبها للفكر الخارجي كان أقوى من تعصبها للقبيلة من ناحية النسب و الانتماء فقد كان هذا البطن بنو كملان وهم من أشرس القبائل الذين واجهوا الدولة

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص: 216.

الفاطمية لم يستسلموا ولم يستكينوا في معظم صراعها مع الفاطميين و هذا ما دفع بالفاطميين ترحيلهم إلى نواحي القيروان حتى يتحكموا بهم.

و عندما استقوى أبي يزيد بهذا الحشد القبلي و العسكري بدأ بتنفيذ أعماله التوسعية بشكل متتالي على حساب الفاطميين و مناطق نفوذهم و كلما كان يتوسع أبي يزيد كان يجد من يناصره و يتحالف معه من الناقمين عليه.

فتحقق لأبي يزيد الكثير من الإنتصار لكنه تحت نشوة هذا الانتصار و لأنه رأى أنه على بعد قاب قوسين أو أدنى من القضاء على الفاطميين نقض الحلف مع المالكين و غدرا بهم فقد أحدث أبو يزيد ما أفسد عليه أمره عندما أمر جنوده بالتكشف عن كبراء المالكية من فقهاء و الصلحاء الذين خرجوا للقتال معه و ناصروه. لكن أبي يزيد فعل فعلته ليتخلص منهم و يصفوا له الأمر فاشتد بغضهم له[1].

و بنقض الحلف و انسحاب السنة من جيشه بدأ التقهقر جليا على قوته و تراجعه كما تجلى الفشل عندما لم ينجح أبي يزيد في حصاره للفاطميين لأربع مرات على التوالي حيث كان جنوده وقادته يتوزعون في المناطق للسلب و النهب ما دفعه إلى الانسحاب إلى القيروان سنة 334 هـ/ 945 م. و هي السنة التي توفي فيها القائم و خلفه ابنه المنصور وفي عهده تكون المفارقة حيث يعقد هذا الأخير حلفا مع صنهاجة[2] اقوى قبائل المنطقة و هذه الأخيرة بثقلها و قوتها تنقلب الأمور لصالح الفاطميين.

ما دفع أبي يزيد إلى النزوح نحو الزاب و الأوراس منطلق ثورته حيث يرجع إلى وضعه السابق و بناء على المعطيات الوضع الجديد دخلت الحرب مرحلة السجال المتبادل أي الهزيمة و النصر و أكبر داعم كان لبطن بني كملان[3] بمنطقة الزاب و الأوراس، و قد انتعشت قوة أبي يزيد بمزيد من الأحلاف من قلب زناتة كسدراتة و بني

---

[1]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص: 218.

[2]- ابن خلدون: العبر، ج1، ص: 10. نفس المصدر، ج6، ص: 181.

[3]- الداعي ادريس . تاريخ الخلفاء الفاطميين ، ص :133،127

برزال و مزيد من بني كملان و باقي هوارة و قبائل سالات من بني برزال[1] و قابل هذا المنصور بتغيرات في سياسته اتجاه القبائل من كتامة و حتى زناتة خاصة منها في منطقة الزاب و قد آتت هذه السياسة أكلها و أسلست بعض القبائل الثائرة طاعتها للفاطميين و أدل على ذلك استقبالهم للمنصور بالترحيب اينما حل فكان يقيم في كل مدينة من مدن الزاب يعمل على ضمان عدم عودة مخلد بن كيداد إليها بالخصوص بلزمة و نقاوس و طبنة[2].

لكن منطقة بسكرة خالفت المناطق الأخرى حيث تمسكت قبائلها بحلف أبي يزيد و مناصرته مما اضطر المنصور إلى دخولها بالسيف و قتل قوما منها ثم وزع الأرزاق بعدها على أهلها ثم انتقل إلى مقرة[3].

و قبل أن يخرج ابي يزيد من منطقة الزاب عموما وقعت معركة بين الطرفين بفحص باتنة[4] كان ضحيتها الآلاف من القتلى من طرف قبائل مزاته و بني كملان مما اضطر أبي يزيد إلى اللجوء لجبل كيانة و هذا عقب صولاته و جولاته و تحالفاته التي عقدها مع قبائل المنطقة و ناصرته و التي امتدت من الصحراء جنوبا إلى بلاد كتامة و صنهاجة شمالا[5].

و رغم من أن منطقة الزاب قد أخضعت تماما من طرف المنصور إلا أن الميرة كانت تصل إلى أبي يزيد في جبل كيانة من طرف سدراتة و بنطيوس من أعمال بسكرة مما دفع المنصور باستعمال سلاح أسلافه لإخضاع القبائل وهو سياسة فرق تسد إذ نلاحظ أن القبائل التي أخضعها و التي بدورها رأت الحجم الهائل من المفسدة التي أتت

---

[1]- الصنهاجي: أخبار ملوك بني عبيد، ص .38 الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين ، ج5، ص: 215،208

[2]- الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين ج5، ص: 207،206. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص: 19.

[3]- الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين ، ج5. ص: 207. الصنهاجي،أخبار ملوك بني عبيد ، ص: 38،36.

[4]- وصفها الصنهاجي بالمدينة العظيمة الخربة، و ذكر محقق الكتاب أنها أذنه بينهاأخبار ملوك بني عبيد و بين المسيلة أثنا عشرة ميلا، الصنهاجي ، أخبار ملوك بني عبيد ، ص: 41.

[5]- الصنهاجي ذات المصدر و الصفحة.

مع ثورة أبي يزيد من غير فائدة حيث كلف المنصور قبائل زناتة للإغارة على هذه المناطق و قطع الميرة على أبي يزيد[1] وقتل من يدعمه أو يحل له الطعام ثم وقعت موقعة فاصلة بينهما قتل فيها خلق كثير كان من بينهم صاحب الثورة .

ج- تحالف زناتة مع بني قرة العربية:

استند هذا التحالف على:

1- دعوى دينية تثير حفيظة المسلمين السنة (الخلافة الأموية).

2- عصبية القبائل العربية و القبائل البربرية و التي التفت حول أبي الركوة زعيم الحلف.

يذكر ابن عذارى المراكشي[2] عنه : "الوليد بن هشام من ولد المغيرة بن عبد الرحمن الداخل كما وافقه في هذا المقري التلمساني[3] و ذكر ابن القلانسي أنه من ولد هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي و أضاف ابن الأثير أنه يقرب في النسب من هشام بن الحكم الأموي صاحب الأندلس[4]فقد كان ابو الركوة الذي ظهر أمره في خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي من بين الهاربين من بطش محمد بن أبي عامر فرواية ابن عذارى المراكشي تجعله من ولد المغيرة بن عبد الرحمن الناصر كان مرشحا للحكم بعد وفاة أخيه الحكم بن عبد الرحمن لكنه قتل بمؤامرة دبرها و نفذها محمد بن أبي عامر و أعوانه سنة 366 هـ /

[1]- نفس المصدر و نفس الصفحة.

[2]ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب ، ج1، ص: 257.

[3]المقري التلمساني، نفح الطيب ، ج2، ص: 658.

[4]- ابن القلانسي، تاريخ دمشق، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق 1983، ص 104، وانظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت 1978، ج7، ص: 234، ابن كثير، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ج :11، ص: 360.

976 م. ثم تولى محمد بن أبي عامر مطاردة الظاهرين من بني أمية و كان أبي الركوة من بينهم.[1]

سمي أبي الركوة بهذا الإسم لأنه كان يحمل ركوة ماء [2] على كتفيه في أسفاره بصورة دائمة و كان يستخدمها للوضوء و هي تشبه نفس طريقة الصوفية [3] و كان ميلاده بالأندلس سنة 345 هـ / 965 م [4] حيث عاش فيها مدة من الزمن إلى ما بعد وفاة الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر، حيث بدأت محاصرة و قتل و مطاردة كل من يخشى سطوته و ملائمته للحكم.

كان الحكم المستنصر قد أوصى لإبنه هشام المؤيد [5] بولاية العهد قبل وفاته فلما توفى كان هشام صغيرا و عمره 12 سنة فعقدت له البيعة سنة 366 هـ /976 م و كان

---

[1]– أبو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ج: 4، ص: 179.

[2]– الركوة إناء صغير من الجلد أو قربة يوضع فيها الماء للشرب أو لأي استعمالات أخرى (أنظر ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص 333، ابن سعيد، النجوم الزاهرة، تحقيق حسين نصار، ص:57 .

– [3]ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم دار الكتب العلمية ،ط:2 ، 1995 ،ج15. ص : 53، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص: 234، الذهبي، تاريخ الإسلام، (وفيات، 381–400هـ)، ص: 235، ابن الوردي ، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس ، أبو حفص ، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي ، تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ط : 1 ، 1417هـ ، 1996م ، ج1، ص: 443، ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص:360، المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص: 60، المقري، نفح الطيب، ج2، ص: 658، ابن العماد، شذرات الذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي ، أبو الفلاح ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تح عبد القادرالأرناؤوط ، محمود الأرناؤوط ، دارابن كثير، ط :1 ، 1406هـ، 198م ، ج : 3.ج : 3، ص: 148 .

[4]ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 53، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص: 234، ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 360، المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص: 60.

[5]ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966، ص: 7، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج:2، ص: 60.

ينافسه على الخلافة عمه المغيرة بن عبد الرحمن الناصر و يرى أنه أحق بها من هشام الصغير، و كان يتولى تدبير أمور هشام المؤيد المنصور[1] محمد بن أبي عامر فأخفاه عن الناس. و قام بقتل المغيرة بن عبد الرحمن الناصر ثم قام بتتبع أهله و من يصلح منهم للحكم، فقتل بعضهم و هرب البعض الآخر، و كان أبو الركوة من بين الذين هربوا من قرطبة خوفا من القتل بسبب ملاحقة ابن أبي عامر[2] و كان عمره آنذاك عشرين عاما.

لقد كان لأبي الركوة صولات و جولات في أنحاء المغرب و الشام حتى الحجاز فقد توجه بداية إلى القيروان حيث فتح مكتبا يعلم و يحفظ الصبيان القرآن الكريم ثم توجه إلى الاسكندرية ثم إلى أرياف مصر و الفيوم كما درس الحديث في مصر ثم سافر إلى

[1] هو هشام بن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر الأموي الأندلسي، ولد بمدينة الزهراء سنة 354هـ/965م، وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة 366هـ/976م، وكان طفلا صغيرا لا يتجاوز الثانية عشرة من العمر، فقام بتدبير أمور الخلافة المنصور محمد بن أبي عامر، واستبد بالأمور فكان يأمر وينهى باسم الخليفة هشام إلى أن توفي سنة 393هـ/1002م (انظر ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص: 7، الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية1966م، ص: 17، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج2، ص: 117، النويري، نهاية الأرب، ج23، ص: 402، الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ج2، ص: 43-48، المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 396، حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص: 339، أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص: 287

[2] هو محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد المعافري، أصله من الجزيرة الخضراء، قدم إلى قرطبة، واشتغل بالعلم والأدب، قربه الحكم المستنصر إليه، ثم صار وزيرا وحاجبا في خلافة الهشام المؤيد، واستبد بأمور الدولة، وأكثر من الغزو والجهاد في بلاد الفرنج حتى وصلت غزواته إلى أكثر من خمسين غزوة، وتوفى سنة 393هـ/1002م، (انظر أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، ج2، ص: 17،18، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج23، ص: 403،405، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص: 123،124، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي ،المغرب في حلى المغرب ، دار المعرف القاهرة ، 1995م ، ص: 199، ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص: 256،257، 272، 275، لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ج2، ص: 59 وما بعدها، المقري، نفح الطيب، ج1، ص 396،398، 403،420، حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص: 339،343، أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص : 287.

الحجاز حاجا ثم اليمن فالشام ثم كانت عودته إلى مصر [1]، ثم توجه إلى البحيرة فنزل على قبيلة عربية تدعى بني قرة و كانت قد ساءت علاقتهم بالحاكم الفاطمي و اتفقوا على محاربته.

فاستغل أبي الركوة هذه الفرصة حتى يكشف على نفسه و عمل على اقناع هذه القبيلة و عزز مشروعه بأنه من بيت الخلافة الأموية و دعا للقائم من ولد هشام بن عبد الملك أي من ولد أبيه هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ثم دعا لنفسه فوافقوه و لم يتوقف عند هذا بل دعم هذا بدعوة قبائل أخرى لحلفه فأجابته كل من لواته ومزاته و زناتة و تشكل حلف قوي كان كل طرف فيه يتوق إلى رجل يوحد كلمتهم و يلتفون حوله ضد خطر الدولة الفاطمية.

ظروف التحالف:يعود الخلاف بين بني قرة العربية و الحاكم الفاطمي إلى قتل يانس الصقلبي [2] والي طرابلس.حيث دخلها أحد أتباعه و هو القائد فتوح بن علي بن عقيان فتولى أمرها و انضم إليه أصحاب يانس فاصطدموا مع جعفر بن حبيب الذي أرسل إلى الحاكم يستنجد به ضد فتوح و اعتبره متمردا على الخلافة، انضم إلى فتوح و أصحابه أحد أمراء المغرب فلفول بن خزرون و انهزم جعفر بن حبيب فخرج فتوح و من معه من أصحاب يانس إلى فلفول و ملكوه عليهم.[3]

و يأتي دور يحيى بن علي حيث كلف من طرف الحاكم الفاطمي للسيطرة على طرابلس و اخراج فلفول بن خزرون منها و قد اتصل بقبيلة بني قرة لمساعدته فوافقوهو

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص: 234، ابن خلدون، العبر ، ج4، ص: 58، عطية القوصي، دولة الكنوز الإسلامية، ص 49.النويري، نهاية الأرب، ج28، ص: 181.ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص :53، النويري، نهاية الأرب، ج28، ص: 181، ابن خلدون، العبر، ج4، ص: 58.

[2] يانس الصقلي، هو أحد خدام العزيز بالله، ولاه الاشراف على القصور الفاطمية، ثم تولى إمارة برقة، واصطدم سنة 390هـ/1000م بقوات جعفر بن حبيب، وكان ذلك من تدبير برجوان الخادم الذي تولى تدبير الدولة الفاطمية، وقتل يانس فتولى قائده فتوح بن علي وبقية أصحابه التصدي لجعفر بن حبيب ا. المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص:34.

[3] المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص: 34.

خرجوا مع يحيى من برقة لكن لم يتم الاتفاق بينهم لنقص الأموال لتجهيز الجيش و ما يستحقه فتخلوا عن يحيى و خذلوه فعاد يحيى إلى القاهرة في ظروف سيئة و ساعدت هذه الحادثة زناتة بقيادة فلفول من إحكام سيطرتها على طرابلس.[1]

و قد استدعوا بني قرة من طرف الحاكم الفاطمي لكنهم امتنعوا خشية بطشه لكن تناساهم فترة من الزمن حتى كانت سنة 394 هـ /1003م، حيث أمنهم بكتاب أرسله فقدمت جماعة منهم إلى الاسكندرية ليقفوا على أمرهم به فقتلوا جميعا من طرف الحاكم الفاطمي.

و لم يقف انتقام الفاطميين على هذا الحد حيث يذكر النويري أن الحاكم بأمر الله بعثلبني قرة سنة 395 حملة عسكرية بقيادة (ابو الفتيان التركي) لتمردهم عليه فعامل قائدها من وقع في قبضة يده من بين بني قرة بغلظة بالغة و حبس جماعة من أعيانهم و قتل بعض رجالهم و أحرقهم بالنار.[2]

و قد تميز الحاكم الفاطمي بعنفه الشديد و قسوته حتى على أقرب الناس إليه فلم يسلم منه صديق و لا حبيب فكان من المنطقي أمام هذا التصرف و هذا الطبع الخشن أن يثير الفزع و ينتهز أعداء الخلافة الفرصة لتقويض أركان الدولة و كان من بين من وصله بطشه قاضيه الحسين بن النعمان [3] حيث كان عقاب الحرق بالنار حتى الموت و كانت هذه التصرفات أفزعت بني قرة و خافت من انتقامه و مطاردته لهم فكانوا على أهبة

---

[1]نفس المصدر المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص: 34.

[2]ابن سعيد ، النجوم الزاهرة، ص: 71، المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص:34،52.

[3]هو الحسين بن علي بن النعمان، ولد سنة 353هـ/964م، وتولى القضاء للحاكم سنة 389هـ/999م، ثم عزله سنة 394هـ/1003م، وقتله بعذ ذلك لمظلمة رفعها أحد أفراد الرعية بتهمة استيلائه على تركه أبيه (أنظر ابن سغيد، النجوم الزاهرة، ص: 71، ابن ميسر تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب ، المنتقى من أخبار مصر تح : أيمن فؤاد السيد، ص:51، أبي بكر بن عبد الله بن أبيك الدواداري، الدرة المضيئة. في أخبار الدولة الفاطمية ، تح : صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، 1380 هـ ، 1961 م ص: 51، ص: 264، الذهبي، تاريخ الإسلام ، ص 314، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص : 59.

و استعداد للتحالف مع أي طرف أو الدخول في أي دعوة تمكنهم من الانتقام من شر هذا الحاكم الفاجر الفاسد و يبدوا أن المصلحة المشتركة و العدو الواحد قد ألف بين طرفين كانوا في حروب مستمرة فكانت قبائل زناتة في صراع مستميت مع بني قرة فاتفقوا و تحالفوا معا ليكونوا يدا واحدة ضد الحاكم الجائر[1]. و قد أحسن أبو الركوة هذه الظروف أحسن استغلال فأخذ يدعوا بني قرة و قبائل البربر للاتفاق و الثورة على الخلافة الفاطمية لإعادة الخلافة الأموية. و أعلن أن غرضه من ذلك هو نصرة دين الإسلام و وقف الإساءة إلى أصحاب الشريعة و تحريم سبب السلف الصالح لأنهم الأئمة و عماد الدين.

واجتمعت إليه قبيلة قرة العربية، كما اجتمعت إليه قبائل من البربر خاصة قبيلة زناته[2]، وأخذ أبو ركوة البيعة من العرب والبربر في مكان يعرف بعيون النظر بالقرب من برقة في جمادى الآخرة سنة 395هـ/1005م، ثم بعث إلى لواته ومزاتة فاستجابوا له وبايعوه[3] فكان الناس يدخلون عليه في كل يوم ويسلمون عليه بالخلافة، ثم يجلس بينهم ويقول : "أنا واحد منكم، وما أريد شيئا من هذه الدنيا ولا أطلبها إلا لكم، وليس معي مال أعطيكم إنما لي عليكم طاعة، وإن نصرتموني نصرتم أنفسكم وإن قاتلتم معي أخذتم حقكم بأيديكم، فيردون عليه: يا أمير المؤمنين، نحن مبايعون لأمرك، مطيعون لك، فمرنا بأمرك[4]

وظل يطوف قرى برقة ويأخذ البيعة منهم حتى قوي أمره وتخوف منه عامل برقة ومن تفاقم خطره على الدولة ودخلت الدولة الفاطمية في حروب كادت ان تقضي عليها لولى تخلي عرب بني قرة من خلال التهديد تارة والاستمالة بالمال تارة اخرى فبعد هزيمة

---

[1]المقريزي، البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبد المجيد عابدين، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة 1961، ص: 116.

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص 234، ابن خلدون، العبر، ج4، ص: 58،

[2] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص: 60.

[3] الأنطاكي، صلة تاريخ أوتياخا،يحي بن سعيد الأنطاكي ، صلة تاريخ أوتيخا ، تح : عبد السلام تدمري ، جروس برس ، 1990 م . ص : 259.

[4] ابن خلدون، العبر، ج4، ص: 58، موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ص: 381.

أبي ركوة الاخيرة فرّ مع العرب ومع خاصته من بني قرة، فأرسل إليهم الفضل بن صالح يطلب منهم أن يسلموه إليه، وعرض عليهم أموالا كثيرة، إلا انهم رفضوا تسليمه.

ثم تدخل ماضي بن مقرب وعمل على الإيقاع بين بني قرة وأبي ركوة، ونجح في إقناع بني قرة بالتخلي عنه، فقالوا له: قد قاتلنا معك ولم يبق فينا فضل لمعاودة حرب، وما دمت مقيما بين ظهرانينا فنحن مطلوبون لأجلك، فخذ لنفسك، وانظر أي بلد تريد لنحملك إليه[1].

وطلب منهم أن يرسلوا معه فارسين يوصلاه إلى ملك النوبة، فقد كان على علاقة طيبة معه[2] ويرى البعض أنه كان هناك اتفاق بينهما وأن ملك النوبة اتفق مع أبي ركوة على أن يمده بقوات من عنده لمواصلة القتال ضد أعدائه وأنه أرسل قوات اشتركت في المعركة التي دارت عند الجيزة[3].

وتعددت روايات المؤرخين حول دخوله بلاد النوبة، وإلقاء القبض عليه وتسليمه للفاطميين، فابن الأثير توجه إلى حصن الجبل فسلمه صاحب الحصن إلى رسول الفضل[4]، ويذكر الأرمني أنه قبض عليه في دير يعرف بدير أبي شنودة وهو مقر صاحب الجبل عند مدينة بوسقا[5]، ويرى ابن خلدون أن الذي سلمه صاحب الجبل وهو شجره بن مينا[6]، أما المقريزي فيذكر أن الذي قبض عليه هو أحد أمراء ربيعة المقيمين في في بلاد النوبة وهو أبو المكارم هبة الله بن الشيخ أبي عبد الله محمد ويعرف بالأهوج المطاع وسلمه إلى الحاكم فأكرمه الحاكم إكراما عظيما ولقبه كنز الدولة[7].

---

[1] الأنطاكي، صلة تاريخ أوتيخا، ص: 266.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص: 54، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص:236، ابن خلدون، العبر، ج4، ص: 58.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص: 54، ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص : 360.

[4] الأنطاكي، صلة تاريخ أوتيخا، ص: 267، ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص: 104، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص:236، اتعاظ الحنفا، ج2، ص: 64-65

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص: 236.

[6] النويري، نهاية الأرب، ج28، ص: 183، عطية القوصي، دولة الكنوز الإسلامية، ص: 54.

[7] ابن خلدون، العبر، ج4، ص: 59.

وأمر الحاكم بأن يقتل أبو ركوة ويصلب، ولم يستمع إلى استرحامه واستعطافه، فقد عانى الخليفة من ثورته، وتحملت الدولة نفقات هائلة لم تنفقها في سنين طويلة، فكانت ثورته من أخطر ما تعرضت له الدولة.

وحملوه من القصر إلى مسجد تبر حيث قتل وصلب، ثم أحرق بالنار[1]، فيما يذكر بعض المؤرخين أنه حمل ليقتل في ظاهر القاهرة، فلما وصلوا وجوده قد مات بالسكتة القلبية، فقطع رأسه وصلب جسده[2] ولا يستعبد أن يكون حدث مثل هذا الأمر له فإن موكب التشهير والضرب والرجم كان كفيل بإماتته كما ذكرى المقريزي.

ح- تحالف صنهاجة الجنوب :

كان تيولتان ابن تلاكاكين أو حاكم صنهاجة ينتمي إلى قبيلة لمتونة و قد رفعت بعض المصادر نسبه إلى مصالة بن منصور بن ويسنو بن نزار و قد حكم كل الصحراء التي كانت عاصمتها أوداغست و قد فرض هيمنته على حوالي عشرين من ملوك السودان، توفي في عمر يناهز الثمانين ليخلفه حفيده الأثير بن باتن الذي تولى الملك إلى أن وافته المنية سنة 278 هـ/900 م،و كان تميم آخر حاكم و ملك صنهاجة حيث قتله 306 هـ /918م[3] أحد أعيان القبيلة لأسباب مجهولة.

و بوفاته تفرق حلف هذه القبائل الصنهاجية و لم تتوحد فيما بينها إلا بعد مرور ما يقارب 120 سنة تحت قيادة الأمير أبي عبد الله بن تيفاوت المعروف باسم (تارشني) و هو أحد رؤساء لمتونة و قد توفي عام 426 هـ/1035م. و دام حكمه ثلاث سنوات إلى

---

[1] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص: 65.

[2] ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص: 57، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص: 65.

[3]- الناصري،أبو العباس أحمد بن خالد الإستقصا لدول المغرب الأقصى ،تحقيق ولدي المؤلف : جعفر ومحمد الناصري ، دار الكتاب الدار ، الدار البيضاء ، المغرب طبعة 1954 ،ص 5. ابن أبي زرع ابو الحسن علي بن عبد الله ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار صور لطباعة ووالوراقة ، الرباط 1972 م ، ص 76. محمود حسن أحمد، قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى)، دار الفكر العربي، القاهرة، طنطة، ، ص :101.

أن وصل الحكم إلى زعيم صنهاجة يحيى بن إبراهيماللمتوني[1] وليس الكداليكماهوشائع بل هو لمتوني لأنه من ذرية إبراهيم بن ترجوت حسب ما أورده الصيرفي في شدراته الموجودة و هو الأعرف بدولة المرابطين: تاريخا و نسبا. و قد عرج في عودته على القيروان و فيها لقي شيخ المالكية أبا عمران الفاسي (ت 430 هـ/ 1039م) و قد طلب الكدالي من الفاسي أن يرسل معه أحد تلاميذه ليعلم قومه في الصحراء لواجباتهم الدينية التي كانوا يجهلونها، و لما لم يجد الفاسي تلميذ يقبل تحمل مشاق الرحلة و وصعوبة العيش في الصحراء، فقد نصح الكدالي بأن يمر بتلميذ آخر للفاسي هو وكاك بن زلوا اللمطي المقيم في ملكوس في السوس. و قد وجد الكدالي بغيته هناك، حيث أصحبه وجاج[2] تلميذه عبد الله ابن ياسين و الذي أبدى حماسا للرحلة و أهدافها.

و قد كانت قبيلة صنهاجة من أعظم قبائل المغرب فلا يكاد قطر من أقطار المغرب يخلو من فصيل أو بطن في جبل أو بسيط حتى زعم البعض أنهم ثلث البربر. " و تقدر مساحة أرضهم نحو سبعة أشهر طولا في أربعة عرضا"[3].

وقد اشتهر الصنهاجيون باللثام حيث كان شعارهم إلى أن عرفوا فيما بعد بالمرابطين و يرى بعض المؤرخين أن هؤلاء أصحاب اللثام ينتسبون إلى قبيلة لمتونة وهي بطن من بطون صنهاجة و كانت هذه الأخيرة لها الرئاسة حيث كانت تحت رئاستهاسائر القبائل من مسوفة و مزاتة، و جدالة، و لمطة، و غيرها، ثم تزعمت قبيلة جدالة على عهد الأمير يحيى بن ابراهيم الجدالي، و بما أن لمتونة كانت هي متزعمة الحلف الصنهاجي فقد كان

1- ابن الزرع الفاسي: المصدر السابق، ص: 75. بوتشيش ابراهيم القادري، المغرب و الأندلس في عصر المرابطين (المجتمع، الذهنيات، الأولياء)، دار الطبيعة، بيروت، ط1، سنة 1991، ص: 98.

2- أما وجاج بن زلواللمطي فيؤكد صاحب كتاب القبلة أنه كان من تلامذة ابن تيسييت بأغمات قبل قيام دولة المرابطين و من طلبة هذا الشيخ الذين جاهدوا بزغواطة و المفهوم أن وجاج كان أنذاك في ريعان الشباب و ربما توجه بعد انخراط عقد رباط الأغماتيين هذا إلى شيخه أبي عمران الفاسي حيث درس عليه في فاس قبال أن يكر راجعا صوب السوس ليؤسس رباطه الخاص. حماه الله ولد سالم ، تاريخ بلاد شنكيطي موريتانيا ، ص ص : 49 ، 52 .

3- الناصري، المصدر السابق، ج2، ص: 3.

اللثام سمتها و شهرتها وقد أصبح فيما بعد شعار لكل من حالفهم و دخل تحت سيادتهم من القبائل[1].

شخصية عبد الله بن ياسين:

أصله من بلدة تماماناوت تقع في طرف الصحراء و أمه تين يزامارن من أهل جزولة و كان من تلامذة وجاج بن زللواللمطي فقيه السوس، ثم رحل إلى الأندلس في عهد ملوك الطوائف و مكث بها سبع سنين كما اجتهد في العلوم الشرعية و عندما وجه الفقيه العالم أبو عمران الفاسي[2] من تلميذه وجاج بن للو، أن يرسل مع أمير قبيلة جدالة يحيى بن إبراهيم الجدالي فقيها عالما يعلم قومه أمور دينهم و بعد أن رفض الجميع وقع

[1]- و أما عن تنوع التسمية باللثام فقد رويت العديد من القصص في شأنه منها:

أ- أن أسلافهم من حمير كانوا يتلثمون لشدة الحر و البرد يفعله الخواص منهم فكثر ذلك حتى صار يفعله عامتهم.

ب- أنهم آمنوا بالرسول صلى الله عليه و سلم و كانوا قلة فاضطروا للهرب، عندما غلبهم أهلال كفر فتلثموا قصد التمويه.

ج- و قيل قوما من أعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم إذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحي فيأخذون المال و الحريم فأشار عليهم بعض مشايخهم أن يبعثوا النساء في زي الرجال إلى ناحية و يقعدوا هم في البيوت ملثمين في زي النساء فإذا أتاهم العدو ظنوهم النساء فيخرجون عليهم، ففعلوا ذلك و ثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم فلزموا اللثام تبركا بنصرهم فكان اللثام عادة سارية عندهم ليلا و نهارا و لا تستطيع أن تميز منهم الشباب و لا الشيخ.

د- أما الرأي الأقرب إلى الحقيقة و المنطق أن اللثام استعمل عند أهل البوادي عموما للحماية من أضرار الطبيعة كالغبار و حرارة الجو و الشمس اللافحة. ، دندش عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، سنة 1988، ص ص 16-30. الناصري، المصدر السابق، ج1، ص: 4.

[2]- أبو عبد الله البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، مصر ، د ، ت ط ، ص: 165. علي محمد الصلابي، دار لبن الجوزي ، القاهرة ، مصر صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي ص: 153.

الاختيار على عبد الله بن ياسين[1] للقيام بالمهمة المنوطة إليه و هو ابن الصحراء و الإنسان ابن بيئته أعلم بتقاليد و أعراف منطقته.

و قد كان من حذاق الطلبة و من أهل الفضل و الدين و الورع و السياسة و دخل عبد الله بن ياسين جدالة مع يحيى بن ابراهيم الجدالي سنة 430 هـ / 1038 م فاستقبله أهلها و استمعوا له و أخذ يعلمهم فكان تعليمه باللغة العربية لطلبة العلم. أما عملية الإرشاد الديني للعامة فكان بلهجة أهل الصحراء البربرية، و قد فرح أهل المنطقة بقدومه و تيمنوا بالفقيه و أكرموه و أخذ الشيخ يربي أتباعه و يجتهد في تعليمهم كل مناحي الدين الإسلامي و كان مما يكثر تعليمهم إياه هو إن تعارض شيء مع القرآن أو السنة فلا ينظر إليه، و أنه لابد من المحافظة على هذه الأصول فالقرآن الكريم و السنة المطهرة هما مرجعا لكل مسلم في التعرف على أحكام الإسلام[2]. و قد صدق يحيى حينما قدمه للناس " هذا حامل سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم قد جاء يعلمكم ما يلزم في دين الإسلام فرحبوا بهما، و أنزلوهما"[3].منزل الكرام .

لقد كانت الطريق أمام عبد الله بن ياسين محفوفة بالمخاطر و المكاره فعند دخوله لهذه القبائل وجد أكثرية الملثمين لا يعرفون شيئا عن الإسلام فلا صلاة لهم و لا صوم و لا زكاة فلم يكونوا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه، فعم الجهل و الانحراف المجتمع الصحراوي و ابتعدوا عن تعاليم العقيدة الصحيحة و كان أخطر ما واجهه حين تطبيقه

---

[1]- الإمام الكبير العلامة أبو عمران الفاسي موسى بن عيسى بن أبي حاج البربري العفجومي نسبة إلى عفجوم بطن من بطون قبيلة زناتة و قد حج العديد من المرات كما تتلمذ على يد العالم الكبير ابي الحسن القابسي، و قد كان شيخ المالكية بالقيروان كما دخل إلى الأندلس و أخذا عن عبد الوارث بن سفيان، و أخذ الكلام ببغداد عن ابن البقلاني و قرأ على الحمامي، كما تخرج على يديه العديد من طلاب العلم و العلماء و الفقهاء فقد كان إماما في القراءات، و عالما في الحديث و متفقه في علوم الفقه. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الإمام الحنبلي الدمشقي، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، سنة 1979م، ج5، ص: 153.

[2]- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب ج3 ، ص: 8. الناصري المصدر السابق، ج2، ص: 7، ابن كثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم الجزري، الكامل في التاريخ ، ج8، ص: 328.

[3]- نفس المصدر، نفس الجزء، نفس الصفحة

لشريعة الإسلام اصطدامه بمصالح الأمراء و الأشراف الذين ثاروا عليه و كادوا أن يقتلوه فقد وقف لمنع الزنا و إقامة الحد للسارق و الزاني و دفع الزكاة فلم يتقبلوا هذه النواحي فحاربوه و كان هذا حال كل الدعاة بما فيهم أعلى منزلة[1]، الرسل و الأنبياء و هي سنة الله في خلقه الذي قال " أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿142﴾"[2].

و بعد تعرضه للعنف و التهجير قرر عبد الله بن ياسين مغادرة بلادهم و التوجه إلى بلاد السودان حديثي العهد بالإسلام فمنعه ابراهيم " إنما أتيت بك لأنتفع بعلمك لخاصة في نفسي، و ما علي في من ضل من قومي، و أشار عليه قائلا: هل لك في رأي أشير به عليك إن كنت تريد الآخرة؟ قال: ما هو؟ قال: إن هاهنا جزيرة في البحر قال ابن خلدون هو بحر النيل يحيط بها من جهاتها، يكون صحصاحا في المصيف يخاض بالأقدام و عمر في الشتاء يعبر بالزوارق. قال يحي بن ابراهيم: و فيها الحلال المحض من شجر البرية و صيد البر و البحر[3]، ندخل فيها و تقتات من خلالها و نعبد الله من رجال قبيلة جدالة، و قد قوى عبد الله بن ياسين رباطه هناك و مكث يعبد الله مع أصحابه ثلاثة أشهر فتسامع مع الناس بهم، فكثر الواردون عليهم و التوابون لديهم فأخذ عبد الله يقرئهم القرآن و يستميلهم إلى الخير، و يرغبهم في ثواب الله، و يحذرهم من عقابه، حتى تمكن حبه من قلوبهم، فلم تمر عليه إلا مدة يسيرة حتى اجتمع عليه ما يقارب ألف رجل فكانت تسميتهم المرابطين للزومهم رابطته (رباطه)[4].

---

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 78-79. محمد الصلابي، المرجع السابق، ص: 153.

[2]- سورة آل عمران الآية 142.

[3]- الناصري، المصدر نفسه، ج2، ص: 7، 8.

[4]- الناصري، المصدر السابق، ج2، ص: 87. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص: 79.

مراحل تكوين الحلف المرابطي:

أول الأمور التي مهدت لهذا الحلف هي الرباط[1] الذي أقامه عبد الله بن ياسين في الحوض الأدنى لنهر السنغال سنة (433 هـ/1040 م) و كان يصاحبه الأمير يحيى بن إبراهيم فدخل في بداية الأمر معهما سبعة من أتباعه المخلصين من قبيلة جدالة التي سوف يكون لها دور مهم. ثم مكثوا به ما يقارب ثلاثة أشهر يعبدون الله حتى تسامع الناس بهم و بدأت الوفود تأتيهم و كان دور عبد الله بن ياسين تعليمهم أمور الدين الصحيحة و العقيدة الحقة و بدا عددهم يتكاثر حتى بلغ الألف رجل و أطلق عليهم عبد الله بن ياسين بالمرابطين[2] نسبة للزومهم رباطه و قد اعتمد على هؤلاء في تطويع القبائل الاخرى التي رأى أنها تخالف الشريعة الاسلامية ،وحتى لا يضعف مشروعه وينكسر، قام بتحديد شروطاختار لتطبيقها أفضل الملثمين وأطهرهم وأقواهم شكيمة ليتحملوا المسؤلية.

كما كان يرفع من قيمة العلماء و الفقهاء إلى أعلى المراتب مما أدى إلى إلتفاف مجموعة منهم حوله ساعدوه في تبليغ مهمته في الدعوة و تربية الناس و تعليمهم و تحضيرهم للمرحلة الحاسمة، كما لم يكن يمنعه الحياء من طرد من لا يراه مناسبا لتحقيق هدفه المنشود[3]. و قد آتت سياسته أكلها حيث أصبح معه من الرجال من يعتمد عليهم في دعوته و بدأت مرحلة ضم القبائل حيث بدأ في إرسال البعوث إلى القبائل لترغيب الناس في الإسلام فلبى مجموعة من أشراف صنهاجة هذه الدعوة و التفوا حوله ثم أمر أتباعه و تلاميذه أن يذهب كل واحد منهم إلى قبيلته ليدعوهم إلى العمل بشريعة الله و نبيه المصطفى فإن امتثلوا تركوهم و إن خالفوا جاهدوهم و عندما أعرضوا عنهم خرج عبد الله بن ياسين بنفسه. حيث قام لمدة سبعة أيام يعظ و ينصح القبائل كما حذرهم من غضب

[1]– كان رباط السنغال الذي أسسه ابن ياسين منارة للعلم في تلك الصحراء القاحلة و أصبح قطبا جذابا لقبائل صنهاجة، كما وفر الأمن و الاستقرار في تلك الديار الصحراوية البعيدة فكان النواة الأولى لدولة المرابطين إذ تم فيه تشكيل مجلس الشورى. و جماعة الحل و العقد، تطورت مع الأيام و أصبحت مرجعية عليا للملثمين. علي محمد الصلابي، صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي ، ص ص: 172،169.

[2]– ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص: 79.

[3]– علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص: 172.

الإله و عقابه لكن دعوته لم تنفع و نصيحته لم تجد صدى عندهم فأعلن الجهاد عليهم[1].

تحرك عبد الله بن ياسين صوب قبيلة جدالة في ثلاثة آلاف رجل حيث هزمها بعد معركة ضارية بينهما حيث انقاد البقية فيما بعد لأحكام الإسلام ثم توجه بعد ذلك إلى قبيلة لمتونة فانتصر عليهم و دخلت في طاعته كما بايعته على الكتاب و السنة ثم توجه إلى قبائل مسوفة التي دخلت تحت لوائه و أطاعته كما أطاعت قبيلتي جدالة و لمتونة. أما القبائل الأخرى فلما شاهدت هذه الانتصارات تحركت لمبايعته و مناصرته كما حذت حذوها الكثير من القبائل الصحراوية الأخرى[2]. و بعد هذا الكم الهائل من الأحلاف القبلية التي توحدت على يد عبد الله بن ياسين أرسل المتميزين بالعلم من تلاميذه و وزعهم على القبائل التي دخلت في دعوته ليعلموهم شرائع الإسلام، من صلاة صحيحة و صيام و زكاة و نسك الحج و إخراج الزكاة و تجهيز بيت مال للمسلمين يجمع فيه ذلك[3].

كما استمد قوته من هذه القبائل المتحالفة معه و أخذ يغزوالقبيلة تلوى الأخرى حتى دانت له جميع قبائل الصحراء.

وقد لعبت العصبية الدينية دورها في تذليل الصعاب وضم مزيد من الأحلاف وفي هذا الشأن يذكر ابن خلدون: "إذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم و ذهب خلق الكبر و المنافسة منهم فسهل انقيادهم و اجتماعهم". " فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله و يذهب عنهم مذمومات الأخلاق و يأخذهم بمحمودها و يؤلف كلمتهم لإظهار الحق ثم اجتماعهم و حصل لهم التغلب و الملك". و يؤكد ابن خلدون أن الملك و السلطان لا يحصل للعرب إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة و أوعز سبب ذلك إلى قوة التوحش الذي يتصفون به

1- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص: 85.

2- ابن ابي زرع ، الأنيس ، ص: 80. حمدي عبد المنعم محمد حسين ، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، دار المعرفة ، مصر ، 1997 م ، ص: 41.

3- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص: 80.

و الغلظة و الأنفة و صعوبة انقيادهم إلى بعضهم بعضا و المنافسة على الرئاسة و لذلك قلما تجتمع أهواؤهم إلا بالدين[1].

كما يرى أن العصبية في المجتمع البدوي لا يمكن أن تتطور إلى عصبية جامعة مطالبة إلا بتدخل عامل آخر و هو الدعوة الدينية التي تتبناها عصبية خاصة تناضل من أجل نشرها و نصرتها، الشيء الذي ينتج عنه رئاسة هذه العصبة صاحبة الدعوة على باقي العصبيات المرتبطة معها بالنسب لهم فيكون تحالف قبلي أساسه عصبي يسلك نحو طريق الملك و تأسيس الدولة و ما يعزز و يوضح ذلك هو إن كانت الدولة القائمة آنذاك معتمدة على العصبية وحدها، فلا يمكنها أن تصمد طويلا حتى و لو كانت في أوج عزها أمام مطالبة عصبية قوية معززة بدعوة دينية، لأن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس و التحاسد الذي في أهل العصبية و تفرد الوجهة إلى الحق و تزيد من قوة الالتحام الذي في النسب مما يجعل العصبية أكثر قوة حيث لا يقف أمامها شيء[2]. و هذا ما حصل مع عبد الله بن ياسين عندما نادى بالإصلاح و رفع راية الجهاد.

و لقد تبنى هذا الأخير المذهب السني المالكي بزعامته لقبيلة صنهاجة و يوضح ابن خلدون دور الدعوة الدينية في تأسيس الدولة " و اعتبر ذلك أيضا في دولة لمتونة ودولة الموحدين. فقد كان بالمغرب من القبائل كثير من يقاومهم في العدد و العصبية أو يشق عليهم إلا أن الاجتماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم بالاستبصار و الاستماتة"[3].

سياسة عبد الله بن ياسين في توحيد القبائل الصنهاجية تحت دعوة الإسلام:

بطبيعة الحال كأي زعيم كان من الضروري التدرج في النصح و الدعوة و هذه الخطوة الأولى التي انتهجها عبد الله بن ياسين فبعدما جهز رحاله بالعلم و العقيدة الصحيحة أرسلهم إلى قبائلهم و بطونهم لنصح و تبيان الشريعة الإسلامية الصحيحة ثم

1- ابن خلدون، المقدمة، ص: 163

2- الجابري محمد عابد ، العصبية والدولة ، ص: 189،190

3- هشام بن الحسن العطار، رسالة ماجستير ، أثر الإسلام في نظرة ابن خلدون للإنسان والأديان ، جامعة محمد بن سعود ، الرياض ، السعودية (1421 هـ / 2001 م ص: 547،549

ندبهم إلى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة و قال لهم: " يا معشر المرابطين إنكم اليوم جمع كثير نحو ألف رجل و لن يغلب ألف من قلة و أنتم وجوه قبائلكم و رؤساء عشائركم، و قد أصلحكم الله تعالى و هداكم إلى صراطه المستقيم فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم بأن تأمروا بالمعروف و تنهوا عن المنكر و تجاهدوا في سبيل الله حق جهاده فقالوا له: يا الشيخ المبارك مرنا، بما شئت تجدنا سامعين لك فقال لهم " أخرجوا على بركة الله و أنذروا قومكم و خوفوهم عقاب الله و أبلغوهم حجته فإن تابوا و رجعوا إلى الحق و أقلعوا عما هم عليه فخلوا سبيلهم، و إن أبوا من ذلك و تمادوا في غيهم و لجوا في طغيانهم استعنا بالله تعالى عليهم، و جاهدناهم حتى يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين"[1].

و بعد أن توجه كل شخص إلى عشيرته قام بنصحهم و تحذيرهم إلا أنهم لم يشفوا غليلهفكان دور عبد الله بن ياسين حين خرج بنفسه فأقام عليهم الحجة و دعاهم إلى الله و رغبهم في الجنة و خوفهم من النار لمدة سبعة أيام من النصح و الإرشاد و لما لم يجد بدا في نصحهم قال لأصحابه " قد ابلغنا في الحجة و أنذرنا و أعذرنا، و قد وجب علينا الآن جهادهم فاغزوهم على بركة الله"[2].

و هذا التدرج في النصح يبرر لنا منهج الاعتدال و الوسطية التي كان ينتهجها هذا الزعيم السياسي في التربية و الدعوة فلم يكن سفاكا للدماء بل كان همه أن يتبع الناس تعاليم الدين الإسلامي الصحيح لكن قوبل بالصد و الإعراض فلم يجد سبيل غير الجهاد ليعودوا إلى رشدهم و دينهم الصحيح.

لم يكن لعبد الله بن ياسين حين دعوته لأهل الصحراء غرض سياسي أو مادي بل كان همه تعريف الناس بالعقيدة الصحيحة موضحا لهم أركان الإسلام و قواعده على أصول منهج أهل السنة و الجماعة كما بذل جهدا كبيرا في تصحيح عقيدة الملثمين من

[1]– الناصري، المصدر السابق، ج2، ص: 8. ابن الزرع، المصدر السابق، ج2، ص: 8. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص: 79. الناصري.

[2]– الناصري، المصدر السابق، ج2، ص: 9.

بقايا الشرك و الوثنية التي كانت من قبل و خالطت عقيدتهم كما قام بتعليم الناس الصيام و الصلاة و الزكاة و غيرها بعدما كانوا يعرفون إلا الشهادتين كما قام بتنقية المجتمع من العادات السيئة و الأعمال المحرمة مثل الزنا و السرقة و الغش و الزواج بأكثر من أربعة نساء[1].

فقد كان هدفه الأسمى جمع الناس على الإسلام و تطبيقه و دعوة الناس إلى محبة أعمال الخير و كراهية أعمال الشر بناء على قوله تعالى " كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿151﴾"[2].

فكرة ضم الأحلاف و التوحيد السياسي للمغرب و الأندلس:

يعتقد أن فكرة ضم القبائل و توحيدها عند عبد الله بن ياسين مرت بمراحل خاصة و أن جل العلماء الذين أخذ عنهم كانوا من ذات القبيلة. فقد انتسب عبد الله بن ياسين إلى حقل الدعوة الصحراوية و هو مقيم مع عميد دار المرابطين حيث وجد في حقل الدعوة الجديدة الأداة الضرورية لإنجاز مشروعه و يبدو أن البذرة الأولى لمشروعه قد تكونت بعد سفره إلى الأندلس في عهد ملوك الطوائف و كانت سبع سنوات تيقن فيها من مدى ضعف المسلمين و تخاذلهم أمام أعدائهم فكانت هذه الظروف المؤثر الأساسي حيث عاد مشحون و متحمسا للدعوة و الجهاد و يبدوا واضحا تأثره بعلماء الأندلس الذين كانوا بدون شك لهم نفس الفكرة في إعادة الأمة إلى مجدها و لا يكون ذلك إلا بتحالفها و توحدها و مما له دلالة على أن الفكرة أتت معه عند رجوعه من الأندلس حيث مر من منطقة تامنسا التي كانت تحت سيطرة برغواطة[3]و بما أنه كان متيقنا من أن هذه الفرقة ضالة خارجة عن الإسلام لا يتم إصلاحها إلا باجتثاثها عن طريق غزو مسلح لكنه خلال عودته أيضا اهتم بقبائل الغزو المسلمة المجاورة لهذه الفرقة و هو استفسار اعتبره بعض

1- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص: 78.

2- سورة البقرة ، الآية : 151.

3 حماه الله ولد سالم ،تاريخ بلاد شنكيطي (موريطانيا) ، المرجع السابق ص : 51 .

الاخباريين من باب الإلهام، فعند مروره ببلاد المصامدة كان حوارا بينهم و جملة من الأسئلة تهدف إلى بعث فكرة ضرورة رص الصفوف اتباعا لأوامر الشرع القويم و لم يكن سؤاله في اعتقادي عن الإسلام القصد منه الاستعلام و إنما كان تدرج منه للوصول إلى فكرة ضرورة وجود سلطة قيادية و زعامة سياسية يكون قائدها داعية و إمام طبقا للشرع " غير أنه لم يكن يعلم أن المجموعة المصمودية كانت تعيش تناميا عميقا للنزعة الإقليمية. جعل كل فئات المجموعة ترفض الإنقياد للطاعة"[1]. و هذا ما نعتبره التعصب للدم أو التعصب القبلي بالرغم من وجود الشخصية المناسبة و الفكرة المعتدلة الصادقة و هذا ما يفسره رد أحد المشايخ " و لا يرضى أحد هنا أن ينقاد إلى حكم أحد من غير قبيلته". و هذا الجواب دفع عبد الله بن ياسين إلى الرحيل لبلاد جزولة التي كانت حالتها القبلية " دار المرابطين" ليحل قرب شيخه وجاج ربما كان ينتظر فرصة مشروعه الذي بقي في ذهنه و كما ذكرنا آنفا فقد أحكم سيطرته على قبائل صنهاجة و وحدها ثم توجه بهذا الحلف لكسر شوكة برغواطة و القبائل الخارجة عن الملة مثل التي كانت تسيطر على جبل أدرار شمال موريطانيا الحالية، فبعد الغنيمة التي استولى عليها من المقتولين جعلها فيئا للمرابطين، و بعث بمال عظيم مما اجتمع عنده من الزكاة و الأعشار و الأخماس إلى طلبة المصامدة و قضاتها[2] و الرواية توضح بأن هؤلاء الطلبة و القضاة و الدعاة و العلماء المشار إليهم هم من المصامدة أو بلاد المصامدة على نحو أدق و ليسوا من قبيلة المصامدة حصرا، هذا إذا كان للإسم الأخير من دلالة خاصة، فهل ارسل ابن ياسين تلك الهدايا إلى المعنيين بوصفهم أطرافا في المشروع اي أنه اعتبرهم شركاء في أمر دعوة الحق؟

و كما أننا قد علمنا قبل هذا أن شيخ عبد الله بن ياسين وجاج من قبيلة لمطة و ليس مصموديا[3] بالإضافة أن الرابط الذي كان فيه تلاميذه الشيخ وجاج كانوا من مختلف

---

[1]- ابن عذارى المراكشي ، ج : 3 ، ص : 7 .

[2]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص: 13 .

[3]- لا تعني مصمودة قبيلا واحدا بل أن الحلف المصمودي يشمل مجموعة من القبائل يذكر منها ابن خلدون قبائل جبل الدرف: هنتاته و هرغة و وريكة. هذا إلى جانب قبائل برغواطة و غمارة أما عبد الواحد المراكشي فيضيف لمطة

القبائل حتى أن منهم الكثير من الصنهاجيين، بالإضافة أن هذا الفقيه كان على درجة عالية من التقوى و الورع حتى أن المصامدة كان يتبركون به و يدعونه للدعاء لهم و من خلال التعميم في الرواية و عدم التخصيص فقد كانت الأموال التي بعثت للمصامدة اجمالا و هي في اعتقادي دعوة غير مباشرة للدخول في دعوة عبد الله بن ياسين. " و من هنا تكون عملية توجيه الأموال المذكورة قد تمت بإرسالها إلى وجاج نفسه و إلى من حوله من طلبة القبائل الداخلة في الحلف المصمودي إضافة إلى أنهم زملاء ابن ياسين في رباط السوس قبل دعوته[1].

و عندما توجه أبي بكر بن عمر إلى سلجماسة في إطار اخضاع القبائل توجه عبد الله بن ياسين إلى القبائل التي حاورها قبل عن الإسلام وردت دعوته بدافع العصبية فقد كان هذا القبيل جزءا من الحلف المصمودي. وقد جدد دعوته خلال هذه المرة للالتحاق بدعوته و ترك الحروب التي بينهم.

و كان الفرق هنا أن مشروع عبد الله بن ياسين الآن ملموس و جند صنهاجة تزأر وراءه و قد وضح لهم مزايا دعوته و ورع قادتها فقبلوا به[2]. و هذا دلالة على انضمامهم لحلفه و هكذا استطاع ابن ياسين أن يصل إلى انجاز مشروعه الذي تبلور في ذهنه و هو توحيد المغرب ووضع قبائل تحت حلف واحد شامل يعمل بمبادئ الشريعة الإسلامية .

التوجه نحو المغرب:

سادت المغرب الأقصى أواخر القرن الرابع الهجري فوضى في الأفكار و العقيدة حيث ظهرت فيه دعوات كفرية و أخرى بدعية منحرفة عن الإسلام حتى أن البعض منها استطاع تكوين كيان سياسي فكان الأمر أشبه بالمحنة السياسية و الدينية و كان علماء و

و هزميرة و هزركه و هيلاته و قد ساعدت هذه القبائل في بناء و وضع أسس مدينة مراكش. محمد القبلين حول مضمرات " التشوف.." ضمن التاريخ و أدب المناقب، دار عكاظ، 1987، ص: 66.

[1]– عبد الواحد المراكشي، المعجم في تلخيص أخبار المغرب ، مطبعة بريل ، ليدن 1881 ، ص :483 .

[2]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج3 ص: 17. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص: 36.

فقهاء المرابطين على علم بذلك فعزموا على القضاء على تلك الانحرافات و التجاوزات العقدية و الجهل و الإنحراف و الظلم و الجور كما صمموا على قطع دابر الخوارج و المعتزلة و الروافض و إزالتهم من الوجود حيث كان الهدف الأسمى للمرابطين توحيد المغرب على المنهج السني المالكي[1].

و لما ذاع صيت المرابطين و اشتهر أمرهم كاتبهم علماء سلجماسة و علماء درعة سنة 447 هـ/1055 م يحثوهم لإنقاذهم من ظلم حكام الزناتيينكمغراوة و أميرهم مسعود بن وانودين الزناتي فلبى ابن ياسين طلبهم و خرج إليهم سنة 447 هـ/1055م إلى بلاد درعة و خاض معارك ضارية مع المغراويين أدت في النهاية إلى انتصارهم و مقتل مسعود فتمكن عبد الله بن ياسين من دخول سلجماسة و رتب أمورها و وضع عليها حامية مرابطية حتى تأمن شر الزناتيين و بعد أن بلغه وفاة يحيى عاد إلى الصحراء[2].

و قد ولى عبد الله بن ياسين مكان يحيى الذي كان قد أخضع قسما من بلاد السودان أخاه ابا بكر بن عمر اللمتوني في سنة 448 هـ/ 1056 م.

والذي بدوره أخضع كل من بلاد سوس و المصامدة و أغمات كما قضوا على أصحاب الأفكار المنحرفة و العقائدة مثل اليهود و الوثنيين و أعادوا أهل هذه المناطق إلى أهل السنة و الجماعة ثم اتجهوا بعد ذلك نحو برغواطة التي كانت تدين بدين المجوس و الكفر فدارت بينهم حروب عظيمة استشهد فيها عبد الله بن ياسين بعد إصابته بجروح بليغة حمل على إثرها على معسكر المرابطين و فارق الحياة فيها سنة 451 هـ/1059 م بعد أن جاهد و دعا و كافح في سبيل الله مدة اثنين و عشرين سنة[3].

---

[1]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص :42.

[2]- علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص ص :181،182.

[3]- ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص: 84.

* أعظم ما يلفت في هذه الشخصية أنها كانت مخلصة لله لم يغوي عبد الله ابن ياسين الانتصارات التي حققها و لا المال الذي كان بين يديه حيث وضعه في بيت مال المسلمين و كان المؤسس له ، لم يغتر بمنصبه و لا رئاسته، فعلا كانت الشخصية و الزعامة السياسية الصادقة وهذا ما كان ينقص باقي الزعامات السياسية السابقة فقد اجتمع فيه العلم

لكن ما سبب طول هذه المعارك مع البرغواطيين ألم يكن للمرابطين حلف متين وقوة كافية من الجيوش لردع كل من خالف مذهبهم السني ؟ ألم يكن هذا الجيش منظما و مدعما بعقيدة قوية ؟

برغواطة: هم من القبائل الرعاة أو أنصاف المستقرين وجهتهم تعد جهة الانفتاح القبلي بالرغم من إطلالهم على المحيط الأطلسي و كانت إمارة من إمارات الخوارج التي تفوت على طريق الأحلاف القبلية تختلف في طبيعتها بين أحلاف الدفاع و أحلاف الهجوم عبرت عليها بعض المصادر بمصطلح الدولة القبلية و كانت وراء نموها و وجودها الطرق التجارية بالإضافة إلى مساحة الأراضي الشاسعة للرعي و الزراعة و أهم ما ميز هذه القبيلة هي قوتها الحربية فالبكري[1] كان من بين أهم الجغرافيين الذين ووصفوا القوة البرغواطيةفيذكر عنهم مايلي:

1- الأتباع المقربون أو الحرس البرغواطي- 3200 فارس.
2- قبائل التحالف بلغ عددها 10000 فارس.
3- قوة القبائل التابعة لبرغواطة= 12000 فارس.

فكان مجموع القوة عموما أكثر من 25 ألف فارس. و كانت جل القبائل التي ناصرت برغوطة قد انتمت في الماضي إلى زناتة و صنهاجة مثل بني دمر، بني يفرن، و زواغة و مطماطة و غيرها .

و كانت هذه القبائل قبائل داخلة في الحلف و قبائل منظمة مناصرة، و كان هؤلاء يكونون القاعدة الحربية للحلف القبلي، و هذا ما جعل الحلف الصنهاجي يبذل جهدا أكبر

و القوة و الصدق و الدعوة و العمل و الأكثر من ذلك التميز في التنظيم و تسيير جحافل هذه القبائل التي كانت متناحرة فيما بينها حيث تمكن من توحيدها و استغلال نفوذها و قوتها بالمنطقة بنشر المذهب السني المالكي المعتدل رحمك الله و أسكنك فسيح جنانه و كأنك تلائمت مع صلاح الدين الأيوبي الذي دفع بخطر الشيعة و أزالهم و أزال الشرك عن بيت المقدس فكانت جهودكما أنقذت الشام و مصر و المغرب من فوضى الفكر و ظلم الشرك و المستعمر.

[1] البكري ،المصدر السابق ، ص : 141

في تحقيق النصر على هذه الفئة فهي جموع من القبائل المتحالفة حيث كونه لا يضاهي في قوته قوة الدولة فتطلب مزيدا من التضحيات من طرف صنهاجة الجنوب و أحلافها.[1]

و بعد وفاة عبد ابن ياسين اجتمع أشياخ و علماء المرابطين و اتفقوا على تنصيب و مبايعة الأمير أبا بكر بن عمر للرياسة و استمر هذا الأخير في اخضاعه للقبائل المتمردة مثل زناتة مكناسة و برغواطة و لواته و كان ذلك سنة 452 هـ/1060م و بعدها اتخذ آغمات قاعدة عسكرية له[2].

ثم نازل أبو بكر مدينة لواته و افتتحها عنوة و قتل من كان بها من زناتة سنة 452 هـ/1060م و بلغه الخلاف الذي حدث بين لموته و مسوفة ببلاد الصحراء و كان ذهابه إلزاما لأن منهم المدد و خلافهم يعني تشتت الحلف وانكسار الدعوة و تراجع المشروع التوحيدي الذي أسسه عبد الله بن ياسين فخشي افتراق الكلمة و انقطاع الوصلة و تلافي أمره بالرحلة و عين ابن عمه يوسف بن تاشفين على المغرب و قد كان ذكيا في استثمار الخلاف الذي حدث بين القبيلتين خاصة أنهما أصل أعيانهم و منبع عددهم فوجه طاقاتهم إلى فتح بلاد السودان فاستولى على تسعين مرحلة من بلادهم[3]. و قد أشارت الباحثة "دندش" لذلك الصراع بما يلي:

" و امتد الخلل إلى الصحراء، فانبثقت الحزازات القبلية فيها و التي كان المرابطون قد أضعفوها. فانتهزت قبائل الملثمين هذه الفرصة إذ رفضت قبيلة مسوفة العمل تحت راية و رئاسة أي زعيم من قبيلة لمتونه، فكان ذلك التمرد القبلي بمثابة كارثة تهدد الدولة المرابطية في الجنوب باعتبار أن مسوفة و لمتونه تشكلان العمود الفقري للجيوش المرابطية. و هو ما يعد قوة المرابطين حتى في الشمال باعتبار أن الامدادات بالجند

---

[1] هاشم العلوي القاسمي ، مجتمع المغرب الاقصى ، ص: 167 ، 169 .

[2]– ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس ، ص: 84.

[3]– حماه الله ولد سالم، تاريخ بلاد شنكيملي (موريتانيا) من العصور القديمة إلى حرب شرببه الكبرى بين أولاد الناصر و دولة أبروكلاللمتونية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة الطبع 2010.

منهما ستتوقف"[1]. و انتهزت الفرصة أيضا قبيلة جدالة التي كانت دائمة التمرد منذ بداية حركة المرابطين، فكلما أحست بانشغال المرابطين في جبهة من الجبهات حاولت الانقضاض على القبائل الملثمة الأخرى.

و انتهزت بلاد السودان أيضا ذلك الخلاف بين القبائل الأساسية في الدولة التي أعلنت استقلالها، فاستقلت مملكة غانا و أصبح ملكها يخطب لنفسه تحت طاعة أمير المسلمين العباسي ببغداد[2].

و لما تولى القائد يوسف بن تاشفين القيادة نجح في تأسيس دولة المرابطين التي وضع أسسها الأولى عبد ابن ياسين فبلغت أقصى توسعاتها حتى ضمت الأندلس إليها في التوسع الثاني لدعوة المرابطين و كان ذلك بعد هزيمة الإسبان و ملكهم ألفونس في معركة الزلاقة الخالدة سنة 479 هـ / 1086 م. و بعد ضم دويلات اللوك الطوائف[3] ولى إبنه أبي الحسن علي عليهم كما أوصاه بأن يحسن إليهم و يتجاوز عن زلاتهم[4].

خ- الحلف الثلاثي (بنوغانية- قراقوش- العرب) و دوره السياسي و العسكري في صحراء المغرب الإسلامي

ينتمي بنوغانية إلى قبيلة مسوفة البربرية و التي كان لها دور فعال في دولة المرابطين كما ربطتهم علاقة مصاهرة مع يوسف بن تاشفين (لمتونة) بواسطة امرأة اسمها غانية، فكان ثمرة الزواج ولدين هما محمد و يحيى، حيث كانا تحت رعاية يوسف

---

[1]- عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام ، المرجع السابق ، ص : 101.

[2]- الإدريسي الشريف، المصدر السابق ،ص : 6، عبد اللطيف دندش نفس المرجع السابق.

[3]- لم يضم يوسف بن تاشفين الأندلس إلا بعد فتوى من العلماء منهم أبو بكر الطرطوشي الذي أفتاه و كذلك أبو حامد الغزالي حيث شجعوه على إزاحة الأمراء الفاسدين و الخائنين خاصة بعد محالفتهم لألفونس حتى يتوحد المسلمين و ترجع الأندلس تابعة لبغداد. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر ، ج : 6 ، ص : 187

[4]- محمد القاضي، مقال بعنوان البرتغال الإسلامية، مجلة التسامح، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، سلطنة عمان، العدد 20 السنة 2007. ص: 23.

بن تاشفين[1]. و بعد وفاة أبوهما علي تزوجت أمهم مرة أخرى بالقائد المرابطي محمد بن الجاج اللمتوني، حيث انتقل الأخوان إلى العيش في كنف زوج أمهما بالأندلس، و لحسن خلق يحيى و شجاعته وليّ بلنسية و قد مدحه عبد الواحد المراكشي قائلا: " حسنة من حسنات الدهر...عالم...شجاع...دفع الله به مكاره كثيرة عن المسلمين في الأندلس"[2]. أما أخوه محمد فعقد له على الجزائر الشرقية ميورقة و منورقة و يابسة، سنة عشرين و خمسمائة، و انقرض بعد ذلك أمر المرابطين.

و نشأ صراع على السلطة بين الأبناء و الأحفاد و زاد ضغط الموحدين عليهم حتى تحينوا الفرصة التي واتتهم لاسترجاع مجد المرابطين و كانت بجاية الثغرة التي جاز منها و كان لهم بها وقائع نجحوا من خلالها بسط نفوذهم على بجاية و ضواحيها لكنهم تراجعوا فيما بعد ذلك لأن الموحدين جندوا لهم الجند و العتاد و استمالوا أهالي القرى و المدن و عهدوا إليهم بالأمان فتقلب السكان على بنو غانية و أعوانهم[3] فانسحبوا إلى القفار و أدركوا أن بجاية تكمن قوتها في ساحلها الذي يسّر للموحدين الوصول إليها بحرا، فتوغل بنوغانية جنوبا نحو بلاد الجريد، حتى وصلوا قسطيلية فانضم إليهم العديد من القبائل العربية و تحالفوا معهم.

---

[1]ينتسب يوسف بن تاشفين إلى قبيلة لمتونة أحد فروع صنهاجة و قد ذكر ابن أبي زرع الفاسي نسبه قائلا: " يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن ترقوت بن ورتانطق بن منصور بن مصالة بن أمية بن واتملي بن تليت الحميري الصنهاجي من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير.

أمه حرة لمتونية بنت عم أبيه اسمها فاطمة بنت سير بن يحيى بن وجاج بن ورتانطق المذكور". علي ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب ، ص: 136. و يذكر في شأن يوسف أيضا عن أخلاقه و صفاته الخلقية و الخلقية " فطلع بطلا شجاعا شهما عادلا مهيبا كثير العفو، مقربا للعلماء، و كان أسمر نحيفا خفيف اللحية، دقيق الصوت، سائسا، حازما". شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط 11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417 هـ-1996م، ج19، ص: 253،255.

[2]عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص: 189.

[3]عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص: 2472

و من الذين تحالفوا مع بني غانية أيضا رجل سيكون له معه و مع أخيه يحيى بن غانية فيما بعد، تاريخ طويل و هو شرف الدين قرقوش الغزي الأرمني ملوك الملك المظفر تقي الدين شاهنشاه آخر السلطان صلاح الدين الأيوبي.

استباق قراقوش في محالفة العرب:

كانت فكرة دخول قراقوش للمغرب من طرف صلاح الدين الأيوبي الذي خشي عادية نور الدين زنكي[1] و قد تهيأ للفرار في حال الخطر حيث مهد طريقه بإرسال تابعه قراقوش إلى المغرب ليحتل بعض أراضيه، و كان أول من عهد إليه صلاح الدين بتنفيذ المهمة هو تقي الدين عمر بن شاهنشاه أخو صلاح الدين، فسار نحو المغرب إلى أنه فشل في مشروعه لصعوبات واجهته، و ناب عنه اثنين هما شرف الدين قراقوش الأرمني مملوك تقي الدين و ابراهيم بن فراتكين مملوك المعظم شمس الدولة ابن أيوب أخ صلاح الدين و سار قراقوش إلى المغرب و افتتح العديد من المدن كان أبرزها زويلة[2]، و سنترية[3]، و أوجلة[4]، و فزان و غيرها و قد دفع لهم بعض حكام هذه المناطق الكثير من الأموال مقابل حمايتهم من العرب و بعد كل هذه الانتصارات قوي أمر قراقوش و ذاع

[1]نوردين زنكي (511 هـ/1118 م) توفي عام 11 من شوال 569 هـ/15 مايو 1174م أسس أبوه دولة في الموصل ضمت جزيرة الفرات و حلب، و عند وفاته اقتسم مملكته ابناه سيف الدين و نور الدين الذي استولى على حلب و اشتهر بمحاربته للصليبيين كما هزم جيوش الحملة الصليبية الثالثة لدى محاولتها الاستيلاء على دمشق سنة 1148م، و استولى على العديد من معاقل الصليبيين و أهمها قلعة حارم بين حلب و أنطاكية، أرسل جيوشه إلى مصر بقيادة شيركوه، فضمها إلى مملكته. حسين مؤنس نور الدين زنكي، فجر الحروب الصليبية، الزهراء، دار السعودية للنشر و التوزيع، الطبعة الثانية، 1984، جدة، السعودية، القائد المجاهد نور الدين زنكي، شخصيته و عصره، علي محمد الصلابي، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، الطبعة الأولى، 1428 هـ/2007م، القاهرة، مصر، ص: 26،50.

[2]سنتريه قال عنها الإدريسي مدينة كثيرة العيون و الثمار و الحصون أهلها بربر لا عرب فيهم، و تسير من سنتريه طرق شتى إلى أودية الواحات، الإدريسي، المصدر السابق، ص: 24.

[3]زويلة قال عنها البكري مدينة غير مسورة في وسط الصحراء و هي أول حد بلاد السودان و بها جامع و حمام و أسواق و يجتمع بها الرفاق من جهة منها و يفترق قاصدهم و تتشعب طرقهم و بها نخيل و بسائط للزرع تسقى منها الإبل. البكري، المصدر السابق، ص: 10.

[4] أوجلة قال عنها البكري مدينة عامرة كثيرة النخل و أوجلة اسم ناحية و اسم المدينة ارزاقية و أوجلة قرى كثيرة فيها نخل و شجر كثيرة و فواكه و بمدينتها مساجد و أسواق- البكري نفس المصدر، ص: 12.

صيته بين العرب المنتظرة لأي فرصة نهب و سلب و سطو حيث اجتمعت عليه عرب بني سليم و عرب ذياب يعرضون عليه خدماتهم طمعا في الغنيمة طبعا فضمهم إلى جنده و توسع حلفه و نفوذه فسار أولا غلى جبل نفوسة و طرابلس و استولى عليهما[1].

انضمام بنوغانية إلى الحلف:

بعد أن يأس بنوغانية من السيطرة على بجاية و ضواحيها تراجعوا نحو المناطق الصحراوية لبعدها عن مركز الدولة الموحدية و قد كان ضمن خطط ابن غانية أن يستعين بالأعراب في حروبه و قد انزعج لما سمع أنهم تحالفوا مع قراقوش و ظن أنه سيستحوذ عليهم دونه لكنه صمم على هدفه و هو القضاء على دولة الموحدين، فأرسل إلى قراقوش " إننا قوم من بني العباس و نريد دولتهم و أن نكون و إياكم مجتمعين". فتحالفا و معهما القبائل العربية و التي بدورها كانت رافضة للخضوع الموحدي و شرعوا يحتلون مدن افريقيا الهامة واحدة تلو الأخرى، فساروا أولا إلى الحامة قرب قابس[2] فحاصروها و دخلوها عنوة و قتلوا نحو ألف و سبعمائة رجل من أهلها ثم توجهوا إلى قابس و افتتحوها و جعل قراقوش فيها كل ذخائره، و سار ابن غانية إلى توزر[3]، ففتحها بمساعدة قراقوش و تقرر بعد ذلك أن ما فتح من البلاد هو مناصفة بين ابن غانية و قراقوش[4].

على أن يكون لهذا الأخير الجنوب الشرقي إلى طرابلس، و لعلي بن غانية المنطقة المحيطة بشط الجريد و التي اتخذها منطلقا للسيطرة على كافة افريقيا.

---

[1]ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص: 230.

[2]قابس قال عنها البكري: مدينة جليلة مسورة بالصخر من بنيان الأول ذات حصن حصين و أرباد و أسواق و فنادق و جامع و حمامات كثيرة و قد أحاط بها خندق كبير و لها ثلاثة أبواب و بشقيها و قبليها أرباض و يسكنها العرب و الأفارقة و ساحل مدينة قابس مرفأ للسفن من كل مكان و حوالي قابس قبائل من البربر، لماية و لواتة و نفوسة و مراتة و زواوة. البكري، المصدر السابق، ص: 18.

[3]توزر قال عنها الإدريسي: لها سور حصين و بها نخل كثير جدا و ثمرها كثير يعم بلاد افريقية و بها الأترج الحسن الطيب، و بقولها تتميز بالكثرة و الجود، أما مائها غير طيب و لا مر و سعر الطعام بها في أكثر الأوقات غالي لأنه يجلب إليها الزروع و الحنطة و الشعير. الإدريسي، المصدر السابق، ص: 105.

[4] التيجاني، الرحلة، ص: 103.

لكن استقرارهم هذا لم يدم طويلا ففي سنة 584 هـ هزم يحيى من طرف المنصور الخليفة الموحدي حيث تراجع جنوبا لكنه عاود السيطرة على بلاد الجريد إلا أنه هلك في بعض حروبها مع أهل نفزاوة سنة أربع و ثمانين و خمسمائة بسهم أصابه فتولى آخره يحي الحلف و المواجهة[1].

دور القبائل العربية في حلف بنوغانية :

لقد كان الصراع بين العرب و الموحدين على أشده منذ الوهلة التي وطأ فيها الموحدون افريقيا و أن هذا الصراع بلغ في بعض معارك طاحنة كما في معركة سطيف التي دامت يوما و ليلة ما يبعث تفسيرا واضحا كيف لابن غانية أن لاقى ذلك التأييد و النصر من الأعراب.

معركة عمرة :

دامت هذه المعركة في مكان يعرف بعمرة[2] في 15 ربيع الأول سنة 583 هـ/25 ماي 1187[3]. في حين يروي ابن عذارى أنها وقعت في منتصف ربيع الآخر من نفس السنة 9 جويلية 1187م و يوضح كل من ابن خلدون و ابن عذارى الحلف مع بنوغانية من خلال مشاركة العرب في هذه المعركة و ذلك لما جهز المنصور جيشا قوامه ستة آلاف جندي و جعل عليه يعقوب بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن و معه عمر بن أبي زيد و علي بن الربرتير غير أن هذا الجيش بدء يعاني منذ الوهلة الأولى من الانقسام[4]، إذ يروي ابن عذارى أن الجيش وصل إلى ميدان المعركة متعبا و أنه لما تراءت الفئتان تشتت الآراء و كثر التواكل و الالتواء فما إن تقدم الجناح الذي يقوده علي بن الربرتير إلى الهجوم حتى أمطرته سهام العرب فمزقته تمزيقا[5]. و اتبعت العرب و

---

[1]ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 193

[2]عمرة فحص بأحواز قفصة من بلاد الجريد في افريقية الحميري، الروض المعطار، ج2، ص: 213

[3]عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص: 194.

[4] – ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص: 228.

[5]ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص: 188. ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص: 228.

البربر جيش الموحدين يمثلونهم في كل مكان و من نجا من سيوف بني غانية أهلكه العطش في الصحراء[1].

معركة الحمة:

و كانت هذه المعركة انتقاما للفشل الذريع الذي مني به الموحدون في معركة عمرة فقد تكدرت نفس الخليفة و ساءت كثيرا حتى قرر أن يقود بنفسه هذه المعركة، و لما وصل الخليفة إلى قابس و أصبحوا على بعد فرسخين من الحمة سرح المنصور سرية إلى منازل العرب المتحالفين مع ابن غانية فاكتسحوا ديارهم و نكلوا بهم عقاب لهم و تخويفا لكل المتحالفين مع ابن غانية[2].

لكن بداية من سنة 586، انحل التحالف بين قراقوش و بني غانية و ذلك بعد إعلان قراقوش ولاءه للموحدين و دخل الطرفان منذئذ في صراع في مناطق النفوذ و كانت نفزاوة من بين مجالات ذلك الصراع، إذ حاصر يحيى بن غانية ياقوت نائب قراقوش في طرة حتى أخذه و أخذ من الغز الذين كانوا معه مئة فارس أضافهم إلى جنده و كان من نتائج ذلك الانتصار بنفزاوة أن التفت عليه العربان و تمكن من الاستيلاء على بلاد الجريد و افريقيا عموما[3]، لكن لم يدم ذلك طويلا إذ ختم بانتكاسة بسبب إصرار الموحدين على استرجاع المنطقة.

و يذكر ابن النخيل أنه " ترك طرة خاوية على عروشها و خرج من سلم من أهلها فتفرقوا في بلاد نفزاوة"[4].

إن تراجع ابن غانية إلى نفزاوة حتّمه موقعها المحمي طبيعيا و لكن خاصة ما تتوفر عليه من تموين لجيشه.

---

[1]المراكشي، المصدر السابق، ص: 194

[2]محمود مقيديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار، تحقيق علي الزراري و محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1988ن بيروت، لبنان، ص: 502.

[3]ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص: 193.

[4]ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 193.

و قد اختلف المؤرخون حول مصير علي بن غانية بعد هذه المعركة، ففي حين يذكر المراكشي أن علي بن غانية فر من معركة الحمة مثخنا بالجراح، فلجأ إلى خيمة عجوز أعرابية في الصحراء و مات عندها، يذكر ابن خلدون أن علي بن غانية أصابه سهم غريب (مجهول المصدر) في بعض حروبه مع أهل نفزاوة 584 هـ/1188م كان فيه هلاكه فدفن هناك[1].

[1]ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 229. المراكشي، نفس المصدر، ص: 194.

الفصل الرابع

الأبعاد الاقتصادية و الاجتماعية للتحالفات القبلية

أ- دوراقتصادالكفاف والندرة في إنتاج الأحلاف

ب- دورالجوائح والأوبئة في ضعف الاقتصاد وإنتاج الأحلاف :

1 – الجفاف .

2 – الجراد.

3 – الحروب.

ت- التعسف الضريبي ودوره في إنتاج الأحلاف القبلية .

ث- التنافس القبلي حول السيطرةعلى المحطات التجارية وتأمين الطرق الصحراوية.

ج- البعد الاجتماعي للأحلاف القبلية .

أ- دور اقتصاد الكفاف و الندرة في إنتاج الأحلاف:

إن القبيلة المغربية خلال هذه الفترة ظلت في تبعية شبه تامة للوسط الطبيعي و الظروف المناخية، مما أبقى إنتاجيتها في حدود الضروري الممكن و عند مستويات معينة من الإنتاج و أفضى ذلك إلى غلبة العوز و الفقر على الكثرة و الوفرة في صفوف البدويين فكان من الطبيعي أن تتولد ظواهر اجتماعية هي في الحقيقة بمثابة ردود أفعال طبيعية لمواجهة هذا الواقع و مجاراته و منها ظاهرة الحلف القبلي، خاصة و أن الأساس الذي ارتكزت عليه القبيلة أساس غير مستقر و معرض للأزمات كل حين[1].

إن غياب الاستقرار و اهتزاز اقتصاد القبيلة يحتم على أفرادها السعي إلى الحفاظ على أعلى درجات التضامن فيما بينهم فتعاونهم شرط أساسي لبقائهم و يمتد هذا التعاون من الإنتاج حيث تسود الأعمال الجماعية و تعاون الأفراد الإلزامي مثلا في حرث الأرض أو جمع المحصول أو كنس السواقي و غيرها إلى الحلف العصبي لدرء أي خطر خارجي قادم لا يعدوا أن يكون قبيلة دفعتها الشروط نفسها أو أقسى منها إلى توجيه أنظارها إلى ما يملكه غيرها[2].

فمن الطبيعي أن تكون الظروف المعيشية القاسية التي مست هؤلاء قد انعكست آثارها على طباعهم و أخلاقهم و أنماط سلوكهم و قدم عابد الجابري وصفا للظاهرة قائلا " إن جدب الأرض و خلوها من الأرزاق جعلهم يمدون أيديهم إلى ما بأيدي الناس، يسلبونهم أموالهم و متاعهم و لا يجدون في ذلك منكرا و لا ظلما"[3].

و يضيف نفس الباحث أن العمل في انحراف أخلاقهم و عادتهم و سلوكهم الاجتماعي هو " العامل الطبيعي بمعناه الواسع"[4].لذا تنعت المصادر قبائل زناتة الموطنين بالقفر بأنهم "آخذون شعائر العرب في سكن الخيام و اتخاذ الإبل و ركوب

---

[1] حميد تيتاو: الحرب و المجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية و العلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، 2009، ص: 107،108.

[2] حميد تيتاو، نفس المرجع، ص: 106.

[3] عابد الجابري، العصبية و الدولة، المرجع السابق، ص ص: 148، 150

[4] نفس المرجع، ص: 149.

الخيل و التغلب في الأرض و إيلاف الرحلتين، و تخطف الناس من العمران"[1]. و " ابتغاؤهم الرزق من تحين السائلة و في ظل الرماح المشرعة"[2].

و قد ظلت جل قبائل زناتة و غيرها من أهل الصحراء من صنف الناس الذين جعلوا " أرزاقهم في ظلال رماحهم و معاشهم فيما بأيدي غيرهم و من دافعهم من متاعه آذنوه بالحرب"[3].

و قد تجلت هذه الظاهرة في المناطق القليلة الخصب مثل المناطق الشبه الصحراوية و الصحراوية التي تحول دون قيام زراعة قوية حيث تضطر القبيلة دوما إلى التنقل بحثا عن الماء و المرعى فقد كانت قبائل بني مرين مثلا تتنقل في " مجالات الفقر من فكيك إلى سجلماسة إلى ملوية و ربما في ظعنهم إلى بلاد الزاب"[4]، ينتقلون في تلك البراري و القفار من مرعى إلى آخر " و كانت طائفة منهم يدخلون بلاد المغرب في زمن الصيف يكتالون ميرتهم و يرعون أنعامهم فإن توسط الخريف اجتمعوا ببلاد كرسيف ثم شدوا رحالهم و انصرفوا إلى بلادهم"[5].

و كما ذكرنا سابقا عن هذا المجال أنه كانت ترتاده قبائل بني عبد الواد و قبائل زناتية أخرى توضح لنا سبب ما " كان بين بني عبد الواد و بني مرين منذ أوليتهم و تقلبهم في القفار، فتن و حروب، لكل منهما أحلاف في المناصرة و أشياع"[6]. و يبدو أن قرار خوض الحرب بالنسبة إليهم كما لو كان مما لقرار تغير المرعى لقحولته وجدبه أو للحظة بداية تتبع خط النجعة،كما تبدو الحرب أمرا لا بد منه لحفظ البقاء خاصة في سنوات القحط و المجاعة.

---

[1] الناصري، الاستقصاء، ج3، ص: 3. ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 03.

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 81.

[3] ابن خلدون، المقدمة، المرجع السابق، ص: 211.

[4] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص: 282.

[5] الناصري، الاستقصاء، ج3، ص: 05.

[6] ابن خلدون، العبر ج6، ص 397.

ب-دور الجوانح و الأوبئة في ضعف الاقتصاد و انتاج الأحلاف

1- الجفاف:

تحكم المناخ في تحركات القبائل خاصة البدوية منها، فكان إذا أقبل الصيف اشتد الجفاف في الجهات الهضابية أو شبه الصحراوية و يجف العشب و يقل الماء فلا تجد القبيلة بدا من التوجه نحو الشمال حيث يطيب المرعى لمواشيهم، و يتوفر المطر و تسهل الحياة[1].

و مع ذلك فقد أشارت بعض المصادر ما يشير أن المغرب تعرض لفترات من الجفاف و القحط بسبب انقطاع المطر[2] و قد عمت موجة جفاف أكثر من مرة، و هذا ما يفهم من الإشارة التي أوردها " ابن الزيات" في ترجمته للولي الصالح أبو جبل يعلى المتوفى سنة(503 هـ/1109م) حيث يقول: " و قحط الناس في بعض الأعوام، فبعثوا إليه رجلا عسا أن يدعوا لهم بماء المطر "[3].

و قد شكلت سنوات القحط و الجفاف التي ضربت المنطقة خلال القرنين 4 و 5 هـ/ 10-11 م خطرا كبيرا على الأهالي حيث تقل الأغذية و يهلك الناس لأن موارد الإنسان المغربي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأرض من زرع و ماشية، و في ظروف المجاعة و القحط تقل الزراعة الرئيسية من قمح و شعير و يصبح الاعتماد على ما يعلف للحيوانات و كثيرا ما تكون فاسدة[4].

وعموما فيما يتعلق بالأمطار من الناحية الجنوبية نادرة جدا إذ لم نقل منعدمة فقد كانت القبائل في الصحراء تقاسي الجدب والقحط وكثيرا ما كانت تلجأ إلى تكوين أحلاف

---

[1]مصطفى أبو ضيق، المرجع السابق، ص: 240

[2]أمين توفيق الطيبين دراسات و بحوث في تاريخ المغرب و الأندلس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1989م، ص: 189

[3]ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد توفيق مدني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 2010، ص: 85.

[4] نوال بلمداني، نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (4-5 هـ /10-10 م) أطروحة دكتوراه قسم التاريخ و علم الآثار، جامعة وهران، 2013-2014م

فيما بينها [1] نظرا لصعوبة العيش في هذه البيئة القاسية التي تتعدى درجة الحرارة فيها 50 نهارا[2]

2- الجراد:

يعد الجراد من أخطر الكوارث الطبيعية التي تحل بالبلاد نظرا لأنه يأتي على الأخضر و اليابس و كثيرا ما يسبب أضرارا للزراعة عموما فينتج عن هذا الضرر قلة المنتج و بالتالي ارتفاع الأسعار و غلاء المعيشة، و قد ذكر علماء الزراعة و الأغذية أن أخطر أنواع الجراد هو الجراد الصحراوي الذي ينتشر أفقيا من الهند إلى المغرب و عموديا من سواحل البحر المتوسط إلى خط الاستواء و غالبا ما ينتشر في شمال افريقيا خلال فصل الربيع، و في إحدى رسائل الأمير علي بن يوسف (500-537 هـ /1106-1143 م) يصف الدمار و الخراب الذي يخلفه الجراد فيقول: " إن الجراد داء عضال و إن كما يقال –من البحر نشره– فإنما هو جمرة تحرق البلاد و تجيع العباد و شأنها الفساد... ينزل بالوادي قد امتلأ عشبا و طلعت أزهاره شهبا... فيتركه جمرة سوداء لا يجد فيها .... الضب عرادا و لا النبت أراكا و لا قتادا"[3].

و قد داهم الجراد بلاد المغرب في القرن السادس فأتى على المحاصيل بجميع أنواعها فارتفع سعر القمح و مختلف المواد الغذائية و تكرر قدومه في نفس الحقبة الزمنية فعمت المجاعة بسببه البلاد و انعدمت الدقرات و نقصت الغلاّة و قل مردود الأرض و ذهب الإنتاج فتضرر الإنسان ، و قد وصف ابن الخطيب هذه الجائحة بقوله: " عظم الجفاف و عصفت الريح الرجف تنقل الهضب قبل ارتداد الطرف و تبيد أعيان الأرض و تعاجل حلاق لهم النبت فصيرت وجه الأرض كمطارح خبث الحديد أما مضارب البيد يبسا و قحلا و عقرا للأرجل و عصيانا على السنابك فأحرقت ما كان قد نجم من باكر

---

[1] أحمد مختار العبادي دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص :246 .

[2] سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، ص : 46 ، 48 .

[3] الحميري، الروض المعطار، ص: 512.

البذر و نشط النبات و دامت و دامت فاستأصلت الأوراق من الشجر الدهي الذي لا يسقط و دامت حتى نشفت البشرات و أثنيت الجلود"[1].

و قد انعكست هذه الكارثة على الجانب الاقتصادي فقد قل الزرع و ندر الإنتاج و غاب الغذاء فأدى ذلك إلى ما يسمى باقتصاد الكفاف و الندرة.

3- الحروب:

تبدو الحرب تنافسا بين الجماعات من أجل امتلاك الخيرات المادية و هذا ما يعبر عنه مقولة " اقتصاد الندرة" و " اقتصاد الكفاف"، حيث يقوم الاقتصاد على الضروري الذي يسمح للبدويين بالبقاء على قيد الحياة و الموارد هي من الندرة بحيث لا تكفي الجميع، و من هنا كان لجوء الجماعات إلى التنافس من أجل الحصول عليها مما يفضي إلى الصراع الحربي.

و يربط البعض الاتجاه الاقتصادي لصراعات القبلية المسلحة ايكولوجية محضة للنزوع نحو الخصب ثم بعنصر الجوع حيث تصبح الحرب وسيلة بدائية لرد غائلته[2] .

و تعد الحرب في نظر أحد الباحثين في مقدمة الجوانح و السبب هو تكرارها مرارا ما يجعلها شبه دائمة بالإضافة إلى شساعة المناطق المتضررة من نتائجها فإذا كانت الكوارث تزول بعد مدة تطول أو تقصر فإن الحرب كانت دائمة سواء في الداخل لقمع المتمردين و الثائرين أو في الخارج[3].

شكلت الحروب و الفتن سمة أساسية من سمات العصر الوسيط إذ لا تكاد الحروب تنتهي حتى تتصاعد من جديد مخلفة وراءها الخراب و الدمار و الجوع، و قد بلغت الصراعات القبلية ذروتها في القرن الرابع هجري حتى أنه نعت بعصر العواصف.

---

[1] الخطيب لسان الدين، الإحاطة بأخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، ص: 40.

[2] حميد تيتاو، الحرب و المجتمع بالمغرب خلال العصر المريني المرجع السابق

[3] حسين بولقطيب، الحياة الإقتصادية للحلف القبلي المصمودي في القرنيين الخامس والسادس الهجريين ، مجلة الإجتهاد العدد : 18 ، 1993 م ،. ص: 87

ت- التعسف الضريبي ودوره في إنتاج التحالفات القبلية

أ- المرحلة الفاطمية:

إن كبار دعاة المذهب الإسماعيلي حاولوا أن يوضحوا السياسة المالية وأسسها وقد حاول القاضي النعمان أن يحصرها في الفصل العاشر من كتاب " الهمة في آداب أتباع الأئمة " الذي تحدث فيه عن " ذكر مايجب للأئمة الصادقين أخذه من أموال المؤمنينوالمؤمنات "، مستهلا الحديث عن الصدقات، كأول مورد مالي في الإسلام، لتتبع باقي الموارد من غنيمة و غيرها مقتصرا على التعرض إلى الآراء التي ترى وجوب دفعها، و لو كان إلى إمام جائر، أو عالم ظالم[1].

انطلاقا من هذه الفكرة نلاحظ أن بلاد المغرب مثلت أحد المصادر المالية الهامة بالنسبة للخلافة الفاطمية خلال القرن (4 هـ/10م)، و استعملت شتى الوسائل لجمعها، حتى و إن جاء عبئها ثقيلا على الأفراد، و هذه السياسة تتضح من خلال شهادة ابن حوقل، حول الجباية الفاطمية التي كانت مطبقة في إفريقية قبل بضع سنوات من رحيل المعز لدين الله إلى القاهرة، هذا الجغرافي استقى مباشرة من الداعي أبي الحسن بن أبي علي، صاحب بيت مال أهل المغرب أنه " في سنة ست و ثلاثين و ثلاثمائة، دخل المغرب من جميع وجوه أمواله و سائر كوره و نواحيه و أصقاعه عن خراج عشر و صدقات و مراع و جوال و مراصد، و ما يؤخذ عما يرد من بلد الروم و الأندلس فيعثر على سواحل البحر، و ما يلزم الخارج من القيروان إلى مصر و يلزم ما يرد منها بقيمة العين و العين المجتبى من هذه الوجوه، فيكون من سبع مائة ألف دينار إلى ثمان مائة ألف دينار، قال: و لو بسطت يده فيه لبلغ ضعفه"[2].

كما أن بعض البيانات الواردة في سيرة جوذر تدعونا للاعتقاد بأن جمع الضرائب ومختلف الرسوم والمكوس كان يوفر لبيت المال موارد أهم من بكثير من المبلغ الذي قدره ابن حوقل. من ذلك مثلا أن إقليم الزاب الذي كان يتصرف في شؤونه جعفر بن حمدون

[1] تحقيق مصطفى غالب، مكتبة الهلال، بيروت، دون طبعة، 1985م، ص: 75 و ما بعدها

[2] فرحات الدشراوي ،الخلافة الفاطمية ، المرجع السابق ، ص : 490 . ابن حوقل ، صورة الأرض، ص: 94.

تصرفا مطلقا كما ذكرنا سابقا يمكن أن يوفر وحده للدولة سبعين ألف دينار في السنة وأكثر. أما إقليم طرابلس الذي عين على رأسه نصير الخادم ، بعدما شغل منصب خازن في المهدية ثم في المنصورية فإنه استطاع أن يوفر من المال في سنة واحدة ما سمح بتمويل الحملة العسكرية على مصر[1] .

وكل هذه المناطق أثقلت هذه الجباية ظهر قبائلها وانعكس ذلك بتحالفها لتواجه هذا الظلم والاستبداد من طرف الفاطميين . و الظاهر أن جباة الدولة قد حرصوا على تحصيل الأموال، حيث يكشف لنا الشمّاخي ذلك قائلا: " و خرج عامل الظلمة إلى قبيلته " و هم أهل مواشي، و قال: كلما بتّ، ضاعفت عليكم الطلب. فلم يكترثوا بقوله حماقة و خرقا، لا قدرة و لا عزا، فقال أبو محمد للعامل: امنعهم من أن يسرحوا مواشيهم حتى يعطوك، ففعل و فعلوا"[2]، و موقف هذا الشيخ فيه صلاح للقبيلة، لأن الساعي كان مصرا على جمع أموال بين المال الفاطمي، و النص أعلاه يؤكد ذلك، يضاف إلى ذلك، أنه كلما طال مكث الجابي بينهم إلا و زاد عليهم قيمة ما سيجمعه، الأمر الذي دفع بالشيخ للتدخل رأفة بحالهم، حتى العلماء تضرروا من الاستبداد الضريبي، منهم على سبيل المثال " أبو جعفر بن أحمد بن زياد" (ت 318 هـ/930م) الذي " امتحن في آخر عمره بمغارم السلطان الحادثة على أهل الضياع فانكشف و أكب عليه الغرم"[3].

بعد مضي بعض سنوات على تأسيس الخلافة بدأ بتجهيز الحملات العسكرية على المشرق وقد استلزم ذلك إنشاء قوة مالية وعسكرية قادرة على فتح بلاد المشرق من جهة ، وتدعيم أسس النظام الفاطمي في بلاد المغرب من جهة أخرى كي لا تعرقل الأحداث الداخلية تنفيذ الأهداف التوسعية للحكم الجديد[4]، ويتطلب تحقيق هذه الأهداف إتباع خطة مالية دقيقة لتوفير موارد ضخمة تتجاوز ما تنّص عليه كتب الظاهر في أصول المذهب الإسماعيلي، وتتعدى ما يتفق فيه الفاطميون مع أهل السنة في توظيف أصناف من

---

[1] سيرة جوذر، ص: 130 .

[2] الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص: 452.

[3] أبو العرب التميمي، طبقات علماء افريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ، ص: 168.

[4] القاضي النعمان ، رسالة افتتاح الدعوة ، ص : 256 وما يليها

الجباية ، فلا غرو أن يتسم النظام المالي بسمة بارزة تتمثل في خلق الذرائع لمصادرة الأموال وابتزازها وتبدأ تلك الأحداث التاريخية منذ سنة 298 هـ فقد تجول أثناءها أبو عبد الله الشيعي في بلاد البربر ، وحارب صدينة وزناتة وقتل الرجال وأخذ الأموال وسبى الذرية وخرج في نفس السنة إلى قبيلة لواتة فقتلوا أهلها وغنموا أموالهم ويذكر في هذا الصدد ابن عذاري عن أحداث سنة 307 هـ : "وفي سنة 307 هـ كان بإفريقيا (و ما والاها إلى مصر) طاعون شديد و غلاء سعر، مع الجور الشامل من الشيعة، و التعلل على أموال الناس في كل جهة"[1].وهكذا أصبح قادة الجيش الفاطمي كامل الحرية في جمع الأموال بشتى الطرق نذكر على سبيل المثال عندما اخرج عبيد الله ، حباسة بن يوسف سنة 301 هـ على رأس جيش على المشرق برح ببرقة : "من أراد العطاء والرزق الواسع، فليأت " فاكتتب عنده جماعة وأمر العرفاء من كتامة بأن يعرفوهم بأعيانهم ، ويرقب كل واحد منهم رجلا من أولئك المكتتبين عنده ، ثم أمره أن يحضروا بالغداة للأخذ الأرزاق ، فلما حضروا قتلهم جميعا وكانوا مايقارب ألف رجل ، فأمر بجمع جثثهم ووضع عليها كرسيا ، وجلس فوقه ، ثم أدخل وجوه أهل البلد فنظروا إلى ماهالهم من كثرة القتلى ، مات منهم ثلاث من الخوف والرعب فلما مثل أهل البلد بين يديه قال: "إن لم تحضروني غدا مئة ألف مثقال قتلتكم أجمعين ، فأحضروه إياها " [2] كما ستصفى قائد فاطمي أخر : أبو مدين بن فروخاللهيصي أموال سكان برقة من جديد سنة 304 هـ ، كما انتهب الجيش الفاطمي بقيادة مصالة بن حبوس سنة 309 هـ أموال سكان مدينة سجلماسة[3] ، وأدت سياسة انتهاب الأموال ، والاعتداء على التجار ، نهب دكاكينهم إلى اندلاع انتفاضات سكان المدن .

و يصرح المؤلف نفسه أن زيادة الله أبي نصر به عبد الله بن القديم قد أفاده سنة 360 هـ/971م بنفس المعلومة التي استقاها من الداعي أبي الحسن بن أبي علي، و كان زيادة الله صاحب الخراج بافريقية و جميع المغرب و كأنهما تفاوضا القول و علما وجوه

---

[1] البيان المغرب، ج1، ص : 181.

[2]الحبيب الجنحاني ، المجتمع العربي الإسلامي ، التاريخ الاقتصاديوالاجتماعي ، المرجع السابق ، ص : 226 .

[3] نفس المرجع ص : 226 .

ذلك[1]، و ذكر الصدقات و المراعي ورد جنبا إلى جنب لدى المقريزي، حيث أشار قائلا: " بعث المعز خفيفا الصقلبي إلى شيوخ كتامة، يقول: يا إخواننا قد رأينا ننفذ رجالا من قبلنا إلى بلدان كتامة، يقيمون بينهم يأخذون صدقاتهم و مراعيهم، و يحفظونها علينا في بلادهم"[2]، أي الضرائب مست كل القطاعات الاقتصادية النشطة من زراعة و صناعة و تجارة، و على الداخل و الخارج.

وقد أصبح جمع الأموال الطائلة لفائدة بيت المال الفاطمي وسيلة للحظوة لدى الخليفة وتولي المناصب العليا فقد كان محمد بن عمران النفطي يتولى قضاء طرابلس في عهد عبيد الله المهدي ن فجمع لخزانة الفاطميين " أموالا كثيرة من الرشاوالأحباش، ورفعها إلى عبيد الله ، فكانت وسيلة له إليه . " [3]

أما الدلائل التي تثبت شمولية الضرائب لكل القطاعات الاقتصادية بالمغرب إشارة صاحب صورة الأرض لمدينة تنس والمسيلة قائلا: " و هي من أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم و يقصدونها بمتاجرتهم و ينهضون منها إلى ما سواها، و لسلطانها بها وجوه من الأموال كثيرة: كالخراج و الصدقات و الأعشار و مراصد على المتاجر الداخلة إليها و الخارجة و الصادرة و الواردة، علما أن لها بادية من البربر كثيرة و قبائل فيها أموال جسيمة غزيرة"[4]، و كان على البربر بالقرب من المسيلة " صدقات و خراج غزير "[5]

---

[1]ابن حوقل ، صورة الأرض ، المصدر نفسه، ص: 94.

[2] الداعي إدريس ،اتعاظ الحنفاأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، ص : 140.

[3]ابن عذراي ، البيان المغرب ، ج : 1 ، ص : 163 .

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص : 78.

ويذكر الخشني في ترجمة أبي السعيد المعروف بالوكيل ، وقد كان من أهل الحديث ، ومن ذوي الأموال الوافرة ، مات في صدر دولة عبيد الله ن أنه لما مات " نزل معلوم الكتامي ، وابن خنزير ، وأبو يزيد الباهري على داره فأخذوا ن داره أربعين الف مثقال من الجواهر " طبقات علماء أفريقيا ، ص : 174 م وما يليها .

[5]المصدر نفسه، ص: 85

*قبيلة الفقية أبو محمد جمال المزاتيالمديوني، دعا تحت إمرة أبي حزر يغلا بن زلتاف للقيام على المعز لدين الله الفاطمي إثر مقتل أبي القاسم يزيد من مخلد، الشماخي، المصدر السابق، ج3، ص: 1007

و أصبح لقواد الجيش الفاطمي الحرية في إتباع الأساليب التي يرونها لجمع الأموال، مثلما فعل أبو الفتوح يوسف بن زيري في أول حركة له إلى المغرب " فهزم زناتة و استأصل شأفتهم، وفتح معاقلهم، و سبى أموالهم و ذراريهم"[1]، و أصبح جمع العمال للأموال الطائلة لفائدة بيت المال الفاطمي وسيلة للحظوة لدى الخليفة و تولي المناصب العليا[2]، و عاملا في الحكم على نجاح العامل أو فشله، و يمكن للمتقبلين أن يطالبوا بتولي شؤون عمل من الأعمال عن طريق ضمان مبالغ أكثر من الضرائب، و هذا ما دفع الأستاذ جوذر أن يبعث كتابا للمعز يخبره بتطاول العمال إلى الزيادة على جعفر بن علي يقول فيه: " يا مولاي، صلى الله عليك، هذا بلد كثر القول فيه و تطاول المتقبلون إليه فالواجب عقده على من طلبه، و لا يذهب مال مولانا خسارة"[3].

و من المؤكد أن هذه السياسة جاءت لصالح عناصر معارضة للسلطة للقيام بحركات ضدها، منها ثورة أهل نفوسة سنة 310 هـ/923م بسبب المغارم و الإتاوات على أهل بوادي و قرى نفوسة، غير أن الثورة فشلت و دفع أهل نفوسة المغارم و الإتاوات التي غالى الفاطميون تقديرها[4]، و من مظاهر هذه السياسة أيضا، الأمر الذي

---

[1] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص: 320.

[2] الحبيب الجنحاني، دراسات في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي، ص: 76.

[3] سيرة الأستاذ جوذر، ص: 129.

*أبو يحيى زكريا الأرجاني، من أرجان (جبل نفوسة)، تولى إمامة الدفاع، كان قاضيا لنفوسة مدة خمسة عشر سنة تقريبا و حاكما لها بعد نهاية إمامة أبي حاتم يوسف بن رستم (296 هـ/909م)، قتل سنة 311 هـ/923م، الشماخي، المصدر السابق، ج3، ص: 1046

** الجزيرة حصن ذو موقع استراتيجي، غرب جبل نفوسة، الشماخي، المصدر السابق، ج3، ص: 849.

*** يذكر البكري " بنو زمور و لهم حصن يسمى تيرقت في غاية المناعة"، المسالك و الممالك، ج1، ص: 181، كما يفيدنا محقق كتاب سير الشماخي أن تركت قصر شرق لالوت، غرب جبل نفوسة، وقعت فيه معركة بين نفوسة و الفاطميين سنة 310 هـ/922م. المصدر السابق، ج3، ص : 838 .

[4] الشماخي، المصدر نفسه، ج2 ص ص 389-390/ يذكر ابن عذارى الأحداث التي وقعت بين الطرفين، المصدر السابق، ج1، ص: 187.

أصدره المهدي سنة 309 هـ/921م بأن يكون طريق الحج على المهدية لأداء ما وظف عليهم من المغارم، و ألا يتعدى الطريق أحد[1].

كما جعل البعض من هذه السياسة ذريعة لجمع الأنصار، مثلما فعل أبو يزيد مخلد " صاحب الحمار" الذي ذكرناه في مواطن سابقة من هذه الدراسة، حيث أتاه البربر من كل ناحية ينهبون و يقتلون و يرجعون إلى منازلهم[2]، و دخلت بذلك الدولة الفاطمية مع أبي يزيد في معارك دمرت و خربت و قتل فيها المئات من سكان بلاد المغرب[3]، فأصيب الناس بالذعر، و تعطلت الكثير من الأنشطة الاقتصادية، و خربت المدن و استنفذت الأموال، و أهلك الزرع و الضرع عبر العديد من المناطق، و أسباب التذمر و قيام القبائل، بالتحالف لدرئ الظلم خاصة الزناتية، يعود في الواقع إلى العامل الاقتصادي و الاجتماعي، و هذا ما تثبته نتائج المناظرة التي جرت بين أبي يزيد و المنصور الفاطمي عندما ألقى عليه القبض سنة 336 هـ/947م، و لما سئل عما نقم فيه على الخليفة الفاطمي، كان رده: " هذه القبلات التي فيها الجور على المسلمين، فقمت منكرا لذلك، أريد إصلاح أمور الناس"[4]، أي مسألة الضرائب دفعت بالأهالي إلى الانتفاضة، كما حملت بعضهم إلى تأييد الخوارج و اعتناق مبادئهم بسبب موقفهم إلى جانب الناس البسطاء، و كفاحهم لرفع الظلم الاجتماعي عنهم و تحقيق المساواة و العدل لجميع أفراد الرعية[5]، خاصة و أن عددا كبيرا من الأفراد بالبادية قد تضرروا من هذه الضرائب.

غير أن النظام الجبائي عرف تغيرا في بعض الحالات، اي اضطر الخليفة أن يخفف من ثقله لأسباب سياسية أو اقتصادية، قصد إصلاح الوضع، و من ذلك محاولة الإصلاح التي قام بها المنصور الفاطمي بعد الأحداث الخطيرة التي عاشها المغرب أثناء

---

[1] ابن حماد، المصدر السابق، ص: 28، ابن عذارى، المصدر نفسه، ص: 186

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ص :1217

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص: 217 و ما بعدها

[4] عماد الدين إدريس، المصدر السابق، ص: 447.

[5] محمد محفل وأخرون ، ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونظامهمفي القطر العربي السوري ، المكتب التنفيذيللإتحاد العام للفلاحين ، سوريا دون طبعة . ص : 414.

انتفاضة صاحب الحمار، و يخبرنا عماد الدين إدريس عن ذلك قائلا: " فقد ترك الأمير أعزه الله، ما يجب عليكم في هذه السنة الآتية 335هـ/947م، من العشر و الصدقات و جميع اللوازم، و فعل ذلك في جميع الناس مسلمهم و ذميّهم، و رفقا بهم، و عونا بهم على عمارة أرضهم و بواديهم، فليبلغ الشاهد الغائب، و ليرجع كل بدوي منكم إلى باديته بلا مرزئة (الداهية و المصيبة) عليه و لا كلفة، ثم إنه لا يؤخذ منهم في إقبال السنين إلا العشر و الصدقة من الطعام، و الشاة و الغنم، و الثور من البقر، و البعير من الإبل على فرائض الله سبحانه، و سنة جدي رسول الله"[1]، فالإشارة إلى " جميع اللوازم" واضحة، و هي تجاوزات دفعت بقبائل أهل المغرب إلى إطلاق العنان لثوراتهم، فاضطر المنصور إلى تغير أوضاع المغرب، بإعفائهم من ضريبة العشر و الصدقة و غيرها من المغارم الشرعية و غير الشرعية، من المسلمين و الذميين، رفقا بهم و عونا لهم على تعمير بواديهم.

رغم محاولات تخفيض الضرائب من حين إلى آخر تماشيا و الظروف الخانقة التي حلت بالبلاد إلا أن مداخيل بيت المال ظلت مرتفعة، و استمر الجباة في إرهاق السكان بالمطالب الضريبية، مع الحرص على جمعها و عدم رفع السوط عن أصحابها، و لم يقبل تأخير دفعها، فالمعز لدين الله الفاطمي منع العمال من جمع جباية أكثر من سنة، و طالبهم أن يدفعوا جباية كل سنة عند انقضائها خوفا من أن يؤدي التأخر إلى العجز عن الوفاء بها بعد ذلك، فكتب إلى جوذر بقوله: " و أمرنا أصحاب الدواوين أن لا يقبلوا من العمال إلا اتصال ما لكل سنة عند انقضائها، فمن عجز في أول سنة كان عنه في التي تليها أعجز و تلافى النظر في الأول أحق من النظر في أدبار الأمور"[2]، أي لم يراع ما قد يقع فيه الأفراد من أزمات، و هو ما عبر عنه ابن السماك قائلا: " إن تقرر أن كورة من الكور عجزت عما وظف عليها لحادث حدث من طول قحط، أو دوام مطر، أو رخص سعر، أو داء أسرع في الناس، أو آفة عظيمة ، فيبعث لذلك من ينظر فيه ممن

---

[1]عماد الدين إدريس، المصدر السابق، ص ص : 379، 380.

[2]الجوذري، المصدر السابق، ص :96

يثق بنصيحته، و يستتاب إلى رأيه، و يأتي ببياناته، و يرفع تسمية أهله، و يأمره بتخفيفه و حط ما ينبغي له حطه"[1].

إذن، السياسة الفاطمية ببلاد المغرب قامت على الجشع المالي، و الحصول عليه بشتى الطرق، مستهدفة جل نشاطات السكان " زراعة صناعة وخاصة التجارة " و الواضح أن هدفها في الاستيلاء على الخلافة العباسية دفعها إلى تكوين جيش قوي يتطلب مصاريف كبيرة لا تستطيع أموال الزكاة تغطيتها، فقد وقعوا خلفاؤها في نفس الأخطاء التي وقعت فيها الحكومة الأغلبية سابقا بفرضهم ضرائب باهظة لم يتقبلها الأهالي، خاصة و أنها تخالف الشرع[2].

ب- المرحلة الصنهاجية:

1- العهد الزيري:

استمرت السياسة الضريبية المجحفة ببلاد المغرب حتى بعد رحيل الفاطميين، و هو ما توضحه وصية المعز لدين الله لخليفته[3] على بلاد المغرب قبل توجهه صوب مصر، قائلا: " لا ترفع الجباية عن أهل البادية و لا ترفع السيف عن البربر... و استوص بالحضر خيرا"[4]، و قد تعود هذه الوصية للخطة الجديدة التي رسمها المعز لاسترداد ما ضاع من أموال خلال ثورة ابي يزيد مخلد، كما يشير القاضي النعمان إلى مسألة ناقشها هو و المعز فيما يخص دفع الضرائب قائلا: " و الله للقليل الذي يأتي به هؤلاء و أمثالهم من كسب أيديهم على ضيق معايشهم و غباوتهم لا يريدون بذلك سمعة و لا رياء و لا

---

[1] ابن السماك العاملي الأندلسي ، رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير ، دار الكتب العلمية ، ط :1 ، 2004 . ص: 150.

[2]Alfred Bel, la religion musulman en berbèrie, esquisse d'histoire et de sociologie religieuse, Paris, 1938, tl, pp 159-160 .

[3]يبدوا أن ذلك شمل سكان المدن فقط ، إذ نراه يوصي خليفته بعد ذلك على بلاد المغرب يوسف بن زيري قائلا : " إن نسيت ما أوصيناك به فلا تنسى ثلاثة أشياء : إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية .....وفعل مع أهل الحاضرة خيرا " المقريزي.اتعاظالحنفا ، المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 101 .

[4] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص:320 .

يبتغون به نيل منزلة من منازل الدنيا، لأزكى عند الله تعالى و عندنا من كثير مما يأتي به أهل السعة و الغني و الجدة ممن نعرفه"[1].

و بهذا يكون بنو زيري قد حافظوا على الضرائب التي فرضها الفاطميون على السكان، لا سيما ببلاد المغرب الأوسط، الذي أصبح تحت سلطة بني زيري الصنهاجيين ممثلي الفاطميين، و سيتعاقب على حكمه و حكم افريقية خلال الفترة الممتدة ما بين سنة 361 هـ/ 972م تاريخ رحيل الفاطميين، و سنة 408 هـ/1018م تاريخ قيام الحماديين، ثلاثة من أمراء بني زيري بلكين (361-373 هـ) و ابنه المنصور (374-386 هـ) و حفيده باديس (386-406 هـ)، و هو ما يثبته ابن حوقل (ق 4 هـ/10م) قائلا: " أما ما حاذى أرض افريقية إلى آخر أعمال طنجة عن مرحلة إلى عشر مراحل، فزائد و ناقص فبلاد مسكونة و مدن متصلة و المزارع و الضياع و المياه، و الولاة و السلاطين و الملوك و الحكام و الفقهاء، و كل ذلك في جملة صاحب المغرب و حوزته و قبضته أو في يد خليفته"[2].

إذن لا تعوزنا الدلائل لإثبات خصائص السياسة الضريبية للزيريين، حيث رجع بلكين بن زيري (361-373 هـ/972-984م) بعد توديعه للمعز لدين الله الفاطمي إلى المنصورية و دخل قصر السلطان في 362 هـ/375م، و أخرج "العمال و جباة الأموال إلى سائر البلدان"[3]، و كان عامل افريقية يوسف بن أبي محمد سنة 379 هـ/979م و متشددا مع أهل الريف في الجباية، حتى أصبح " أهل الحضر في أمن و عافية. و أهل البادية في عذاب و غرامة"[4]، منها مغارم الزرع و المراعي و غيرها، و هو ما أشار إليه كل من ابن حوقل و المقريزي، لكن سكان البوادي لا يستطيعون أن يؤدوا نقدا الخراج

---

[1] القاضي النعمان بن محمد ، المجالس و المسايرات، تح : الحبيب الفقي ، إبراهيم شبوح محمد اليعلاوي ، دار المنتظر بيروت لبنان ، ط :1 ، 1996م . ص : 477.

[2] ابن حوقل ، صورة الأرض، ص: 83.

[3] النويري، المصدر السابق، ص: 311.

[4] ابن عذارى، البيان ، ص: 245.

على المراعي إلا إذا شاركوا بكيفية ما في التجارة[1].وقد ذكر القابسي في فتوى له حول الواحات لما ذكر أن السلطان فرض على " البلد غرامة أو مغرم ، تعرف باسم العشر أو الخراج ". ووزعها دافعوها على نخيلهم ومائهم وسجل اسم كل واحد منهم في ديوان مع بيان حصته من الضريبة [2]

غير أن محمود اسماعيل[3] ينفي الاستبداد الضريبي الفاطمي، مؤكدا أن صاحب " البيان المغرب" أشار إلى إعفاءات بني زيري للأهليين من الضرائب، في أوقات الشدة و الملمات، لكننا وجدنا نصا يثبت عكس ذلك، فعبد الله الكاتب عامل افريقية و القيروان نادى سنة 366 هـ/977م، " فاجتمع الناس إليه، فأهذ من أعيانهم نحو الستمائة رجل من أغنيائهم و أغرمهم الأموال بالتعيين، يأخذ من الرجل الواحد عشرة آلاف دينار، و من آخر دينارا واحدا.

فاجتمعت له بالقيروان أموال كثيرة، و عمّ هذا الغرم سائر أعمال افريقية ما عدا الفقهاء و الصلحاء و الأدباء و أولياء السلطان"[4]، أي الوضع بقي على حاله، و لم ينجو من هذه الضرائب إلا المقربون من السلطة، و لم يتغير إلا بعد وصول الأوامر من مصر إلى أبي الفتوح، وهو ما يؤكده صاحب البيان قائلا: " و بقي الأمر كذلك في الطلب، إلى أن وصل الأمر من مصر إلى أبي الفتوح برفع الغرم عن الناس"[5]، بالرغم من أن ابن عذارى يشير بعدها إلى توجيه هذه الأموال إلى مصر في صرر، و البعض منها رجع إلى أربابه، إلا أن السياسة التي استعملت من أجل جمعها توقفت على التمييز بين الأشخاص حسب مكانتهم الاجتماعية ، وهذا ما أثار حقد و سخط الناس عليهم ، ومما

---

[1]،عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب ، المركز الثقافي العربي ، ط :5 ، 1996م ، ص: 247.

[2]فتوى القابسي ، المعيار ، ج :9 ،ص : 434 ، 435 ،فتوى السيوري ، نفس المصدر ، ج : 6 ، ص : 107 ، 108.

[3]محمود إسماعيل سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ، سينا لنشر ، 1987م . ص: 123.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص: 230.

[5]المصدر نفسه، ج1، ص: 230. يوسف بن أبي محمد، ولي أعمال افريقية من قبل أبي الفتح المنصور، و كان عاملا على قفصة، فأعطاه البنود و ولاه إفريقية مكان عبد الله بن محمد الكاتب سنة 377 هـ/987م، ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص: 343.

يوضح تجاوز الحكام في أخذ المال من غير حق ما ذكر أحد الباحثين[1] عن جابي المكوس ويسمى المكّاس[2]، وقد أكد اللخمي أو السيوري[3] " عدم جواز الزواج مع المكاس "

و يضيف صاحب البيان أن عامل افريقية (يوسف بن أبي محمد*) كان " يخرج في كل سنة فيدور على كور افريقية، و يجبي الأموال، و يأخذ الهدايا من كل بلد، و يرجع"[4]،و هذا تأكيد على حرص الزيرين الشديد من أجل جمع الأموال، التي لم تكن توضع في بعض الأحيان في مكانها المناسب حسب ما أفادنا به الرقيق القيرواني بقوله: " كنّا إذا درنا مع يوسف بن أبي محمد على البلدان، و استطاب موضعا، و أعجبه حسنه، أقام فيه مصطبحاالشهر و الشهرين، و أبو الحسن البوني يجمع الأموال، و يقبض الهدايا... و كان يعطي لخاصة يوسف في كل يوم خمسة آلاف درهم، و ينفق على يوسف لمطبخته و فاكهته نحو هذا المال"[5].

كما أشارت فتوى للقابسيإلى المراشد الموظفة علي المسافرينوالأداءات المستخلصة في أبواب المدن والمكوس الموظفة على السلع ، والمقصود بالمراشد أداءات المرور لا الأداءات الجمركية بأتم معنى الكلمة [6]

---

[1] الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية ، المرجع السابق ، ج : 2 ، ص: 224 .

[2] مكس في البيع يمكس : إذا جبى مالا . والمكس النقص والظلم .الفيروزبادي ، قاموس المحيط ،ص : 1477.

[3] فتوى القابسي ، المعيار ، ج :9 ،ص : 434 ، 435 ،فتوى السيوري ، نفس المصدر ، ج : 6 ، ص : 107 ، 108 .

[4] ابن عذارى، المصدر نفسه، ص : 245

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ص : 245.

[6] والمقصود بالمراشد أداءات المرور لا الأداءات الجمركية بأتم معنى الكلمة ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص : 96 ، 96 ، 97 .

و من البراهين الدالة على التعسف الجبائي ببلاد المغرب إشارةالوسياني إلى أن أبا " الخير الزواغي [1] جعل عليه مولى للمعز بن باديس يقال له: تمصولت[2]– و كان فاجرا مريدا عنيدا عنيفا– مائة دينار"[3]، و الشيخ ليس له مال حسب رواية الشماخي[4]، و الذي يفيدنا في رواية ثانية أن أبا الخطاب عبد السلام المزاتي[5] اشترى خروفين من افريقية، ثم تصدق بهما " تحرجا من رزق صنهاجة لتجبرهم، و غصبهم للناس أموالهم"[6]، كما نجد صدى لهذه السياسة الضريبية في نوازل المرحلة، فقد سئل القابسي (403 هـ/1012م)[7] عن" عامل السلطان الجائر الظالم يأخذ العشر يأكلها و يغرم الناس بلا حق قال له و جعلني أودع له ذلك المال عندي ففعلت ذلك مداراة، فأجاب إن أكرهك على الإيداع و لم تقدر على الامتناع و أكرهك على الأخذ منك لم يلزمك غرم و المغارم في بلد لابد فيه

---

[1] أبو الخير توزين الزواغي، شيخ إباضي من زواغة، معاصر (406–453 هـ/1015–1061م) كان يتحول غالبا لجبل نفوسة لزيارة المشائخ، الشماخي، المصدر السابق، ج3، ص: 919.

[2]يذكر محقق سير الشماخي أن اسمه تمصولت بن بكار، تولى بونة، ثم عينه بلكين بن زيري سنة 367 هـ/978م حاكما على طرابلس، حتى سنة 390 هـ/1000م. الشماخي، نفسه، ج3، ص : 900. و يشير الهادي روجي إدريس إلى أنه عين على طرابلس بعد عزل عاملها يحيى بن خليفة الملياني، المرجع السابق، ج1، ص: 87، غير أنه لم يشر إلى المصدر الذي عول عليه في نقل كل هذه المعلومة " وفي هذه السنة (367 هـ) أنعم العزيز بالله على أبي الفتوح بطرابلس و نواحيها، فقدم عليها أبو الفتوح يحيى بن خليفة الملياني، فأقام بها شهورا ثم عزله". ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص: 231.

[3]سير الوسياني، ج2، ص 545/ الشماخي، السير، ج2، ص :511.

[4] ، أحمد بن سعيد أبي عثمان بن عبد الواحد ، بدر الدين الشماخي، السير ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، 1407 هـ ، 1987م ج2، ص :511.

[5] أبو الخطاب عبد السلام، فقيه إباضاي من مزاتة طرابلس، تحول إلى قلعة درجين، ثم انتقل إثر محاصرتها سنة 440هـ/1048م إلى وادي أريغ حيث توفي هناك، اشماخي، نفسه، ج3، ص: 917.

[6]السير، ج2، ص : 589.

[7]أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري، المعروف بأبي الحسن القابسي، الفقيه النظار الأصولي المتكلم الإمام في علم الحديث و فنونه و أسانيده، ولد سنة 324 هـ/936م، تفقه عليه أبو عمران الفاسي و غيره، توفي سنة 403هـ/1012م. مخلوف بن قاسم، المرجع السابق، ص : 145.

من هذا غير صواب"[1]، و هي شهادة حول التجاوزات المتنوعة الناجمة عن التعسف الجبائي، كأن يستحوذ أحد عمال السلطان على " العشر" ثم يفرض الضرائب على الناس بلا موجب شرعي.

و غير بعيد عن عصر القابسييفيدنا الداودي (402 هـ/1012م) عن سلطان وضع على أهل البلدة، و أخذهم بمال معلوم يؤدونه على أموالهم، فقال: " ذلك له. و يدل على ذلك قول مالك في الساعي: يأخذ من غنم لأحد الخلطاء شاة و ليس في جميعها نصاب أنها مظلمة، دخلت على من أخذت منه لا يرجع على أصحابه بشيء"[2].

وكان كثيرا من الناس يضطرون إلى بيع ممتلكاتهم كليا أو جزئيا لتسديد الضرائب والغرامات المفروضة عليهم[3]

و بعد غزوة بني هلال تفاقمت المصاعب المتعلقة بتطبيق التعاليم الشرعية المتعلقة بالزكاة، و هو الواضح من خلال السؤال الذي طرح على السيوري (460 هـ/1068م)[4] عن الغصاب يعطون زكاة غنمهم و لا يقدر على رد ما في أيديهم إلى أربابها؟ فأجاب: تؤخذ منهم و تعطى لأهل الحاجة إذا لم يقدر على ردها لأربابها، و لا يعرفون و لا تمكن معرفتهم"[5]، أي أجاز الزكاة التي يؤديها مغتصبوا الأنعام للفقراء و سمح للملاكين بأن يطرحوا من الزكاة الأداءات العينية التي يفرضها عليهم الأعراب.

---

[1] المعيار، ج1، ص 387/ ج9، ص: 572.

[2] – الأموال، ص 181.

[3] – الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية ، المرجع السابق ، ج : 2 ، ص : 229 .

[4] – أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الوارث السيوري، خاتمة علماء افريقية و آخر شيوخ القيروان و ذو الشأن البديع في في الحفظ و القيام بالمذهب، كان له عناية بالحديث و القراءات، له تعليق حسن على المدونة و كان يحفظها، توفي سنة 460 هـ/1067م أو سنة 462 هـ/1069م. الدباغ، المصدر السابق، ج3ن ص ص: 185،187. مخلوف بن قاسم، المرجع السابق، ج1، ص ص 172،173.

[5] الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص: 364.

2- العهد الحمادي:

أما الفترة الحمادية فلم نجد إشارة واضحة و مباشرة حول طبيعة الجباية بها، لكن لا نستبعد تعدد مصادرها بالنسبة لدخل خزانة الدولة، خاصة و أنها كانت تعيش حروبا مع زناتة، و مع المدن التابعة للمرابطين بالمغرب، و هذا في الواقع يكلف أموالا لكسب الأنصار و ضمان الحلفاء، و توفير الأسلحة و المعدات الحربية اللازمة، و كان الخراج أحد المصادر الهامة[1]، عين ولاة لجمعه[2]، ناهيك عن أموال الصدقات لوفرة زروعها و كثرة السوائم و الدواب بها[3].

و من الدلائل التي تكشف لنا قيمة ما دخل بيت المال الحمادي خلال القرن 5هـ/11م، إشارة البكري التي يكشف من خلالها أن "مستخلص مدينة بونة غير جباية بيت المال: عشرون ألف دينار"[4]، أما جباية مدينة مرسى الخرز بشرقي مدينة بونة فكانت عشرة آلاف دينار[5]، و لا شك في أن القصور التي بناها الحماديون بمدينتي القلعة القلعة و بجاية دليل واضح على عظم الدخل الذي كان يرد إلى الخزانة الحمادية[6]، و يطلعنا الإدريسي أن القلعة من "أكبر البلاد قطرا و أكثرها خلقا و أغزرها خيرا و أوسعها أموالا و أحسنها قصورا و مساكن و أعمها فواكه و خصبا"[7]، و يضيف أنها "كنت في وقتها و قبل عمارة بجاية دار الملك لبني حماد و فيها كانت ذخائرهم مدخرة و جميع أموالهم مختزنة"[8].

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص : 2458.

2- عبد الحليم عويس،دولة بني حماد، دار الصحوة لنشر والتوزيع ، القاهرة، ط: 2، 1411هـ،1991م ص: 211.

3- المرجع نفسه، ص :261.

4- المسالك و الممالك، ج2، ص: 234.

5- المصدر نفسه، ص: 234.

6- مجهول، الاستبصار، صص: 129، 130.

7- الإدريسي ، نزهة المشتاق، ج1، ص: 255.

8- المصدر نفسه، ص: 260.

أما نعته لمدينة بجاية فلا يقل عن مستوى وصفه للقلعة بقوله: "و أهلها مياسير نجار بها من الصناعات و الصناع ما ليس بكثير من البلاد"[1]، و برز فيها العرب كعمال للدولة الحمادية، يقومون على جباية الأموال، و تنظيم الأمور[2]، و هو ما يثبته ابن خلدون قائلا: "و ملكوا عليهم الضواحي يتحيفون جوانبها و يقعدون لهم بالمرصاد، و يأخذون لهم الأتاوةعلى التصرف في أوطانهم"[3].غير أننا لم نستطع إثبات شرعية الضرائب أو عدم شرعيتها خلال هذا العهد لغياب مادة مصدرية حول الموضوع، ما عدا إشارة ابن خلدون إلى إعفاء الناصر سكان بجاية من الخراج عندما أراد تعمير المدينة[4]، لكن عبد الحليم عويس[5] يرى وجود أنواع أخرى من الضرائب دون ذكره للمصدر الذي استند عليه، و لا المعطيات التي جعلته يستنتج ذلك، و من جهتنا نوافقه الرأي لأن أي دولة في بداية ظهورها تحتاج إلى مصادر مالية متنوعة من أجل تحقيق غاية سياسية ، و هذا حال الدولة الحمادية، و ربما لم تسجل لها المصادر تعسفا جبائيا مثلما حدث مع بني الزيري، لأن حكامها حاولوا استغلال الأوضاع التي كانت تمر بها المنطقة بسبب الصراعات القبلية، و الانفصال الرسمي بين الحماديين و الزيريين الذين أظهروا استمرارية التعسف الجبائي الفاطمي ببلاد المغرب، و ذلك من أجل كسب تأييد و دعم سكان المنطقة ضد ابناء عمومتهم، لكن هذا لا يمنع من تقلب الوضع المالي للدولة الحمادية بين مراحلها المختلفة بتأثير العوامل السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية المحيطة بها.

من جهة أخرى، كان حماد يملك أموالا كثيرة قبل قيام الدولة الحمادية، و هو ما ينوه إليه ابن عذاري عندما يتناول أحداث سنة 406 هـ/1015م، و يشير إلى هزيمة حماد أمام الزيريين قائلا: "و أخذ الناس من الأموال و الغنائم ما لا يحصى عددا و كثرة، و وجد رقعتين فيهما: "إن الذي عند فلان صندوق فيه خمسون ألف دينار و سبعمائة، و

1- الإدريسي، المصدر السابق، ص: 260.

2- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص: 222.

3- تاريخ ابن خلدون، ج2، ص: 2329.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 2458.

5- عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد، ص :212.

من الورق ألف ألف و خمسمائة ألف درهم، و من الأمتعة خمسون صندوقا"، غير ما كان في بيت حماد و خزائنه"[1]، لكن النصوص المطلع عليها لم توضح الكيفية التي حصل بها حماد على كل هذه الأموال.

ج- المرحلة المرابطية :

بعد أن تواصل الصراع الفاطمي الأموي (باستغلال كل من زناتة وصنهاجة)عقودا عدة وكان ذلك بالطبع من أجل السيطرة على المسالك الغربية الرابطة بين المغرب الأقصى وبلاد السودان ، فإن الوضع تغير خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي ، فقد خرج المغرب الأقصى منذ نهاية القرن الرابع هجري /العاشر ميلادي عن السيطرة الزيرية ، فقد تصدع حكمهم ، وانحسر.

يذكر أحد الباحثين أن القراءات الجديدة والأراء الحديثة أثبتت خطأ النظرة الكلاسكية للمرابطين والمتمثلة في اقتصارهم على الجهاد فقط يقول أيضا أن دولة المرابطين قد أدت دورا اقتصاديا ذا شأن في كل من المغرب والأندلس[2] .

تذكر العديد من مصادر التاريخ أن عبد الله بن ياسين لما خرج من مرحلة الإستعداد وكسب الأنصار والأحلاف توجه إلى المرحلة العملية والشروع في تنظيم شؤون المناطق التي أصبحت تحت سيطرته و الظاهر أن عبد الله بن ياسين[3] قد أمر عماله على النواحي "بإقامة العدل و إظهار السنة فيها و ألأزمهم إعطاء الزكاة و العشر، و أسقط ما سوى ذلك من المغارم المحدثة"[4]، خاصة تلك التي فرضها الزناتيون من قبل[5].

1- ابن عذارى ،البيان المغرب، ج : 1، صص : 263،264.

[2] الحبيب الجنحاني، دراسات في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي ص: 235 .

[3] من بين أبرز ماقام به عبد بن ياسين في مجال إصلا ح ما افسدته زناتة " فأخذ عبد الله بن ياسين أموالهم ودوابهم وأسلحتهم مع الإبل التي أخذا في درعة فأخرج منه خمسه جميعه ففرقه في فقهاء سجلماسة فقتل من وجد بها من مغراوة ، واقام بها حتى هدنها ، وأصلح أحوالها ، وغير ما وجد بها من المنكرات ، وقطع المزامير ، وأحرق الديار التي كانت تباع بها الخمر وأزال المكوس وأسقط المغارم المخزنية و، وترك ما أوجب الكتاب والسنة تركه ، قدم عليها عاملا من لمتونة و، وانصرف إلى الصحراء " ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ص : 128 .

4- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص: 129.

5- عباس نصر الله، المرجع السابق، ص :179.

ولما فتح عبد الله بن ياسين مدينة سجلماسة سنة 447 هـ (1055 م) " أحرق الدور التي كانت تباع بها الخمور، وأزال المكوس، وأسقط المغارم المخزنية، ومحا ما أوجب الكتاب والسنة محوه، واستعمل على سجلماسة عاملا من لمتونة ، وانصرف إلى الصحراء"[1]

تثبت الكثير من النصوص أن العهد المرابطي الأول لم تفرض فيه إلا الضرائب الشرعية، فنقطة الإنطلاق في السياسة المالية المرابطية و هذا ما نستشفه من قول ابن الخطيب حول فترة يوسف بن تاشفيناللمتوني(تـ 500هـ/1107م) : "لم ينعقد بإيالته ما بين الأندلس و العدوة إلى جبال الذهب ببلاد السودان مكس و لا قرار جور"[2]،

و لما ملك البلاد "من بلاد العدوة من جزائر بني مزغنة إلى طنجة إلى آخر السوس الأقصى إلى جبل الذهب من بلاد السودان، و لم يوجد في بلد من بلاده و لا في عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكس و لا معونة و لا خراج في حاضرة و لا بادية إلا ما أمر الله تعالى به و أوجبه حكم الكتاب و السنة من الزكاة و الأعشار و جزية أهل الذمة و أخماس غنائم المشركين"[3]، و يضيف المؤلف نفسه أنه لم "يكن في عمل من بلادهم خراج و لا معونة و لا تقسيط و لا وظيف من الوظائف المخزنية حاشا الزكاة و العشر و كثرت الخيرات في دولتهم و عمرت البلاد و وقعت الغبطة"[4]، لأن السياسة الضريبة المجحفة من الأسباب الرئيسية في قيام ثورات العامة، التي تؤدي في نهاية المطاف إلى نتائج وخيمة يصعب السيطرة عليها، و هذا ما سيحدث مع سياسة المرابطين الجبائية فيما بعد، لأن سياسة الجهاد ضد نصارى الأندلس جعلتهم في حاجة إلى ضرائب متعددة لضمان استمرارية تدفق الأموال لبيت المال[5].

---

[1]ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، المصدر السابق ، ص : 137 .

2- لسان الدين ابن الخطيب السلماني أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام ، تح: سيد كسرو حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط : 12002 م ج : 3، ص : 388 .

3- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص: 136-137

4- المصدر نفسه، ص: 167.

5- إبراهيم القادري بوتشيش، إضاءات حول ترتث الغرب الإسلامي و تاريخه الاقتصادي و الاجتماعي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، دون طبعة، 2001م، ص: 87.

في الواقع، لا يمكن تعميم الوضع إلا على عهد يوسف بن تاشفين، حيث أولت إحدى الدراسات الحديثة اهتماما بالموضوع، و نستخلص منها الفكرة التالية: "و يخيل إلينا أن العمل الجهادي ليوسف بن تاشفين أعمى المؤرخين، فخلطوا بين إلغائه بعض المغارم الجائرة التي سادت في عصر الطوائف و المرحلة الزناتية، و ما قام له من محاولات لإرجاع تلك المغارم نفسها، و إن لم تكن بالحجم نفسه الذي ساد سابقا"[1]، و نحن نشاطر صاحب الفكرة الرأي، فبغض النظر عن مسألة الجهاد بالأندلس، كانت المحاولات الأولى للدولة المرابطية تشمل بسط نفوذها ببلاد المغرب، و هذا بحد ذاته يكلف أموالا ليس بالقدر الذي تحتاجه في الأندلس، لكن يبقى دائما تكاليف و مصاريف تخرجها الدولة بالاعتماد على صدقات الرعية، خاصة و أن المنطقة غنية من حيث ثروتها النباتية و الحيوانية و حتى الحرفية، التي ستتحول فيما بعد إلى أحد المصادر المالية الهامة من خلال الضرائب المفروضة على محترفيها.

و عليه، فترة المرابطين محل البحث لا تتوفر على معلومات كافية فيما يخص مسألة الضرائب، التي ستتغير عما كانت عليه خلال فترة حكم يوسف بن تاشفين، بتعرض الرعاة المستقرين و الممارسين للنشاط الزراعي لتعسف المتقبلين و الخراص الذين أمعنوا في تحصيل الأعشار، و مخالف المكوس غير الشرعية، التي اجتهد المقلبون في تحديدها، مغتنمين الفرصة لفرض ما شاؤوا من الضرائب، حتى ابن عبدون يصفهم بأنهم "أكلة سحت أشرار"[2]، و يضيف أنه "يجب لمن اشترى أضحيته أن لا يغرم عليها قبالة، فإن القبالة قد أخذها من الجلابين، و إن لم يقدر على ذلك، فتكون حبة على الكبش من المشتري"[3].

و تفصح بعض المصادر في الحسبة على المسائل المتعلقة بالقبلات، من ذلك ما يكشف عنه صاحب كتاب رسالة في القضاء و الحسبة قائلا: "يجب أن يكون ما يغرم في

1- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص: 205.

2- محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي ، ابن عبد الرؤوف ، رسالة في القضاء و الحسبة، تح : ليفي بروفنسال ، 1955 م . ص: 42.

3- المصدر نفسه، ص: 83.

القبالة على الدابة و البهيمة معلوما لئلا يزاد في ذلك كل وقت"[1]، و هذا يعني أنه فرضت ضرائب على دواب النقل، بل حتى على أضحية العيد كما يوضح النص أعلاه، و إن كانت هذه النصوص لا تتناسب مع فترة البحث لكن استعمالها كان بهدف توضيح السياسة المالية للمرابطين بالمنطقة (ق 6 هـ/12م)، و أن التعسف الضريبي لا يمكن أن تسلم منه السياسة المالية لأي دولة إسلامية كانت، سواء بالمشرق أو المغرب، خاصة خلال المرحلة الثانية من عهدها، و مهما كانت الدولة و ما ذكرته عنها المصادر فيما يخص السياسة المالية إلا أنها تتفق تقريبا في نقطة واحدة، و هي أنها تحتاج في مرحلة الازدهار و القوة إلى تدفق مالي دائم، بسبب ما تشهد من توسعات، و تحتاجه لدعم عساكرها، و مصارفهم.

من جانب آخر، إن ما كان يؤخذ من أهل البادية، زكاة الماشية، و ربما أغرمت الأزواج الحارثة، و حتى الأراضي الرعوية أخذت عليها إتاوة أطلق عليها بالمغرب الأوسط بخراج الجبال[2]، و عانت الفلاحة بما فيها من ثروة حيوانية كثيرا من الضرائب، و في ظل اقتصاد معاشي مهدد بالآفات الطبيعية و الاجتماعية، فإن المغارم المفروضة على الفلاحين جعلت النشاط الفلاحي في تراجع مستمر، قد يصل لدرجة تخلي الفلاحين عن أراضيهم بسبب عجزهم عن أداء ما في ذمتهم من ديون، ، و يؤكد ابن الأزرق[3] إلى أن العدوان في الجبايات و الأموال و الفتن الحادثة من انتقاض الرعايا هي من بين الاسباب المؤدية لكثرة وقوع المجاعات، الناتجة عن قلة الأقوات.

كما سببت هذه المسالة التمرد لدى القبائل التي كانت تعيش على الحل و الترحال دون أن تضبطها حدود، و كانت تعتبر نفسها كيانا حرا شبه مستقل، و كثيرا ما كانت تظهر التمرد، كما أسفر عن تلك السياسة تدهور العمران و الزراعة، و هو ما يفسره ابن خلدون بقوله: "اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في

1- نفسه، ص: 84.

2- محمد حسن، المدينة و البادية، ج1، ص: 534.

3- ابن الأزرق، ابن الأزرق، أبي عبد الله ابن الأزرق المالقي المالكي ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تح : علي الشامي النشار ، دار السلام ، القاهرة ، ط : 1 ، 2008م ، ج: 2، ص: 694.

تحصيلها و اكتسابها، لما يرونه حينئذ من أن غايتها و مصيرها انتهابها من أيديهم، إذا ذهبت آمالهم في اكتسابها و تحصيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك"[1].

و خلاصة القول، مسألة الضرائب و ما رافقها من تشريعات فقهية و ما ارتبط بها من إجراءات تطبيقية، التي كانت لا تتماشى مع النظرية التشريعية الإسلامية العليا، أثرت كثيرا على الإستقرار الأمني بلمنطقة .

إن سياسة السيطرة على المسالك التجارية البرية و البحرية، و خاصة ضمان استيراد الذهب و الرقيق من بلاد السودان هي التي تكمن وراء الصراع السياسي و المذهبي الذي عرفه المغرب الإسلامي خاصة في القرن الرابع الهجري و من الأمثلة على ذلك كما ذكرنا سابقا الصراع الأموي الفاطمي و ما ارتبط به من تحالف سياسي و قبلي[2].

التنافسالقبليحولالسيطرةعلىالمحطاتالتجاريةوتأمينالطرقالصحراوية:

دور المحطات التجارية الصحراوية في محورية التحالف:

لقد اعتبر أندري ميكيل القرن العاشر ميلادي الرابع هجري قرن الجغرافية العربية العظيم[3]، و نظرا لموقع المغرب و توفره على المعدن النفيس (الذهب) فقد عد الجغرافيون العرب المغرب الإسلامي مركزا لتوزيع الاتصالات بين الشمال و الجنوب و بين الغرب و الشرق لثروة السابقة المذكورة (الذهب و الرقيق).كما كان النظام المائي هو الحكم في تاريخ الجماعات و نظمها الاجتماعية، و علاقتها مع شبكة طرق المواصلات على مر التاريخ.

1- المقدمة، ص: 286.

[2]عبد الله العروي، تاريخ المغرب، ص: 120،121.

[3] أندري ميكيل: جغرافية الإسلام البشرية، ج1، تر: ابراهيم الخوري، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، 1983، ص : 75.

وقد تأثرت هذه الطرق المغربية بالبنية التضاريسية المقسمة الخاضعة في واقعها المائي و النباتي و الإحيائي بوجه عام للظاهرة المناخية المتنوعة، و ساهمت هذه العناصر مساهمة كبيرة في دعم التنظيم البشري و توجيهه لفترة طويلة من تاريخه العام[1].

و قد كانت الإشارة الأولى عن الطرق التجارية لدى المؤرخين بالمغرب في العهد القرطاجي حيث كانت مدينة غدامس أوكيداموسCidamus التي تقع في نهاية أقصر الطرق إلى النيجر[2]، و قد اشتهرت هذه المنطقة بعين ماء لا تنظب مما سهل إدراجها ضمن المحطات القوافلية عبر التاريخ، وقد تحدث المؤرخ اليوناني " هيرودوت" في القرن الخامس قبل الميلاد، عن التجارة القرطاجية على الساحل البحري المغربي (حوالي 430 ق.م) و هذا يعني أن بداية المواصلات برا و بحرا أخذت بعدا تاريخيا في المنطقة، و بتتابع القرون أخذ هذا البعد يتطور تنظيمه و تحديده، و بعد تدمير مدينة قرطاجة توغل " الرومان" إلى ما وراء جرمة بليبيا و غدامس جنوبا[3] و كان لهم لمستهم الخاصة في إنشاء الطرق و قد برهنت أبحاث بيير سلامة[4] إلى أهمية الطرق و تفرعها الكثيف في الجانب العسكري و ارتباط هذه الأخيرة بنظام الثغور الرومانية[5] (Limes) بالإضافة لدورها في

---

[1]بوجيل: تجارة الذهب و سكان المغرب الكبير، تر: الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1988

[2] جهان ديزانج، البربر الأصليون (بحث ضمن تاريخ افريقيا العام، ج2، ص : 458)

[3]عمار محجوبي: تاريخ افريقيا العام (قسم 19)، ص : 19.

كانت الطرق الرابطة بين المريطانيتين طريقين حوافريتين، الأولى شمالية تمتاز بمراقبة متباعدة بين مركز و آخر،و الأخرى جنوبية غير مراقبة و قد ارتبطت حركتها بالأهلي المحليين، و هذه الأخيرة اعتبرت امتدادا للطريق الليبية الصحراوية، و قد امتازت بصراع القبائل من أجل " التمركز" على نقطها الحيوية و فرض ضرائب المرور فيها، و يظهر أن نشاط هذخ الطرق قد اتخذ أبعادا اجتماعية و اقتصادية منذ القرن الرابع ميلادي، و استمر تطور تنظيماتها مع القرون إلى أن سيطرت عليها الدولة المركزية في العقود الإسلامية. قاسم العلوي، مجتمع المغرب الأقصى، ج1، ص: 371.

[4]قاسم العلوي، مجتمع المغرب الأقصى، المرجع السابق، ج1، ص: 384.

[5]لقد أثر دخول الجمل إلى المنطقة على تحكم الرومان في المنطقة الصحراوية مع العلم أن دخول الجمل في حركة النقل بدأ ظهوره على نطاق واسع في القرن الثاني و الثالث ميلادي، و منذ منتصف القرن الرابع ميلادي أصبحت

نظام البريد الروماني و هو النظام ذاته التي أدى دورا فعالا في العصر الإسلامي، فالوظيفة الإدارية لهذه الشبكات الطرقية لعبت دورا حاسما في تاريخ الوقائع التاريخية نأخذ على سبيل المثال دور طريق البريد و خبرة الأهالي به في عملية إرشاد الجيش العبيدي الفاطمي في حركته من افريقيا إلى المغرب الأقصى.

لقد أنتج التاريخ الإسلامي في المغرب شبكة من طرق المواصلات لم تتجاوز في نظامها و طريقة رسمها ما أبدعه الأهالي، فقد ظلت " حوافرية" و لكن تعقدت بتطور المدن و نشأتها و توسع علاقتها بالمناطق الجهوية القريبة أو البعيدة، كما تأثرت بحركية النظام القبلي و قوة أو ضعف الدول السياسية التي عرفتها البلاد المغربية.

رغم الوحدة الدينية الإسلامية التي عمت الغرب الإسلامي من غرب وادي النيل إلى الأندلس في القرون الهجرية الخمسة الأولى/7-11م، لم تمكن هذه البقعة من لم شمل قبائلها.

لقد كان العامل الديني دور في الوحدة التي امتدت من الغرب إلى الشرق و من الشمال إلى الجنوب، إلى أن هذا الأخير لم يوحد بين العلاقات الداخلية بين الفسيفساء " القبلية، فقد كان التصرف فيما بينها شبيها بتصرف الغرماء إزاء بعضهم بضعا خاصة بتطور شبكة كبرى من المسالك فقد عدت هذه الأخيرة عاملا محركا للمنافسة الاقتصادية بين الأمراء و زعماء القبائل و الجهات و الأقاليم و الدول[1].

لقد كان سك نقود كل من الأغالبة و الفاطميين و الأمويين و المرابطين و الموحدين من ذهب السودان و قد انشغلت القوات السياسية في الغرب الإسلامي بالصراع على هذه الطريق و تحولت المراكز الشمالية من الصحراء الكبرى إلى مكان للتنافس بين القوات المتصارعة عليها، فصارت كل من غدامس و وركلة و تاهرت و سلجماسة و نول لمطة و أودغيشت مسرحا للتنافس الساخن بين جميع القوات المغربية.

الإمبراطورية الرومانية أقل قدرة على ضبط أمن الطرق في الجهات الجنوبية الصحراوية و في القرن الخامس ميلادي فقدت سيطرتها نهائيا بسبب تدفق القبائل الجمالة الشرقيين. ش.أ جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية، ج1، ص: 178.

[1] العلوي، المرجع السابق، ج1، ص: 372،373

فقد كانت القبائل تميل إلى تنمية نشاطات تجارية عبر المسالك و الطرق الرابطة بين الجهات الحيوية اقتصاديا بل تعتبر محركا و عاملا فعالا في تحقيق التحالفات القبليةو أحسن مثال على ذلك هو نشأة " التحالف الصنهاجي الجنوبي" و هذا شيء طبيعي لأن نظام التحالف القبلي في مجتمع المغرب الوسيط كان هو الابتكار الاجتماعي المغربي الذي يحقق به حل الخلافات الكبرى و المزمنة التي تقوم بين مجموعاته.[1]

و هكذا أسفر القرن الرابع الهجري عن وجود شبكة طرقية مكثفة في شمال الصحراء الافريقية و في داخلها، مما يفسر حدة الصراع الذي كان قائما بين الأطراف البارزة في الكتب التاريخية الأندلسية المشرقية المغربية، فالمعركة في بعدها الاقتصادي و الاجتماعي كانت على طرق التجارة العالمية العابرة لبلاد المغرب الكبير، خاصة بعد التحول الذي طرأ على المسلك التجاري القديم الخاص بتجارة الذهب و الرقيق بين بلاد السودان و المشرق و خاصة الطريق التجاري الرابط بين غانة و مصر عن طريق بلاد النوبة بسبب ما كان يمثله من خطر على القوافل و كثرة عواصفه الرملية، فأصبح هذا الطريق يمر ببلاد المغربجاعلا القيروان و بلاد الجريد، و ورجلان، و تاهرت و تلمسان و فاس و سلجماسة مراكز تجارية نشطة تتفرع منها مسالك فرعية، و تجمعت عن طريق التجارة الصحراوية ثروات كبرى من الذهب في مدن المغرب و أصبح الدينار السلجماسي مثلا عملة قوية تجاوز التعامل بها حدود إمارة بني مدرار و بلغ الأندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر و من أهم التي كانت في قائمة المبادلات التجارية بين المغرب الإسلامي و مراكز التجارة العالمية المتصلة بها في تلك الفترة الحبوب و زيت الزيتون و اللحوم و القطن و الخشب و الملح[2]،و التمور و العسل و السكر و الزبدة و المرجان و

---

[1]العلوي، المرجع السابق، ج1، ص:372 وما يليها .

[2]أهم صناعة تحملها القوافل التجارية من بلاد المغرب إلى بلاد السودان هي الملح حيث يقول ابن حوقل: و ربما بلغ حمل الملح في دواخل بلاد السودان و أقاصيه ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار"، و قد ذكر البكري غرائب صحراء المغرب الأقصى، فاشار إلى معدن الملح الموجود بين سلجماسة و أودغشت فقال: " و من هذا المعدن يتجهز بالملح إلى سلجماسة و غانة و سائر السودان و العمل فيه متصل و التجار إليه متسايرون، و له غلة عظيمة". ابن حوقل ، صورة الأرض، ص 98. البكري ، المسالك و الممالك، ص: 171.

العنبر و العطور و الورق و المنسوجات و الصوف و النحاس المصنوع و الحديد و الشمع و الفرو، و مادة الزئبق التي كانت تستوردها المدن المغربية و التي اشتهرت بثروتها الذهبية من الأندلس لاستخدامها في صناعة الذهب، أما البضاعتان الثمينتان اللتان تكمنان وراء الثروات الكبرى التي تجمعت في مدن تجارية مثل أودغشتو سلجماسة و تاهرت فهما الذهب و تجارة الرقيق[1].

بالنسبة لذهب فقد كان الصراع العنيف بين الأمويين والفاطميين من أجل السيطرة على مسالك الذهب بين بلاد السودان وبلاد المغرب الإسلامي، وهي نقطة متصلة بالأولى، ولكنها أخطر شأنا، فلولا هذ المورد الثري لتجمع الثروات الذهبية لما استطاع الفاطميون أن يجمعوا تلك الذخائر الذهبية الضخمة مهما بلغت سياستهم المالية إحكاما، ونظامهم دقة واتقانا فقد كانت السيطرة على مسالك تجارة الذهب هي العامل الأول والأساسي الذي يكمن وراء ذلك الصراع الذي استمر طويلا بين قرطبة والمهدية وهو الصراع الذي يبرو في عالم الأحداث السياسية والعسكرية بين صنهاجة وزناتة فلم يكن صراعا قبليا كلاسكيا بل كان صراعا من أجل السيطرة على المسالك الحساسة لتجارة الذهب، وقد كانت رؤية أحد الباحثين[2]ثاقبة إذ يذكر في هذا الصدد أن هزيمة أبي يزيد عزلت أفريقية عن مناطقها الجنوبية عزلا لم يعرف من قبل، وكان نتيجة ذلك ضعف نشاط مسلك تجارة الذهب عن طريق ورجلان، فهو طريق يسيطر عليه الخوارج، ولم ينجح الفاطميون في السيطرة عليه، لذا فإننا نراهم يحاولون عن طريق الحملات العسكرية (أخرها كانت حملة القائد جوهر الصقلي سنة 347 هـ) السيطرة على المسلك الغربي: سجلماسة–أودغست– بلاد غانة – للحصول على ما يحتاجون إليه من الذهب [3]، وقد سعى الأمويون سعيا حثيثا لابعاد الفاطميين عن هذا المسلك وضمان وصول ذهب السودان إلى الأندلس عن طريقع: غانة–أودغست–سجلماسة– موانئ البحر البيض المتوسط، وهذ مايفسر استماتة الفاطميين من أجل السيطرة على المغرب الأوسط

---

[1] الحميري ، الروض المعطار، ص: 134.

[2]Robrt . D .et S . –j.Devisse .Tegdaoust .I.Paris.1970 . p .144 .

[3] المقريزي ، اتعاظ الحنفا السابق المصدر ، ج : 1 ، ص : 94 .

والمغرب الأقصى بحيث كان الحلف القبلي أبرز سلاحها ضف إلى ذلك استمالة بطن من عناصر العدو المتحالفة لتضرب به هذا التكتل القبلي (زناتة) فلا غرابة أن يحتدم الصراع بين الزناتيين حلفاء قرطبة والصنهاجيين حلفاء المهدية .

وكان لابد من الربط في هذا الصدد بين سيطرة الفاطميين على المسلك الغربي سيطرة كاملة بين سنتي 950 م /971 م وبين تجمع تلك تلك الثروة الذهبية [1] الضخمة في خزائن المعز لدين الله التي سمحت له بإرسال ميزانية عسكرية مع القائد جوهر في حملته لفتح مصر سنتي: 358 هـ/ 359 هـ بلغت جملتها 24 ألف ألف دينار (ما يقارب 10080 كلغ من الذهب)[2]، وهنا يتضح لنا جليا سبب شراسة الحروب وطول أمدها فالبعد الإقتصادي لتلك التحالفات القبلية كان بإيعاز القوى الكبرى من الفاطميين والأمويين للحفاظ على هذه الثروة .

بالنسبة للرقيق فقد أصبح السودان يشكل المصدر الأول له ابتداء من القرن الرابع هجري، و يبدو أن العبيد أصبحوا يشكلون القوة المنتجة الأساسية في جميع الأنشطة الاقتصادية، فكانوا هم العاملون في المناطق الزراعية الكبرى، و في الواحات الصحراوية المغربية و في حراسة القوافل التجارية و في البناء و الصناعات التي نشأت في مراكز العمران... و غيرها كثير[3].

ومما يثبت دقة وصرامة الخطط المالية التي طبقت من الطرف الفاطميين الثروة التي حملوها لمصر وقد أشار إلى ذلك المقريزي [4]: " ولما عزم المعز على الرحيل إلى

[1] تجلت ثروته أيضا فيما أنفقه قبل حملته على مصر بمناسبة ختان أبنائه سنة 351 هـ من مبالغ ضخمة ، فقد بلغ ماحمل إلى جزيرة صقلية وحدها خمسون حملا من الدنانير ، كل حمل عشرة ألاف دينار ، ومثل ذلك في كل عامل من عمال مملكته ليفرقه على أهل عمله ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، المصدر السابق ، ص : 100 .

[2] المصدر نفسه .

[3] لقد ذكر الأصطخري الذي ألف كتابه في النصف الأول من القرن الرابع الهجري عن صادرات المغرب و الأندلس إلى المشرق الإسلامي بقوله: " و الذي يقع من المغرب الخدم السود من بلاد السودان و الخدم البيض من الأندلس و– – الجواري المثمنات، تأخذ الجارية و الخادم من غير صناعة على وجوهها بألف دينار و أكثر...". الممالك و المسالك ص: 37.

[4] المقريزي ، شذور العقود في ذكر النقود ، النجف ، 1967 ن ص : 26 .

مصر أتاه بلكين بن زيري بألفي جمل من إبل زناتة، وحمل ماله بالقصور من الذخائر، سبك الدنانير على شكل الصواحين، جعل على كل جملة قطعتين، في وسط كل قطعة ثقبا تجمع به القطعة إلى الأخرى، فاستعظم ذلك الجند والرعية، صاروا يقفون في الطرق لرؤية بيت المال المحمول " وهي ذاتها الثروة التي بها أسقط العملة العباسية بمصر، ويؤكد ماذكرنا سالفا إدراك الدولة الفاطمية لخطورة السيطرة على مسالك تجارة الذهب،و ارتباط ذلك بثباها بمصر ومستقبلها وبتنفيذ سياستها التوسعية .

دور العرب في التجارة :

رغم أن العرب قد أحدثوا الخراب في المدن المغربية كما أشار معظم المؤرخين و تبعهم الباحثين، و الذي أدى إلى انعدام الأمن و اختفاء القلعة كمركز تجاري هام في الدولة و انتقال التجارة إلى السواحل[1]، إلا أن العرب قدلعبوا دورا اقتصاديا في المغرب الأوسط من حيث جباية الضرائب و مراقبتهم و تأمينهم لبعض الطرق التجارية[2]. و تنشيط حركة التجارة الساحلية، و لا سيما أن المدن الإيطالية نجحت في إقامة قواعد تجارية على السواحل المغربية[3]. و قد تحكموا في بعض الطرق التجارية الحمادية المرابطية حيث سيطر عرب بني حسان على الطريق الساحلي عبر حوض السينغال، كما سيطر عرب رياح على الطريق بين القلعة و وارجلان، و خاصة عقب موقعة سبيبة 458 ه/1065 م التي أتاحت للهلاليين فرصة التوغل في المغرب الأوسط و من ثم سيطرتهم الاقتصادية على الطرق الصحراوية التجارية المؤدية إلى السودان الغربي[4]، و خاصة طريق وارجلان الذي من خلاله تمر تجارة الرقيق، حيث كانت القبائل العربية تأخذ من

---

[1]Laroui: the history of the maghrib, P 150.

[2]Marçais: la berbèrie Musulmane, p p 211-213.

[3] علاوة عمارة و زينب موساوي: مدينة الجزائر في العصر الوسيط (مجلة إنسانيات، الجزائر، عدد خاص 44-45، 2009)، ص 36.

[4]قرمام حاج: العلاقات الحمادية المرابطية، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف ، الجزائر ، 1434ه / 2013 م.ص 96.

القوافل التجارة المارة بهذه الطرق ما يسمى بالخفارة، ثم ازداد توغلهم في بلاد الزاب التي بها كثير من الموارد ما يشجع العرب على البقاء بها[1].

كما كانت لبسكرةعلاقات تجارية مع السودان الغربي[2]، و قسنطينة، و وصل نفوذهم حتى القلعة مما دفع الناصر بن علناس (454-481 هـ/1069-1089 م) إلى مصالحتهم و إقطاعهم بعض الوديان حتى يرفعوا أيديهم عن البلاد، و بهذا نجح الأمراء الحماديون في تحويل المجموعات البدوية إلى جماعات منتجة و خاصة في الزراعة و التجارة[3] من خلال التحالف معهم.

و جدير بالذكر أن الغزوة الهلالية التي أعقبت قطع المعز بن باديس الدعوة الفاطمية لم تؤثر على النشاط التجاري المتبادل بين الفاطميين و مصر و الحماديين في المغرب الأوسط كما أن القوافل البرية و البحرية بين البلدين كانت تعمل متقاربة و في وقت واحد[4].

أما تجارة الذهب فنجد أن الذهب كان السلعة التي تجذب إليه التجار منذ القدم فهو محور تجارة السودان عبر الصحراء، و كان للعرب دور رئيسي في تلك التجارة فما أن ثبتت أقدامهم في المغرب الأوسط (وعصوصبوا) حتى بدأوا يتجهون إلى التجارة و تأمين الطرق الموصلة إلى مراكز الذهب كغانة [5].

---

[1]بن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص 126، فوزية كرزاز: السيطرة الاقتصادية الهلالية بالمغرب الإسلامي (مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، السنة الرابعة، العدد 12، دار ناشري للنشر الالكتروني، الكويت، 2011)، ص ص 53-54.

[2]قرمام حاج: العلاقات الحمادية المرابطية، ص: 96.

[3] فوزية كرزاز: السيطرة الاقتصادية الهلالية بالمغرب الإسلامي، ص: 54.

[4]حسن خضيري: علاقات الفاطميين بدول المغرب، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط : 1 .ص: 98 .

[5] منى حسن أحمد محمود: تجارة السودان الغربي قبيل قيام دولة المرابطين في القرن 5 هـ (مجلة المؤرخ المصري ، دراسات وبحوث تاريخية محكمة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ،1991م ، العدد السابع ، 241،302).، ص ص: 280-281.

العلاقات التجارية مع بلاد السودان الغربي : [1]

بدأت العلاقات التجارية بين المغرب و السودان الغربي منذ عهود مبكرة، حيث ساعدت التجارة على انتشار الإسلام و اللغة العربية و تكوين دول إسلامية مثل غانة الإسلامية و مالي و سنغال و كانم و البرنو[2]. و قد أشار (De Mas Latrie)[3] إلى أن الدولة الحمادية كان لها تجارة مع بلاد السودان الغربي حيث تصدر إليهم الفاكهة و اللحوم و القطران.

شبكة سجلماسة بين المغرب الأوسط و السودان الغربي

طريق سلجماسة :

رغم أن زناتة كانت تسيطر على التجارة مع بلاد السودان الغربي في القرن الخامس الهجري، إلا ان الحماديين حاولوا إثبات قدم لهم في السودان و القيام بدور الوسيط[4]. و كانت سلجماسة هي الممر و الوسيط لتجارة الحماديين مع السودان الغربي[5].

و قد كانت التجارة مع السودان تقوم على المقايضة بين التجار المغاربة و السودانيين في منطقة الساحل الصحراوي[6]. و كان الذهب من أكثر السلع التي يتم بها

---

[1] السودان الغربي: هو الدول الواقعة غربي افريقية و هي حسب وضعها الجغرافي من الغرب إلى الشرق هي مملكة مالي و تعرف أيضا بمملكة ماندنجو و تمتد غربا من المحيط الأطلنطي غربا حتى مدينة كوكو في الجنوب الغربي من بحيرة تشاد شرقا، تليها مملكة البرنو و التي تمتد من بلاد التكرور غربا حتى الشمال الشرقي لبحيرة تشادن تليها مملكة الكانم من بحيرة تشاد شرقا حتى الحدود الجنوبية لمصر غربا. حامد عمار: علاقات مصر بالدول الافريقية في العصور الوسطى، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1996، ص: 20-21.

[2] خالدي مسعودي: الصلات الاقتصادية و الدبلوماسية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي و أثرها على الحياة الثقافية بين القرنين الثاني و الثالث هجريين، (مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، السنة السادسة، العدد 20، دار ناشري للنشر الالكتروني، الكويت، 2013)، ص: 84-86.

[3] De Mas Latrie: traités de paix et commerce, P 31.

[4] عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري ، دار الشروق ، القاهرة ، 1983 م ، ص: 278 .

[5] Laroui: the history of the maghrib, P 135.

[6] البكري: المغرب، ص: 183. ابن الفضل العمري: مسالك الأبصار، ص: 128.

المقايضة فالسودان هي المصدر الرئيسي للذهب[1]، و لاسيما بعد نفاذ مناجم سجلماسة،و لهذا كانت السودان هي المنبع للمغرب الأوسط و أصبحت سجلماسة الممر الذي يسلكه تجار الذهب من السودان إلى المغرب الأوسط[2]. حيث شهدت مدينة سلجماسة حركة تجارية نشيطة اتجاه بلاد السودان، و قد ذكر ابن حوقل[3] أن قوافل التجار غير منقطعة[4] كما يشير الحموي[5] أن التجار كانوا يحملون الملح و عقد الخشب الصنوبر و خرز الزجاج الأزرق من سلجماسة إلى غانة، و كانت المسافة تقدر بين هذين المركزين التجاريين بمقدار شهرين[6]. إلا أن هذه السلع لم تكن مغربية بل كانت مشرقية حملها تجار تجار الشرق إلى المغرب و منها إلى السودان الغربي[7]، و قد أشار ابن حوقل[8] إلى أهمية أهمية معدن الملح في السودان الغربي حيث كانوا يستخدمونه في تجفيف الأسماك، فقد كان الملح ثمنه في غانة ما بين مائتين أو ثلاثمائة دينار، إلى جانب طريق سلجماسة غانة، هناك طريق آخر يخرج من سلجماسة و منها إلى تامدلت ثم يواصل طريقه إلى أودغشت[9] مسيرة شهرين[1].

---

[1] الاستبصار، ص 216. البكري: المغرب، ص 159. ص ص: 41،48.. أبي الحسن علي ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تح : حسين مؤنس ، سلسلة خبايا الزوايا ، مجلة المعهد المصري لدراسات الإسلامية في مدريد ، مج : 6 ، العدد : 1، 2 ، 1378هـ /1958م .

[2] قرمام حاج: العلاقات الحمادية المرابطية، ص ص 91-92. فاطمة بلهواري: العلاقات التجارية بين بلاد المغرب ص: 31.

[3] صورة الأرض، ص: 65.

[4] ابن حوقل: صورة الأرض، ص: 65.

[5] معجم البلدان، ج2، ص: 12.

[6] الحميري: الروض المعطار، ص: 225.

[7] فاطمة بلهواري: العلاقات التجارية بين بلاد المغرب و السودان الغربي خلال القرن الرابع الهجري /العاشر ميلادي (مجلة كان التاريخية ، دورية إلكترونية محكمة ، السنة الثالثة ، العدد 10 ، دار ناشري للنشر الإلكتروني ، الكويت 2013 م (31 ،37).ص 33

[8] صورة الأرض، ص 101.

[9] أودغشت: هي مدينة بين جبلين في قلب البر الجنوبي لمدينة سلجماسة بينهما مسيرة نيف و أربعون مرحلة، بها العديد العديد من الأسواق و في شرقيها بلاد السودان، و قد قامت في أودغشت مملكة لمتونة بعد دخولهم الإسلام في

طريق وارجلان:

و هناك طرق أخرى غير طريق سلجماسة يصل بها ذهب السودان إلى المغرب عن طريق ورقلة (وارجلان) و التي ارتبطت بالمغرب الأوسط عن طريق المسيلة التي تبعد عنها بمسافة 12 مرحلة كبار، و منها الطريق الشرقي عبر الجريد و طرابلس مرورا بغدامس[2].

و قد كان لتحويل الطرق التجارية البرية إلى التجارة البحرية عقب الغزوة الهلالية إلى تقليل الطرق الجبلية التي تربط بين تلمسان و سلجماسة[3].

و جدير بالذكر أن وارجلان كانت مرتبطة تجاريا مع بلاد السودان منذ العهد الفاطمي حيث كان تجارها يحملون إلى غانة و نقاوس منتجات الشمال و خاصة التمور[4] و الملح و المنسوجات و زيت الزيتون و المرجان[5]، التي تصلهم بواسطة تجار قسنطينة و القلعة و يعودون محملين بالذهب و العبيد و جلود الماعز المدبوغ و الصمغ و غيرها من بضائع السودان، و قد عبر أحد شعراء ورجلان قائلا:

منتصف القرن اثني عشر للهجرة الثامن ميلادي، و التي ساعدت على انتشار الإسلام جنوب السودان و أصبحت عاصمة غانة. الحموي: معجم البلدان، ج1، ص ص 288-287

[1] منى حسن أحمد محمود: تجارة السودان الغربي قبيل قيام دولة المرابطين في القرن 5 هجري، ص 264-265

[2] الهادي روجي إدريس: الدولة السنهاجية، ج2، ص: 281.

[3] عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب، ص: 314.

[4] حمزة يحيى: ذهب السودان الغربي في أوج استغلاله خلال العصر الوسيط الموطن... و العلاقة مع المغرب الأقصى (مجلة المؤرخ، جمعية ليون الافريقي، الدار البيضاء، العدد 7، 2010) ص: 31. رشيد بوريبة: الدولة الحمادية، ص: 150.

[5] طاهر راغب حسين: دور القبائل العربية بالمغرب العربي منذ المسيرة الهلالية حتى نهاية حكم الموحدين، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1399 هـ/1989م، ص: 230.

جزا الله ورجلان خير ما جزى به بلدا طالب الخير سائر
خو جنة الدنيا و أبواب مكة معدن تبر غانة و الدنانير[1].

و يمكن القول أن وارجلان كانت تحتكر تجارة المغرب الأوسط مع بلاد السودان الغربي[2] و قد وصفها الإدريسي[3] بقوله: هي مدينة فيها قبائل مياسير، و تجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان غلى غانة و بلاد نقارة فيخرجون التبر و يضربونه في بلادهم باسم بلدهم..." و هذا يعني أن في وارجلان مسبكا للذهب يضربون فيه الذهب المجلوب من السودان، كما كانت وارجلان تصدر العبيد القادم من السودان إلى بقية المدن المغربية[4]، و لهذه المكانة التي تمتعت بها وارجلان فقد بنيت بها العديد من الفنادق لاستقبال التجار الوافدين إليها[5].

طريق تاهرت:

كما أن طريق تيهرت– السودان يمر عبر منطقتين الأول يمر بسلجماسة حيث تمر القوافل من تيهرت إلى فاس ثم سلجماسة، و كان اليعقوبي أول من أشار إلى وجود طريق يربط بين تيهرت و سلجماسة و من خرج من تاهرت سالكا الطريق بين القبلة و الغرب سار إلى مدينة يقال لها أوزكا، و الغالب عليها فخذ من زناتة يقال لهم بنو مسرة... من مدينة أوزكا لمن سلك مغربا إلى أرض زناتة، ثم يسير إلى مدينة سلجماسة و منها إلى السودان الغربي[6]. أما الطريق الثاني الذي يربط بين تهارت إلى حصن ابن كرام عبر متيجة و منه إلى إمارة هاز ثم إلى بلد بني دمر، ثم يصلون إلى بوابة بلاد الزاب من

---

[1]عبد العزيز فيلالي: قلعة بني حماد الحاضرة الإقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 5هـ /11 م (مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد 7 جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ، الجزائر ، 2006 م (7، 22))، ص: 12.

[2] مسعود مزهودي: الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (296–422 هـ/909–1058 م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1988، ص: 158.

[3] المغرب، ص ص: 120،121

[4] ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص: 126.

[5] مسعود مزهودي: الإباضية في المغرب الأوسط، ص : 158

[6] اليعقوبي ، البلدان ، ص: 149،150.

الجهة الغربية و هي أدنة، و منها إلى المسيلة ثم طبنة ثم بسكرة وصولا إلى وارجلان المؤدية إلى مراكز السودان الغربي[1].

و هناك طرق أخرى للتجارة مع السودان الغربي و هو طريق وارجلان-غانة ترجع أهميته أن غانة كانت البوابة الأساسية لدخول التجار المغاربة إلى منطقة نقاوة[2]، ينطلق هذا الطريق من سلجماسة و تصل المسافة بين سلجماسة و غانة شهرين و تمر بثلاثة مراكز رئيسة تامدلت و ايزل و أودغشت[3]، و بين أودعشت و وارجلان إحدى و ثلاثين مرحلة[4]، كانت مدينة غانة محط القوافل التجارية و خاصة القوافل المتجهة إلى السودان الغربي، كما كانت التجارة منتظمة بين غانة و مدن المغرب و كانت السلع الرئيسة من غانة هي الذهب و الرقيق و الجلود، فضلا عن السلع الأخرى كالعاج و الصمغ و القطن[5]، أما السلع الصادرة إلى بلاد السودان فعلى رأسها الملح و التي كانت متوفرة بكثرة بكثرة في مناجم سلجماسة[6]، هذا إلى جانب النحاس الأحمر و الملون و الأكسية و الصوف و العمائم و الزجاج و الحديد المصنوع و الفواكه المجففة و خاصة التمر[7].

و مما يؤكد على وجود العلاقات بين مدن المغرب و بلاد السودان الغربي الحفريات التي عثر عليها في مدن السودان الغربي من أواني فخارية و مصابيح زيتية من صناعات المغاربة[8].

---

[1] فاطمة بلهواري: العلاقات التجارية بين بلاد المغرب و السودان الغربي، ص: 32.

[2] مسعود مزهودي: الإباضية في المغرب الأوسط، ص: 184

[3] البكري: المغرب، ص ص 149-159-164-168. حمزة يحيى: ذهب السودان الغربي في أوج استغلاله خلال العصر الوسيط، ص: 32.

[4] الإدريسي، المغرب، ص: 32.

[5] منى حسن أحمد محمود: تجارة السودان الغربي قبيل قيام دولة المرابطين، ص ص: 286،289

[6] ابن حوقل: صورة الأرض، ص: 98.

[7] الادريسي: نزهة المشتاق، مج1، ص: 232.

[8]مسعود مزهودي: الإباضية في المغرب الأوسط، ص 205.

البعد الإجتماعي لتحالفات القبلية

مظاهر التنظيمات الاجتماعية القبلية :

أنظمة التعاقد :

من بين أنظمة التعاقد بالمجتمع المغربي (الرضاع)فقد جسدت الكاهنة هذا الأخير عندما نظمت بإشرافها " عقد الأخوة" بين أبنائها وبين العرب الفاتحين أو ما يقوم مقامه من التعاقد مثل أكل الزميطة أو البسبسة التي حضرتها بطريقة مغربية خاصة وتناول أكلها أعضاء الجهات المتعاقدة على صدرها[1]، ويختلف رضاع الكاهنة عن نظام الرضاع في الإسلام فهذا الأخير تحكمه قوانين شرعية محددة ، ومن وسائل التعاقد القبلي هو هذا الذي عرف " بالظاظا " أو " التاظا ".

وهناك طرق أخرى تحقق التعاقد الجماعي بين قبائل البربر ويهمنا منها طريقة " الدم " التي تتم في جمع عام بين زعماء القبائل ويختار هؤلاء ذبيحة مشتركة بالمساهمة بين قبائل المتعاقدة ، وتذبح في مشهد جماعي ويحتفظ بدمها الذي سال منها أثناء الذبح في قصعة " ثم توضع أيدي الزعماء المتعاقدين الذين اختارتهم قبائلهم لتمثيلها في هذا التعاقد الجماعي " الحلف القبلي " وأحيانا تكتب وثيقة إشهاد على هذا التعاقد .[2]

دور الحرب في إعادة إنتاج التحالفات القبلية

الراجح أن القبيلة، و هي تحارب غيرها لإثبات استقلال كيانها، تشعر أنه من الصعب أن تعتبر الكل أعداء لها، كما هو صعب أن تجعل الكل أصدقاء و حلفاء لها، من أجل ذلك نجدها تعقد تحالفات و اتفاقات مع بعض جيرانها، تأخذ في مثل حالة بعض القبائل العربية شكل ميثاق يتعاهدون فيه أن يكونوا صفا واحدا متساندا، ينفرون إلى القتال معا، و يحتملون الديات معا، و يأخذون بثارات بعضهم بعضا، على حد تعبير أحد الباحثين[3].

---

[1] – ابن عذارى المراكشي ، البيان ، المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 37 .

[2] – قاسمي العلوي ، المرجع السابق ن ج : 1 ، ص : 280 ، 295 .

[3] – مصطفى أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية، ص 234.

بالنسبة لأشكال التحالف و طرقه، لم تسعفنا المادة المصدرية المتاحة في كشف النقاب عنها، و كما ذكرنا سابقا من ذلك ما يعرف بـ " الطاطا" التي تقنن العلاقات بين بعض القبائل و تأخذ طابعا شبه ديني و مقدس، " و هي أيضا عقد تحدده قوانين صارمة لا يسمح بخرقها...إن الطاطا تحالف يمر عبر طقس إذ يتم التحالف عن طريق تبادل الحليب لإرساء علاقة قرابة وهمية تحاكي علاقات القرابة الطبيعية كما أنه يتم أيضا عبر ذبح الكبش. و تسمى الطاطا أيضا عند بعض القبائل " بالخاوة" و تجبر خلق علاقات قرابة هذه الأفراد الذين أصبحوا إخوة على الالتزام بنفس الالتزامات التي تقتضيها الروابط العائلية الحقيقية داخل نفس العائلة...".

و الظاهر ان المصاهرة و تبادل النساء شكل أهم وسيلة لعقد التحالف باعتبار أن علاقات القرابة[1] في مثل هذه المجتمعات هي الوسيلة الفضلى لضمان نجاح الحلف و توثيق عقده. و إن كنا نعتبر أن القرابة هنا لا تكفي إلا إذا كانت المصلحة مشتركة بين الطرفين، و مرتبطة بمدى ما يمكن أن تحصل عليه القبيلة من هذا الحلف. و تقدم حالة بني جابر من جشم خير مثال على ذلك، فقد تحيز هذا القبيل " إلى سفح الجبل بتادلا، و ما غليها يجاورون هناك صناكة الساكنين بقشنة و هضابه، من البربر، فيسهلون غلى تبسيط تارة، و يأوون إلى الجبل في حلف البرابر و جوارهم أخرى، إذا داهمتهم مخافة من السلطان أو ذي غلبة"[2].

و كيفما كان الحال، فقد كانت علاقات المصاهرة تكتسي في مثل هذه الحالات صبغة سياسية، يهدف من ورائها الطرف المتحالف إلى تصدير الحرب خارج القبيلة، و

---

[1] طبعا نميز هنا بين القرابة باعتبارها علاقة دموية، و المصاهرة باعتبارها علاقة زواجية، ف " القرابة هي علاقة اجتماعية تعتمد على الروابط الدموية الحقيقية أو الخيالية أو المصطنعة، و لا يعني اصطلاح القرابة في الأنتروبولوجيا علاقات العائلة و الزواج فقط، و إنما يعني أيضا المصاهرة، لكن القرابة هي علاقة دموية و المصاهرة هي علاقة زواجية، فعلاقة الأب بابنه هي علاقة القرابة بينهما و علاقة الزوج بزوجته هي علاقة مصاهرة..."

أنظر للتفصيل، ديكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة و مراجعة إحسان محمد الحسن، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1981، ص ص 130-131

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص 42

توجيهها للآخر الذي لم يشمله عقد التحالف. و إذا اردنا أن نقدم مثالا لذلك، ألفينا قبائل صنهاجة فعندما انفرد حماد بعمل المسيلة وطبنةوالزاب وأشير وتاهرت وما يفتح على يديه من بلاد المغرب ورضي الجميع (الزيريين) الصلح وحلفوا عليه واستقرت الأمور بينهما وتصاهرا وزوج المعز أخته لعبد الله بن حماد ورفعت الحرب أوزارها وافترق ملك صنهاجة إلى دولتين[1] كما اتبع الحماديون مع زناتة عدة وسائل سياسية وصولا إلى إخماد ثوراتهمالمتكررة منها المصاهرة فقربوا إليهم بني ومانوا وتزوجوا من أخوات ماخوخ رئيسهم وهي ذات الوسيلة التي استعملوها مع أبناء عمومتهم[2]كما حاول أيضا الحماديون تهدئة الصراع مع المرابطين فقد صاهر المنصور المرابطين[3] واستمرت سياسة المصاهرة بعد ذلك خاصة مع بداية القرن 7 هـ/13م، لتصدير الحرب التي كانت تنشب باستمرار[4] إلى عدو آخر اتضحت معالمه سنة 601 هـ/1204م، التي تؤرخ لآخر حرب كانت بينها في المجالات القفرة التي كانت تستوطنها[5]. من أجل ذلك اتخذ شيخ بني حمامة عبد الحق بن محيو من بني مرين زيجاته من بعض فروع بني مرين الأخرى، فاتخذ " النوار بنت تصالت" من بني ونكاسن[6] (أو بني ينجاسن)، و " تاعزونت بنت أبي بكر بن حفص" من بني تنالفت[7]. مثلما اتخذ زيجات أخرى من قبائل زناتية كما هو الحال " أم الفرج" من بني عبد الواد[8]، و " أم اليمن بنت محلي البطيوي" من بطوية الزناتية[9].

1- عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد ، ص : 70 .

2- نفس المرجع ، ص : 176 .

3- المرجع نفسه ، ص ك 182 .

4- المرجع نفسه، ص : 397.

5- ابن أبي زرع، الدخيرة السنية، ص 25-26

6- ابن خلدون، العبر، ج7، ص 225

7- المصدر نفسه، الصفحة نفسها، ابن الأحمر، روضة النسرين، ص 25

8- مجهول، الحلل الموشية، ص 174. ابن أبي زرع، الدخيرة السنية، ص 65

9- المقدمة، ص 132

و إذا كانت الحكمة التي تؤطر مثل هذه التحالفات تقتضي أنه إذا كان لنا أعداء فينبغي تعيين حلفاء بتحويلهم إلى أصهار، فإن صلات القربى و المصاهرة لا يمكن أن تقوم بالدور الذي من أجله عقدت إلا إذا ارتبطت بالمصلحة المشتركة، و ما يمكن أن يستفيد منه الأطراف منها، لذلك يقتضي التحالف تقسيما عادلا لكل ما يمكن أن ينتج عنه من نفوذ أو أرض أو مال، و هو ما يفسر حرص بني مرين على تقسيم الأرض و الغنيمة و النفوذ على كل القبائل المشاركة"[1]، و كل خروج عن هذه القاعدة يعني تفككا للتحالف، و استشراف آفاق الحرب .

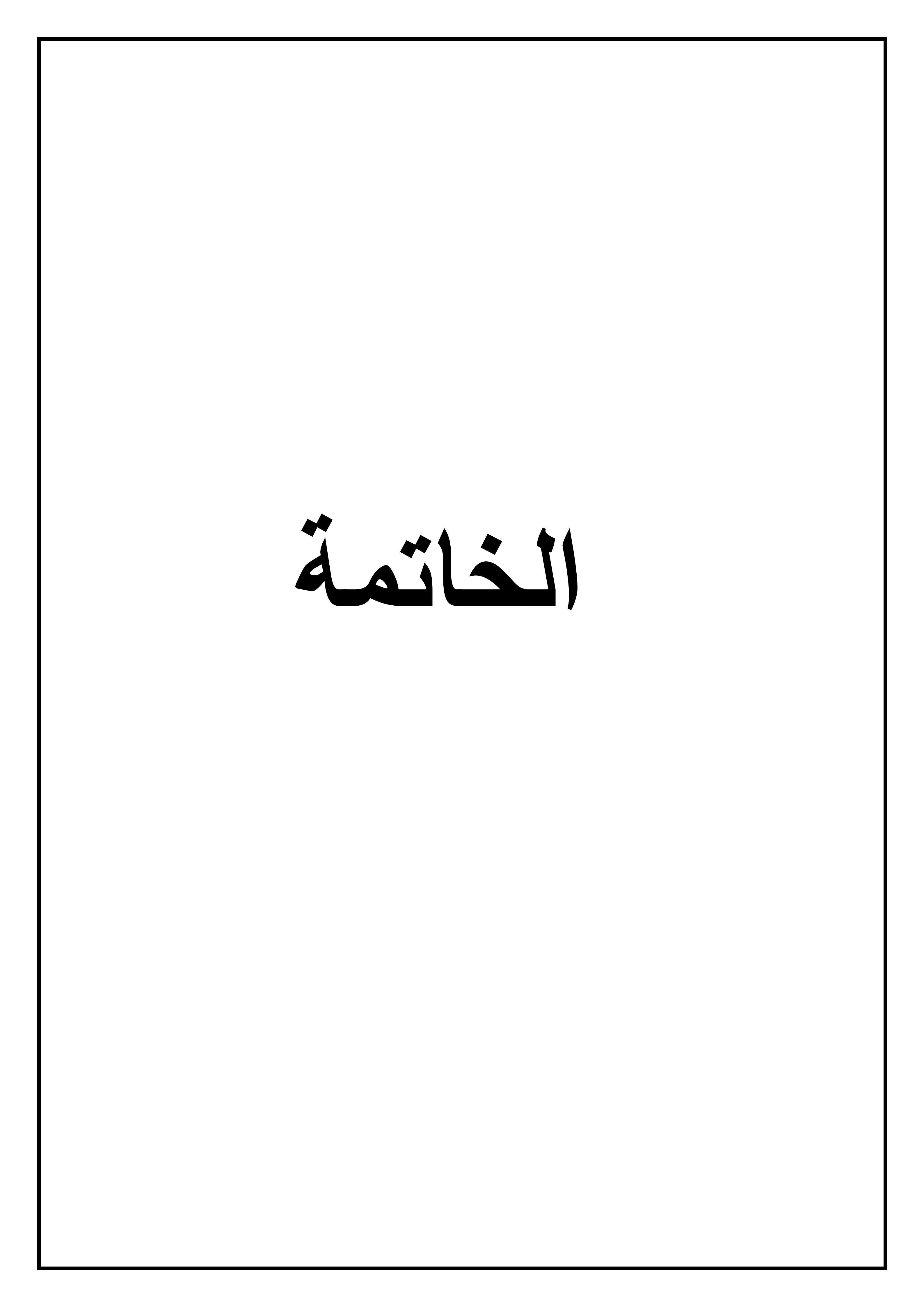
عموما، يمكن القول إن الحرب حين تحافظ على استقلال كل جماعة، و على وحدة كيانها، تنتج نقيضها الذي هو التحالف وفق قاعدة " المساهمة و المشاركة""، لكن التحالف يقتضي هو أيضا أن يكون أحد الأطراف المتحالفة قويا " لأن الاجتماع و العصبية بمثابة المزاج في المتكون، و المزاج في المتكون لا يصلح إذا تكافأت العناصر"، فلابد من غلبة أحدها، و إلا لم يتم التكوين '...) ثم إن القبيل الواحد و إن كانت فيه بيوتات متفرقة، و عصبيات متعددة، فلابد من عصبة تكون أقوى من جميعها تغلبها و تستتبعها و تلتحم جميع العصبات فيها، و تصير كأنها عصبية واحدة كبرى، و إلا وقع الافتراق المفضي إلى الاختلاف و التنازع(...) ثم إذا حصل التغلب لتلك العصبية على قومها، طلبت بطبعها التغلب على أهل عصبية أخرى بعيدة عنها، فإن كافأتها أو مانعتها كانوا أقتالا و أنظارا، و لكل واحدة منهما التغلب على حوزتها و قومها (...) و إن غلبتها و استتبعتها التحمت بها أيضا، و زادتها قوة في التغلب إلى قوتها، و طلبت غاية من التغلب و التحكم أعلى من الغاية الأولى و أبعد، و هكذا دائما حتى تكافئ بقوتها قوة الدولة، فإن أدركت الدولة في هرمها، و لم يكن لها ممانع من أولياء الدولة أهل العصبيات، استولت عليها، و انتزعت الأمر من يدها، و صار الملك أجمع

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص 345، الناصري، الاستقصاء، ج2، ص 328

لها..."[1]، و هو ما يكمن تأكيده بالنسبة لقبائل زناتة التي استطاعت، بالقوة أو بالتحالف، أن تغالب غيرها من القبائل.

قصارى القول، إن الحرب كانت تحضر باستمرار بين القبائل لتحافظ على اختلافها و تمايزها، لكنها تنتج أيضا نقيضها عندما تحتاج كل قبيلة إلى من يسند ظهرها، و يعينها على عدوها، فتكون بذلك الحرب عنصر تقسيم و تجزيء، و في الآن ذاته عنصر لم و توحيد، و مع ذلك، فإنها لم تكن تنتج نقيضها الذي هو التحالف- سواء كان بالطرق الذي ذكرناها، أو بضم القبائل الأخرى بالقوة و الغلبة- إلا لتنتج حربا أخرى على كل من لم تشمله عملية التحالف .

[1] - محمد عابد الجابري، العصبية و الدولة، ص ص 28،29.



الخاتمة

- إن منطقة الصحراء المغربية عموما عمّرتها عناصر بشرية وافدة ومتحركة تبعا للمؤثرات البيئية الطبيعية من توفر المياه ومناطق للرعي أو جفاف أو قحط أو عامل سياسي أو ثوري فالجهة بطبيعتها منطقة للعبور ، طاردة جاذبة في نفس الوقت وفي سياق هذا المؤثر كانت حركية تاريخها .

- وجدت بالمناطق الشبه الصحراوية والصحراوية طاقة بشرية هائلة سخرت للمستنجدين بها من ثوار وعلماء .

- معظم قبائل الصحراء بتر وقلة منهم برانس امتدت مجالاتهم الجغرافية في الترحال والانتجاع من برقة إلى حوض نهر ملوية شمالا ومن فزان شرقا إلى سجلماسة و درعة جنوبا .

- صنفت القبائل المغربية في المناطق الصحراوية قديما بقبائل الأحلاف وقبائل التبعية وقبائل الولائية واستمر الوضع هذا إلى ما بعد الفتح الإسلامي للمغرب.

- استمر نظام التعاقد في المجتمع المغربي بطريقة الرضاع في عصور التاريخ المغربي وبدخول التنظيم الإسلامي الجديد بدأ تعديل العرق المحلي حيث دخلته قواعد الضبط الإسلامي .

- بعد الفتح الإسلامي إلى القرن الثالث هجري تحول اسم القبائل البترية إلى زناتة كما أصبح بالمؤثرات السياسية و الإقتصادية حدود زناتة هلامي الطابع تتلاحم في داخله جميع القبائل التي تتحد مصالحها معا .

- إن مسألة تعمير الصحراء بالسكان لم تمت بمجرد تغيير المناخ إلى مناخ صحراوي جاف وقاحل فقد حولتها الطرق التجارية الصحراوية في العصور الإسلامية إلى منطقة حيوية بفضل أهم محرك اجتماعي في هذه الجهات (القبائل) .

- لم يكن الحلف الزناتي من قبائل البتر فقط بل حالفت زناتة قبائل برنسية مثل هوارة وعجسية وبعض قبائل كتامة في منطقة الزاب ضد الفاطميين وخاصة عند دخول صنهاجة ميدان الصراع .

- كانت مطاردة صنهاجة لزناتة أثر في التركية الاجتماعية لمناطق البتر (منطقة هضاب وسهوب المغرب) فاتجه الكثير منهم إلى الصحراء حتى منابع نهر ملوية والسفوح الشرقية لجبل الدرن إلى أن وصلت جموعهم الكبرى إلى المغرب الأقصى وجنوبا نحوى الصحراء.

- لقد كان النسق القبلي إما في سياق التضامن أو التعارض القبلي مع قوى خارجة عن ذاته سواء كانت قوة الدولة المركزية أو قوة أجنبية مهاجمة مما يجعل القبيلة الوحيدة أو الحلف القبلي مؤسسة مستقلة بذاتها .

- لقد واجهت قبيلتى مغراوة وبنو يفرن الفاطميين بالعداء منذ بداية التدخل العبيدي في الجهات الغربية وتزعم هذه المقاومة محمد بن خزر .

- تابعت الدولة الفاطمية سياسة "فرق تسد" حتى داخل الحلف الزناتي حيث حالفت مكناسة وضربت بها زناتة ، كما كان الوضع القبلي في القرن الرابع منقسما على مستوى المواقف الولائية مما يعني أن " التجمع الحلفي الزناتي " قد انقسم مغراوة وبنو يفرن ضد العبيدين و مكناسة بزعامة مصالة مع العبيديين .

- لم تنتهي الصراعات والأحلاف القبلية بذهاب الفاطميين إلى مصر حيث تركت صنهاجة خليفة لها ترعى مصالحها مما أثار أحلاف الفاطميين أنفسهم (كتامة – أسرة بني حمدون بالزاب) إذ حالفت الأمويين كانت الحرب بالوكالة في المغرب الإسلامي بين قبائل الشمال (صنهاجة والبرانس عموما) وقبائل الصحراء (البتر المتمثلين في زناتة) مدعمة من طرف قوتين أجنبيتين الفاطميين والأمويين وظاهر الصراع كان مذهبي لكن باطنه اقتصادي بحث .

- لعبت الطرق التجارية دورا مهما في محورية التحالف بين القبائل المغربية والقوى الأجنبية لما تمثله من ثقل اقتصادي خاصة الذهب الذي ساهم في بناء المعسكرين المتضادين (الأمويين والفاطميين) .

- لم تتوقف زناتة عن محاولة بسط نفوذها خاصة بعد غياب الفاطميين وتغير ولاء الصنهاجيين حيث نشطت في برقة و طرابلس وبلاد الجريد والزاب بقيادة عائلة أو أسرة بني خزرون الزناتيين .

- لعبت صنهاجة الجنوب دورا بارزا في الساحة السياسية خاصة بعد نجاح زعيمها الروحي عبد الله بن ياسين من عقد حلف قوي بين قبائلها المتناحرة ووضع حد لزناتة التي عاثت فسادا في سجلماسة وأحوازها .

- كانت الهبة الهلالية أثر بارز في خلخلة التركيبة الاجتماعية والبشرية للمغرب عموما والمناطق الصحراوية التي فضّلتها هاته القبائل تماشيا مع نمط عيشها السابق فما تبقى من زناتة وأحلافها هزم وطرد إلى ما وراء الزاب .

- كانت القبائل القيسية تمثل الغالبية في الموجة الأولى من الهجرة الهلالية وخاصة من بين هلال ومنهم زغبة ورياح والأثبج وعدي بينما شكل بنو سليم العدد الأهم ففي الموجة الثانية والمشتملة على بطون زغبة وعوف وذياب ودواحة وغيرهم من القبائل القيسية مثل فزارة والأشجع من غطفان وبنو حشم وسلول من هوزان بنو عدوان بن عمر بن قيس بن عيلان كا جاء من القحطانيين أفراد من بني هلال في الهجرة الأولى وكان المعقل فرعهم الرئيسي .

- أما عن استقرار القبائل العربية في الصحراء فقد انتشر من قبائل الأثبج مثل بني دريد في المناطق الواقعة من قسنطينة و بونة في جزئها المحادي لصحراء كما استقرت قبائل بني قرة في الأجزاء الشرقية من جبل الأوراس المجاور للصحراء .

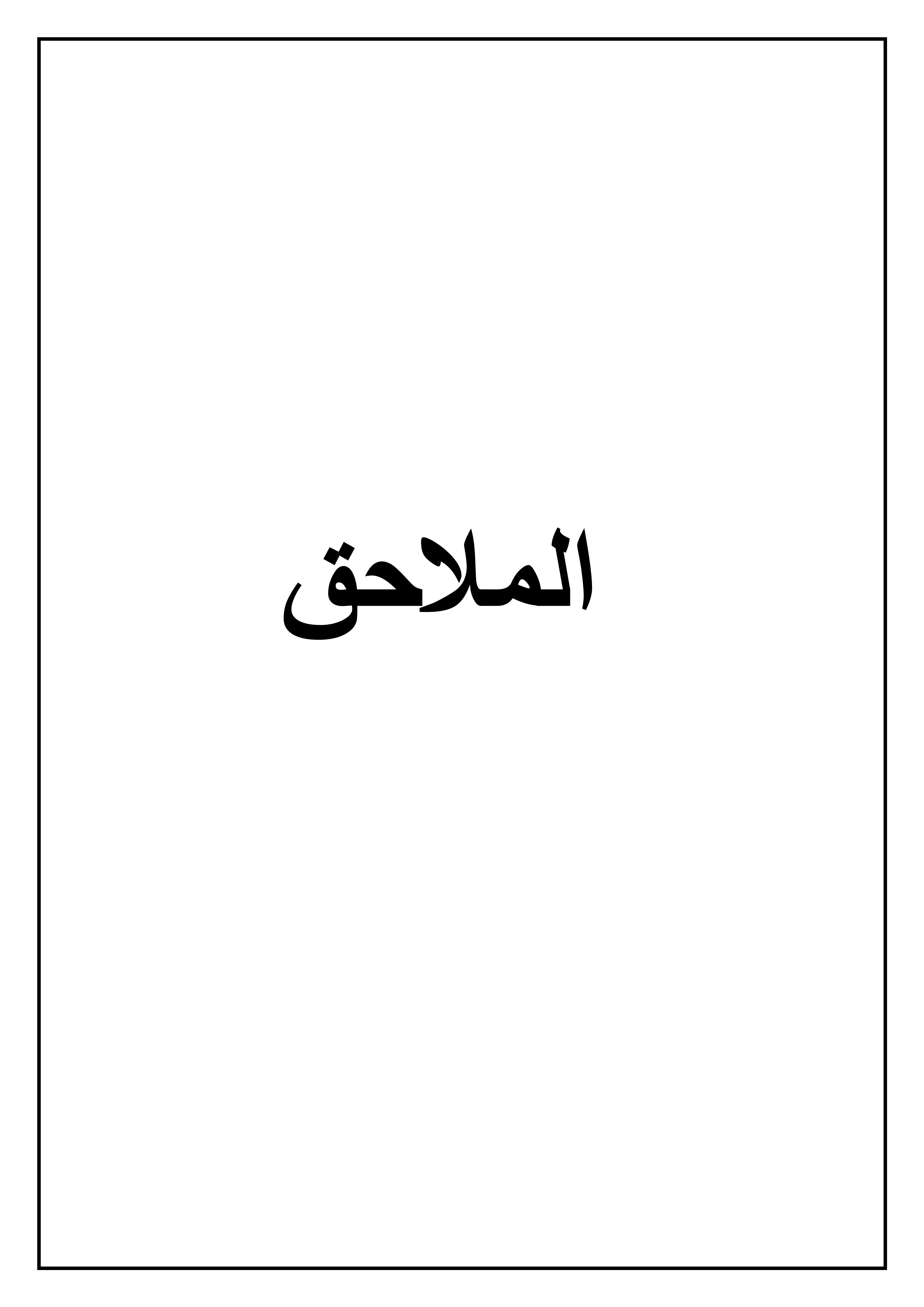
- لم تجد القبائل البربرية بديلا عن مداهنة القبائل العربية عاشت هذه الأخيرة فسادا في الأرض فكان منها تحالفات سياسة تمثلت في المشاركة في الحروب وبسط السيطرة على الأقاليم ومما متن هذه الأحلاف القبلية المصاهرة بينهما .

- انفردت القبائل العربية ببعض الأقاليم من خلال بسط نفوذها وتحالفها مع قبائل المنطقة أو السيطرة بالقوة مثل إمارة بني رند بقفصة وإمارة ابن مزنى بسكرة وتميزت القبائل المسيطرة على بلاد القبلة (الأقاليم : قفصة – نفزاوة – التراب) بكثرة

التمردات في العهد الموحدي مما دفع بهذه الأخير إلى تحويل بطون عربية من جغرافيتها إلى حدودها بمراكش وغيرها حتى تسهل السيطرة عليه.

- إن غياب الاستقرار و اهتزاز اقتصاد القبيلة يحتم على أفرادها السعي إلى الحفاظ على أعلى درجات التضامن فيما بينهم فتعاونهم شرط أساسي لبقائهم .

- لقد كان العامل الديني دور في الوحدة التي امتدت من الغرب إلى الشرق و من الشمال إلى الجنوب، إلى أن هذا الأخير لم يوحد بين العلاقات الداخلية بين الفسيفساء " القبلية، فقد كان التصرف فيما بينها شبيها بتصرف الغرماء إزاء بعضهم بضعا خاصة بتطور شبكة كبرى من المسالك فقد عدت هذه الأخيرة عاملا محركا للمنافسة الاقتصادية بين الأمراء و زعماء القبائل و الجهات و الأقاليم و الدول.



الملاحق

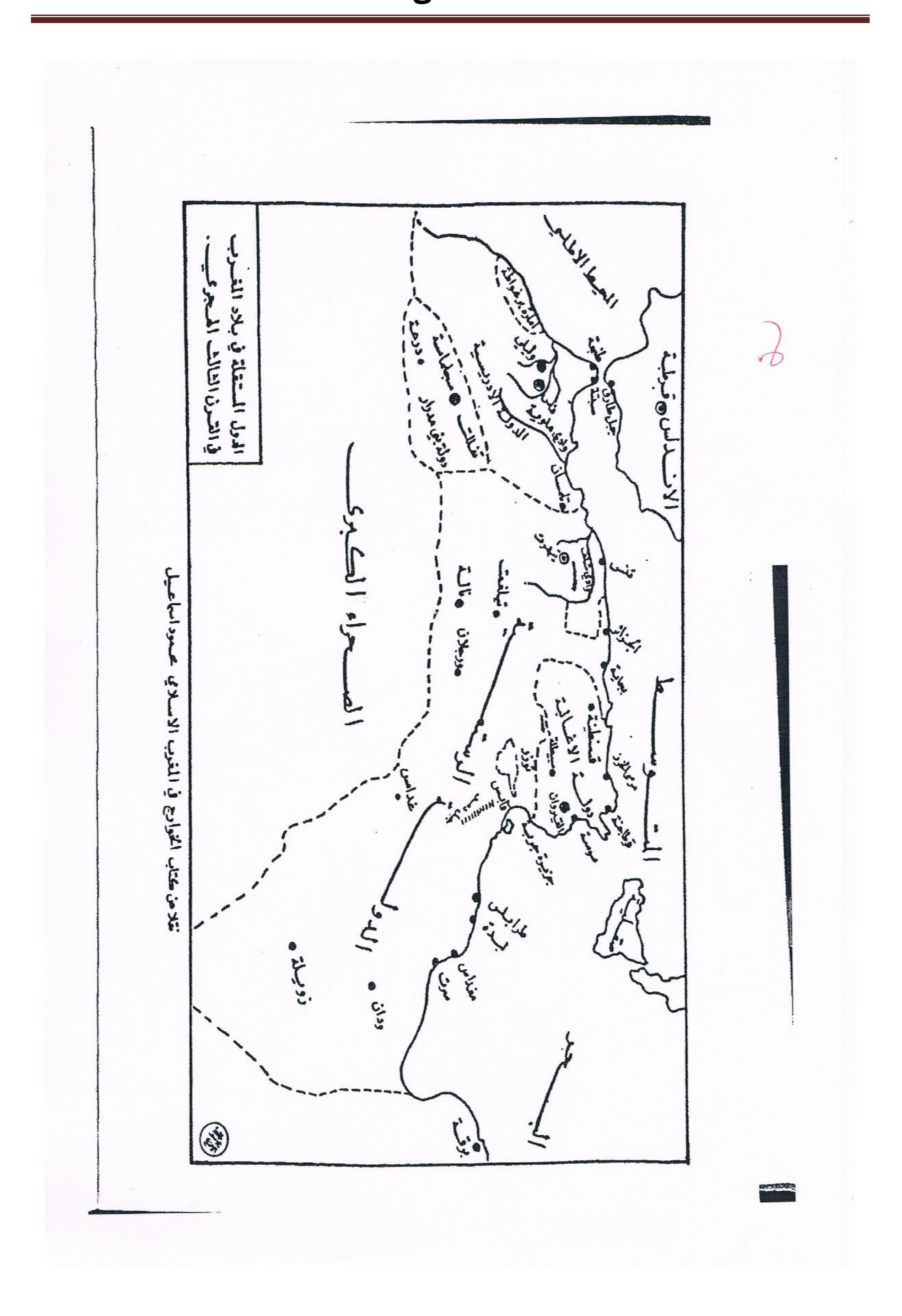
ضميمة رقم (4)

رسالة من الناصر لدين الله، إلى حليفه و صفيه محمد بن خزر زعيم زناتة يطلعه فيها عن عزمه لاسترداد ملك أجداده في المشرق و يأمره بالتأهب و استنفار القبائل لذلك، جاء فيها ما يلي:

"كان الناصر لدين الله، لا يكاد يخلى كتبه إلى هؤلاء الأمراء، المؤلفين له من أملاك البرابرة بأرض العدوة، من ذكر طلبه لسلط المشرق و قيامه في ارجاع ما سلب أباؤه منه، و تحمله في الجواز إلى ما هنالك (للمقأر) عنه و ذكر تظاهر الروايات له، و اجماع الآثار على أنه المرتجع له، و التحلية لهؤلاء الملوك بأنهم أنصاره عليه، و مقدمته في طلبه و معامزية فخره، و منزلة ذكره بقربهم ذلك، و مثله و لضربهم على عداوة لعدائه من بني عبيد الله ملوك الشيعة، الذين على ديار افريقية و تخليهم على حرب أصحابهم، و التخفيف لأعمالهم فينال من ذلك ما يبغيه، و يغبهم مع ذلك بهدايا و صلاته، و خلعه و الطافه، بركن بصائرهم في اعتقاد موالاته، و التزام طاعته، فينفق في هذا الباب الأموال الحشيمة، و يحشم له الحاشم الثقيلة، مما تناول به حمد بن خزر، عميد أولئك المتألقين من الأمراء بالعوة في هذا المعنى، فصل ضمنه جواب كتاب له نسخته:

" و ان أمير المؤمنين لما تفرغ باله، و انقضت بالأندلس أشغاله، و اكتملت له في أعدائه أماله، و لم يبق عليه فيها بقية يعانيها، و لا مجال يستعمل رجاله فيها، صرف عزيمته، و أمال همته، إلى ما بين يديه من اسباب المشرق، و طلب ما لم يزل لأوله حقا و له ميراثا، مع ما ينويه و يرجو أن يجزي الله أكرومته على يديه، من أحياء الدين، بنظره و أماته، البديع تقويم منهاجه و حماية بيت الله الحرام، المنتكثة حرمته، المعظمة المسلوب ركنه، المغلوب أهله، المطلة مناسكة و مشاعره، و أن يجعل الله لأمير المؤمنين حاصرا له، يطلب الجاني عليه بجبايته فيه، مجرد من يخلق السنن ما درس، و يظهر منها ما انطمس، و على الله يتوكا أمير المؤمنين في جميع ما نواه، و به يرجو إدراك ما

رجاه، إن شاء الله، و قد أمر أمير المؤمنين بالتأهب و الاستعداد، بالرجال و الأجناد، و بجنود الأماة و انتقاء الرماة و تضعيف العدد، و تكثير العدة و تجديد الآلات، و تكميل الأدوات و النظر في الجان، الحشود بالجنود لميقات معلوم، و وقت معدود، و أن يستكثر من جمع المراكب إلى ما قد قام منها، و يتوسع في عددها، بتجميل الأساطيل المؤيدة في وقت إجارتها،و غند مكان البحر، لها السير طائفة منها نحو سبتة، و أخرى إلى جهة وهران، فمن تخيره من وجوه قواده، و أعلام رجاله و صميم حشمه و أبطاله، أهل البأس و الصبر و حسن البلاء، و قوة الجلد، الثارين أنفسهم في مرضاة أمير المؤمنين، و الطالبين بحقه و الستنصرين في نكاية عدوه، ذوي الشاه الخالصة، و البصائر الصادقة و البسالة القائمة، كل بهول أخرهم قرن يناوله و لا يثني مغنهم، جيش يقابله كالليوث في اقبالها و البتايين التهامها، قد مرستهم الحروب و مرسوها، و ساستهم الخطوب و ساسوها، فهي أسهم، و هم بنوها، فاستعد أسعد الله، و تأهب و شمر و تليب، و كن على انتظار ما يوافيك من أمير المؤمنين، لتكون صدر القواد كما أنت صدر أولى الوداد، و متقدما للرجال كما أنت في صدر العال، فإن أمير المؤمنين يرجو الله عونه و عليه توكله، أن يكون قد قرب الوقت، الذي قد رجوت العوز به، و الإدراك له و بلوغ الأمل منه، إن شاء الله عز و جل".


الدول المستقلة في بلاد المغرب
في القرن الثالث الهجري.
نقلا عن كتاب الخوارج في المغرب الاسلامي محمود اسماعيل
الأندلس
قرطبة
المتوسط
البحر
المحيط الأطلسي
جبل طارق
سبتة
طنجة
تلمسان
تنس
تيهرت
الجزائر
بجاية
قسنطينة
دولة الأغالبة
القيروان
سبيطلة
توزر
قابس
جزيرة جربة
طرابلس
لبدة
غدامس
سرت
برقة
ودان
زويلة
تيلغمت
ورجلان
سجلماسة
درعة
دولة بني مدرار
الدولة الإدريسية
الصحراء الكبرى
الدولة الرستمية

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادروالمراجع :

أولا: القرآن الكريم .

ثانيا: كتب الحديث :

1- البخاري، صحيح البخاري، تح: عبد القادر شيبة الحمد، الرياض، ج 3، ط1، سنة 2008.

2- أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : ت (206 هـ) صحيح مسلم ، دار المغني ، الرياض السعودية ،ط 1 ، 1998م.

3- مالك بن أنس، الموطأ ، كتاب الصلاة في رمضان ، صححه ورقمه وخرج أحديثه وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتاب المصري بالقاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت ، د. ت .

ثالثا: المصادر :

1- ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي الحلة السيراء تح : حسين مؤنس ، دار المعرف ، القاهرة ، ط : 2 ،1958م

2- الإدريسي محمد بن عبد الله السبتي الشريف ، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس ، مقتبس من كتابه نزهة المشتاق ، تحقيق وتقديم وتعليق : إسماعيل العربي ، الجزائر ، ديوان لمطبوعات الجامعية 1983 .

3- /نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ،1422هـ 2002م .

4- ابن الأزرق، أبي عبد الله ابن الأزرق المالقي المالكي ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تح : علي الشامي النشار ، دار السلام ، القاهرة ، ط : 1 ، 2008م المصدر السابق، ج:2.

5- ابن الأحمر إسماعيل ، روضة النسرين في دولة بني مرين ، عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1962.

6- الأندلسي ،الوزير السراج محمد بن محمد ، الحلل السندسية، تح : محمد الحبيب الهيلة تونس ، الدار التونسية 1970 م .

7- ابن الأثير علي بن محمد بن محمد ،الجزري عز الدين أبو الحسن ،الكامل في التاريخ. تح : أبو الفداء عبد الله القاضي . دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، سنة 1987، ج8.

8- ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1985 ج : 2.

9- البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز ، المسالك و الممالك ، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1) ،2003.

10- أبي بكر بن عبد الله بن أبيك الدواداري، الدرة المضيئة. في أخبار الدولة الفاطمية ، تح : صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، 1380 هـ ، 1961 م

11- ابن بصال، كتاب الفلاحة، نشر و ترجمة و تعليق خوسيه مارية مياس بييكروسا، محمد عزيمان (د، ط) تطوان المغرب، 1955 م.

12- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم دار الكتب العلمية ،ط:2 ، 1995 ،ج15.

13- جوذر علي أبي منصور العزيزي الجوذري سيرة الأستاذ جوذر ، تقديم : محمد كامل حسين ، محمد عبد الهادي شعيرة ، دار الفكر العربي ، مصر.

14- الداعي إدريس عماد الدين ، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ، قسم خاص من عيون الأخبار تح : محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط : 1 ، 1998

15- الدباغ، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان أكمله وعلق عليه :التنوخي أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى ، تصحيح وتعليق :إبراهيم شبوح ، مكتبة الخانجي بمصر ، ط : 2 ، 1388 هـ ، 1968 م .

16- إبن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، مطبعة الدولة التونسية.

17- ابن هانئ المغربي الأندلسي، محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي ، 1995م .

18- ابن الوردي ، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس ، أبو حفص ، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي ، تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ط : 1 ، 1417هـ ، 1996م ،ج1، ج2.

19- ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد توفيق مدني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 2010.

20- أبو زكرياء يحي بن بكر الورجلاني،سير الأئمة و أخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979، ج 1.

21- ابن أبي زرع ابو الحسن علي بن عبد الله ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار صور لطباعة ووالوراقة ، الرباط 1972 م ، ص 76.

22- / الدخيرة السنية في تأريخ الدولة المرينية ، تح : محمد بن أبي شنب ، مطبعة جول كربونل ، الجزائر العاصمة ، 133هـ ، 1920 م

23- ابن حوقل محمد البغدادي الموصلي أبو القاسم النصيبي ، صورة الأرض، دار صادر بيروت ، 1938م .

24- /المسالك والممالك ، طبعة بريل ، ليدن ، 1872م

25- ابن حماد الصنهاجي ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، 1984، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، دون طبعة .

26- الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان،1397هـ، 1977، ج: 4، ج : 5، ج : 6.

27- ابن حيان بن خلف الأندلسي أبو مروان ، المقبس من أخبار بلد الأندلس ، تح : صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، ط : 1، 2006 م .

28- الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية1966م.

29- الحميري، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي ، الروض المعطار في خبر الأقطار،تح : إحسان عباس ، مكتبة لبنان، بيروت، ط3 ،1984م .

30- الحنبلي الدمشقي ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الحنبلي الدمشقي، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، سنة 1979، ج5، ص 153.

31- أبي الحسن علي ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تح : حسين مؤنس ، سلسلة خبايا الزوايا ، مجلة المعهد المصري لدراسات الإسلامية في مدريد ، مج : 6 ، العدد : 1، 2 ، 1378ه /1958م .

32- يحي بن سعيد الأنطاكي ، صلة تاريخ أوتيخا ، تح : عبد السلام تدمري ، جروس برس ، 1990 م .

33- اليعقوبي أحمد بن يعقوب بن واضح ، البلدان ، تح : محمد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، 2002 .

34- ابن كثير، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ج :11، ص 360.

35- الماوردي علي بن محمد حبيب البصري: الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 1983، ص 27-31.

36- المالكي،أبو بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفرقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ،تح :بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط:2 ، ج2.

37- أبو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ج: 4، ص 179.

38- ابن ميسر تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب ، المنتقى من أخبار مصر تح : أيمن فؤاد السيد، ص 51، الدواداري، الدرة المضيئة.

39- أبي المنذر هشام بن محمد بن الشافعي الكلبي (204 هـ/825م) جمهرة النسب، ط بيروت، 1407 هـ/1986 م.

40- المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتاب، البيضاء، 1978، ج:3.

41- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تقديم و فهرسة، محمد مخزوم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1957.

42- مقيديش محمود ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار، تحقيق علي الزراري و محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1988ن بيروت، لبنان.

43- المقري التلمساني نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح: إحسان عباس ،دار صادر بيروت 1988 م ، ج : 2 .

44- المقريزي،أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تح : جمال الدين الشيال ، محمد حلمي محمد أحمد ، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ط : 2 ، 1996م ، ،ج1،

45- / البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبد المجيد عابدين، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة 1961.

46- / شذور العقود في ذكر النقود ، النجف ، 1967 .

47- / المقفي الكبير تح : محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ط : 2 ، 2006 ،، ج2.

48- مؤلف مجهول، مفاخر البربر ، تح : عبد القادر بوباية ، دار أبي الرقراق لطباعة والنشر ، المغرب ، ط: 1 ، 2005م .

49- مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.

50- مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ،تح: سهيل زكار ، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة ، المغرب ، ط:1 ، 1399هـ ، 1979م.

51- الناصري،أبو العباس أحمد بن خالد الإستقصا لدول المغرب الأقصى ،تحقيق ولدي المؤلف : جعفر ومحمد الناصري ، دار الكتاب الدار ، الدار البيضاء ، المغرب طبعة 1954 .

52- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (732هـ-1324 م) نهاية الأرب في فنون الأدب، ج: 24 ، تحقيق: حسين نصار، ط القاهرة، الهيئة للكتاب، سنة 1403 هـ .

53- ابن السماك العاملي الأندلسي ، رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير ، دار الكتب العلمية ، ط :1 ، 2004 .

54- بن سعيد أبو الحسن علي بن موسى المغربي الأندلسي ،المغرب في حلى المغرب ، دار المعرف القاهرة ، 1995م..

55- ابن سعيد المغربي ابو الحسن علي بن موسى الغرناطي ، كتاب الجغرافيا ، تح :اسماعيل العربي منشورات المكتب التجاري لطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ، ط/1 ، 1970.

56- أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغرب ، تح : إبراهيم طلاي ، ط: 1 ، 1394هـ ، 1974م.

57- العبدري محمد البلنسي ، رحلة العبدري، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات ، عنابة الجزائر،ط : 1 ،2007 ، ص ص : 200-206

58- ابن عبد الحكم ، ابي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله القرشي ، فتوح إفريقيا والأندلس ، تح : عبد الله أنيس الطباع ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني 1987م.

59- /فتوح مصر و أخبارها، تح : عبد المنعم عامر، القاهرة، ط1

60- محمد بن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد، تح : مفيد محمد قميحة ،دار الكتب العلمية، ط :1، 1983 م ، ج : 3.

61- العمري شهاب الدين ابن فضل الله مسالك الأبصار في مملك الأمصار تح : كامل سلمان الجبوري ، نهدي نجم دار الكتب العلمية ،ط:1، 2010 مج:1، 2

62- أبو العرب التميمي، طبقات علماء افريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.

63- ابن عذارى، المراكشي،أبو العباس أحمد بن محمد ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تح : ج، س كولان وإ .ليفي بروفنسال ، دار الثقافة، بيروت لبنان ، 1985م، ج1 ، ج 3.

64- أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، ج2.

65- الفرابي، أبو النصر محمد، السياسة المدنية، الملقب بمبادئ الموجودات، تح: فوزي متري نجار، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط 1، سنة 1964.

66- ابن الفرضي، عبد الله بن محمد ابن الفرضي أبو الوليد ، تاريخ علماء الأندلس، تح : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط :1 ،1429هـ ، 2008م .

67- ابن الصغير المالكي ، أخبار الائمة الرستميين ، تح : محمد ناصر وابراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1406 هـ |1986 م .

68- القاضي النعمان بن محمد ، المجالس و المسايرات، تح : الحبيب الفقي إبراهيم شبوح محمد اليعلاوي ، دار المنتظر بيروت لبنان ، ط :1 ، 1996م .

69- /، افتتاح الدعوة، الشركة التونسة للتوزيع ، ط 2: ،1986 م .

70- القاضي عياض ، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام المذهب مالك. تح: أحمد بكير محمود. منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، د.ت،ج4 ج:6.

71- لقلقشندي أبو العباس أحمد ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ج5.

72- ابن القلانسي، تاريخ دمشق، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق 1983.

73- أبي الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان ، سير الوسياني ، تح : عمر بن لقمان ، ط : 1 1430هـ ،2009 م .، ج2، ص 511.

74- ابن أبي الربيع شهاب الدين أحمد بن محمد، سلوك المالك في تدبير الممالك، دراسة و تحقيق، ناجي التكريتي، بيروت، منشورات تراث عمويدات، ط1، 1978.

75- الرقيق القيرواني، أبو اسحاق أبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق النديم تاريخ افريقياوالمغرب ، تح : عبد العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ط: 1 ،1990م

76- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد الأندلسي المالكي، الضروري في السياسة، مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، تر: أحمد شحلان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، سنة 1998.

77- الشماخي ، أحمد بن سعيد أبي عثمان بن عبد الواحد ، بدر الدين الشماخي ، السير ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، 1407 هـ ، 1987م ، ج2.

78- التجيبي محمد بن أحمد بن عبدون ، ابن عبد الرؤوف ، رسالة في القضاء و الحسبة، تح : ليفي بروفنسال ، 1955 م .

79- التيجاني أبو محمد عبد الله بن أحمد، ت رحلة التيجاني، ، الدار العربية للكتاب، ط:2 ،1401 هـ/1981م،.

80- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد الحضرمي، المقدمة ، دار الفكر بيروت . لبنان ،1431هـ، 2001 م

81- /كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط : 1 ، 2011م ج3.

82- ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1972م ، ج1.

83- ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة بأخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1.

84- / أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام ، تح: سيد كسرو حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط : 12002 م ، ج : 3.

85- الخشني، عبد الله بن محمد بن الحرث ،طبقات علماء إفريقيا، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، د ت.

86- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ج2، ص 43-48،

87- /تاريخ الإسلام وذيله ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط : 2 ، 1990م.

قائمة المراجع :

88- إبراهيم العيد بشي ، تاريخ مختصر لأهم حضارات الشرق القديمة، دراسة حضارية في قبل التاريخ و عبر التاريخ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2007.

89- أيوب محمد سليمان ، جرمة: من تاريخ الحضارة الليبية، ط1، دار المصراتي للطباعة و النشر، طرابلس، ليبيا، 1969.

90- ألفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، تر : عبد الرحمان بدوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ن لبنان ، 1987 م.

91- أمين توفيق الطيبين دراسات و بحوث في تاريخ المغرب و الأندلس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1989م .

92- أندري ميكيل: جغرافية الإسلام البشرية، ج1، تر: ابراهيم الخوري، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، 1983، ص 75.

93- الأنصاري محمد جابر، التأزم السياسي عند العرب وموقف الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط 1، سنة 1995.

94- بوجيل: تجارة الذهب و سكان المغرب الكبير، تر: الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1988

95- بحاز ابراهيم بن بكير وأخرون ، معجم في التاريخ باسم الدولة الرستمية . جمعية التراث غرداية ، الجزائر.

96- بوطالب محمد نجيب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، سنة 2002.

97- بولبيض عبد الفتاح رجب حمد ، تاريخ برقة الإسلامي في الفترة من القرن الخامس حتى الربع الأول من القرن العاشر هجري من 400-925هـ. منشورات المركز الوطني للمحفوظات و الدراسات التاريخية (دار الكتب الوطنية ببنغازي)، ط1، 2009.

98- ب. سلامة، الصحراء في التاريخ القديم، اللجنة العلمية الدولية (اليونسكو) لتحرير تاريخ إفريقيا العام، الجزء الثاني، جون أفريك، باريس، 1983.

99- البرغوثي عبد اللطيف محمود ، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، الجزء الرابع، تامغناست للنشر، د ط، د ت.

100- بوتشيش ابراهيم القادري، المغرب و الأندلس في عصر المرابطين (المجتمع، الذهنيات، الأولياء)، دار الطبيعة، بيروت، ط1، سنة 1991.

101- / مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ، دار الطليعة بيروت

102- / إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي و تاريخه الاقتصادي و الاجتماعي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، دون طبعة، 2001م، ص 87.

103- الجابري محمد عابد ، فكر ابن خلدون ، العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، ط: 6 ، 1994م.

104- جاسم سلطان، فلسفة التاريخ (الفكر الإستراتيجي في فهم التاريخ) مؤسسة أم القرى لترجمة والتوزيع القاهرة ، ط : 1 سنة 2005 .

105- جهان ديزانج، البربر الأصليون (بحث ضمن تاريخ افريقيا العام، ج2، ص 458)..

106- جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية لدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ،(د، ت).

107- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1986 م .

108- جمال مختار، تاريخ افريقيا العام اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ افريقيا العام(اليونيسكو) 1985، ج3،

109- الجنحاني الحبيب ، المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية 3،4هـ / 9،10 م، دار الغرب الإسلامي، ط 2 ، 1986 م

110- الجريسي خالد بن عبد الرحمن، العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، د (ط 8 س).

111- جغلول عبد القادر ، الإشكاليات التارخية في علم الإجتماع السياسي عند ابن خلدون تر : فيصل عباس ، دار الحداثة ، بيروت لبنان ، ط : 2 ، 1989م.

112- دبوز محمد علي ، تاريخ المغرب الكبير ، مطبعة عيسى البابلي، مصر ، ط1 ، 1964 ، ج : 3 .

113- ديكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة و مراجعة إحسان محمد الحسن، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت ، ط : 1، 1981.

114- الديناصوري جمال الدين وآخرون ، جغرافية العالم ،. إفريقيا وأستراليا ، ا لقاهرة ، المكتبة الأنجلو مصرية ، 1986، ج : 2 .

115- دندش عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، سنة 1988، ص ص 16-30. الناصري، المصدر السابق، ج1.

116- الدشراوي فرحات ، الخلافة الفاطمية بالمغرب 296 – 365 هـ | 909 – 975 م ، تر : حماد الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ط: 1 ،1994 م.

117- الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، دار الغرب الإسلامي ، ط: 1 1992 م ، ج : 1، ج2.

118- هصام موسى ، التمكين للمذهب المالكي في المغربين الأدنى والأوسط بين القرنيين الرابع والسادس هجريين، ج : 1 ، مؤسسة كنوز الحكمة لنشر والتوزيع ، الأبيار الجزائر ، 2013 م

119- زياد نيقولا، محاضرات في تاريخ ليبيا، معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، د ت.

120- حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة، 2009 م ، ج : 2.

121- حسين طه، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، تر: عبد الله عنان، مطبعة الاعتماد، مصر، ط1، سنة 1925م

122- حسين مؤنس ، نور الدين زنكي، فجر الحروب الصليبية، الزهراء، دار السعودية للنشر و التوزيع، الطبعة الثانية، 1984، جدة، السعودية،

123- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط: 5، 1421هـ، 2002م .

124- حسن حسني عبد الوهاب، ورقات في الحضارة، مكتبة المنار تونس، 1994 ، ج:2 .

125- حسن محمد، المدينة والبادية يإفريقية العهد الحفصي،أوربيس لطباعة، 1999م ، ج : 1

126- حسن خضيري: علاقات الفاطميين بدول المغرب، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ط : 1

127- الحنفي عبد المنعم: موسوعة الفرق و الجماعات و المذاهب، ط2، مكتبة مديولي، القاهرة، 1999.

128- حامد عمار: علاقات مصر بالدول الافريقية في العصور الوسطى، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1996م.

129- حماه الله ولد السالم، تاريخ بلاد شنكيطي " موريتانيا"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010.

130- حمدي عبد المنعم محمد حسين ن التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، دار المعرفة ، مصر ، 1997 م

131- حميد تيتاو: الحرب و المجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية و العلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، 2009.

132- طاهر راغب حسين: دور القبائل العربية بالمغرب العربي منذ المسيرة الهلالية حتى نهاية حكم الموحدين، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1399 هـ/1989م.

133- الطالبي محمد، الدولة الأغلبية" التاريخ السياسي " دار الغرب الإسلامي بيروت ، لبنان ، ط: 2 ، 1415هـ ، 1995 م.

134- الطمار محمد ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ،الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ، الجزائر، 1983 م .

135- الطوير محمد أمحمد، تاريخ الزراعة في ليبيا، مصراتة، 1991

136- عبد الحليم عويس،دولة بني حماد، دار الصحوة لنشر والتوزيع ، القاهرة ط : 2 ، 1411هـ ،1991 م

137- كمال الدين السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في بلاد المغرب من خلال نوازل و فتاوى الونشريسي مركز الاسكندرية للكتاب، ط1 ، 1997.

138- عثمان الكعاك في كتابه (موجز التاريخ العام للجزائر)، تح : أبو القاسم سعد الله ، ناصر الدين سعيدوني ، محمد البشير الشنيتي ، إبراهيم النجار دار الغرب الإسلامي ط : 1 ، 2003م

139- لوسيان فيفر، الأرض و التطور البشري، ترجمة د: محمد السيد غلاب، طبعة دار المطبوعات الجديدة، القاهرة 1973 .

140- لقبال موسى ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس الهجري ، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ، ط: 1 ، 1979م .

141- المدني توفيق ، كتاب الجزائر ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 م .

142- موسى موهوبي عبد القادر ، ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ و ميزاب و ورقلة ، دار البصائر ، الجزائر ، 2011 .

143- عز الدين: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري ، دار الشروق ، القاهرة ، 1983 م

144- محمود إسماعيل عبد الرزاق ، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري ، دار الثقافة المغرب ط :2 ،1985.

145- محمود إسماعيل سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، سينا لنشر ، 1987م.

146- محمود حسن أحمد، قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى)، دار الفكر العربي، القاهرة، طنطة.

147- محفل محمد وآخرون ، ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونظامهم في القطر العربي السوري، المكتب التنفيذي للإتحاد العام للفلاحين ، سوريا دون طبعة .

148- ميتز آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، بيروت، دار الكتاب العربين ط5 سنة 2000م.

149- ممدوح حسين ، افريقية في عصر الأمير ابراهيم الثاني الأغلبي، قراءة تكشف افتراءات الفاطميين، دار عمار، ، عمان، الأردن، ط :1 ، 1413 هـ/ 1997م.

150- بن منصور عبد الوهاب ، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968.

151- معمر علي يحي ، الأباضية في موكب التاريخ ، تح : احمد عمر أوبكة المطبعة العربية ، غرداية الجزائر (د ، ت) ، ج 2 .

152- مقدم مبروك مقدم، نشأة القصور و عمارة الأرض بمناطق توات و أحوازها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2016.

153- مرمول محمد الصالح ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983م .

154- ناجي محمود، تاريخ طرابلس الغرب، تر: عبد السلام أوهم و محمد الأسطى، منشورات الجامعة الليبية ببنغازي، 1970.

155- النهيوم الصادق ، موسوعة تاريخنا، ط / ليبيا، ج : 3.

156-

157- نقولا زيادة، ليبيا في العصور الحديثة، دار الرائد، القاهرة، 1966م، 11.

158- السويسي محمد البشير السويسي، معالم تاريخ واحة أوجلة عبر العصور، البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 2001

159- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1979، ج1.

160- العبادي أحمد مختار ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، ط:1.

161- عويس عبد الحليم ،دولة بني حماد، دار الصحوة لنشر والتوزيع ، القاهرة ط : 2 ، 1411هـ ،1991 م

162- عطية القوصي، دولة الكنوز الإسلامية، دار المعارف القاهرة ،ط : 2 ، 1981م .

163- العلوي حسن حافظي ، سجلماسة و إقليمها في القرن 8 الهجري/14 ميلادي، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية بالمغرب سنة 1418 هـ/1997م.

164- بن عميرة محمد بن عميرة ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984

165– العروي عبد الله ، مجمل تاريخ المغرب ، المركز الثقافي العربي ، ط :5 1996م .

166– العربي إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى و شواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب (د ط)، الجزائر.

167– عثمان محمد عبد الستار ، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، ع : 128 ذو الحجة 1408 هـ/1988 م.

168– فيلالي عبد العزيز، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب دار الفجر لنشر والتوزيع ، مصر، الطبعة الثانية . 1999 م.

169– صالح عبد القادر ، العقائد و الأديان، دار المعرفة، بيروت، ط:1 ، 2003.

170– الصالح صبحي صالح: النظم الإسلامية نشأتها و تطورها، منشورا الشريف الرضي ، إيران ، ط : 1 ، 1417 هـ ،

171– الصلابي علي محمد ، صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي ، دار لبن الجوزي ، القاهرة ، مصر .

172– / صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي والشمال الإفريقي ط : 1 ، دار البيارق ، عمان ، 1998 م.

173– / لقائد المجاهد نور الدين زنكي، شخصيته و عصره، ، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، الطبعة الأولى، 1428 هـ/2007م، القاهرة، مصر.

174– القاسمي هاشم العلوي ، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع هجري، مطبعة فضالة، المغرب 1995، ج : 1 .

175– القبلين محمد حول مضمرات " التشوف.." ضمن التاريخ و أدب المناقب، دار عكاظ، 1987.

176– – شاكر محمود ، موسوعة أعلام وقادة الفتح الإسلامي،ط: 1، 2002م.

177– شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة، ج:1.

178- الشنيتي محمد البشير ، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

179- / نوميديا و روما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية و اجتماعية في ظل الإحتلال، مؤسسة كنوز الحكمة، ط1، 2012.

180- /: التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، ط الجزائر، 1984.

181- الشناوي و آخرون، دائرة المعارف الإسلامية، ج:11.

182- الشرقاوي محمد عبد المنعم ومحمد محمود الصياد ،ملامح المغرب العربي ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، 1959 م .

183- التيجاني أبو محمد عبد الله بن أحمد، ت رحلة التيجاني، ، الدار العربية للكتاب، ط:2 ،1401 هـ/1981م،.

184- ضيف الله محمد، نوافذ على تاريخ نفزاوة،المغاربية للطباعة،2008 م.

185- المذاهب الفقهية الأربعة ، أئمتها ،أطوارها ،أصولها وأثارها .وحدة البحث العلميبإدارة الإفتاء ، راجعه : أحمد الحجي الكردي ، علي الشيخ الشربجي، بومية بن محمد السعيد، عنان بن سالم النهام .وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، ط : 1 ، الكويت، 2015.

<u>كتب المعاجم :</u>

186- بحاز ابراهيم بن بكير وأخرون ، معجم في التاريخ باسم الدولة الرستمية جمعية التراث غرداية ، الجزائر.

187- ديكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة و مراجعة إحسان محمد الحسن، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط :1، 1981.

188- لويس معلوف ،المنجد في اللغة و الأعلام، ، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط :42 ، 2007.

189- ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د (ط 8 س)، ج 4، 5.

190- الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1978. د (ط). ج 1.

191- شعبان عطية (عبد العاطي) وآخرون، المعجم الوسيط ط 4 ، مجمع اللغة العربية ومكتبة الشروق الدولية ،القاهرة 2004.

الرسائل الجامعية :

192- بوخالفة نور الهدى ، أنساب القبائل العربية المهاجرة بمواليها إلى بلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة ، رسالة دكتورى دولة ، السنة الجامعية 1994 – 1995 م ص : 471 ، الإحالة رقم 3 .

193- هشام بن حسن العطار، أثر الإسلام في نظرة ابن خلدون للإنسان والأديان، رسالة ماجستير، جامعة محمد بن سعود، الرياض، السعودية، (1421هـ/2001م).

194- حمامد محمد ، الحياة الاجتماعية والثقافية بورجلان ونواحيها خلال القرنين (5- 6 هـ |11 -12 م)رسالة ماجستير جامعة أدرار ، الجزائر ، 1433 \1434 هـ \2012 \2013 م اشراف الدكتور عبد الكريم بوصفصاف.

195- طاهر راغب حسين: دور القبائل العربية بالمغرب العربي منذ المسيرة الهلالية حتى نهاية حكم الموحدين، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1399 هـ/1989م.

196- محمد العميم، قبائل المغرب و أقوامه خلال القرنين الأولين للميلاد، رسالة مرقونة لنيل دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب، فاس 1989 م، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد التازي سعود.

197- مسعود مزهودي: الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (296-422 هـ/909-1058 م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1988، ص 158.

198- سبع قادة أطروحة دكتورى الموسومة ب " الصراع المذهبي العقدي بالغرب الإسلامي أسسه مجالاته وإن انعكاساته" ، إشراف ، الأستاذ الدكتور : محمد

بن معمر ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران ، السنة الجامعية : 1436 – 1437 هـ / 2014 – 2015 م .

199– عبد السلام حورية ، علاقات مصر ببلاد المغرب العربي من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية،رسالة ماجستير تحت إشراف حسن أحمد محمود، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1974.

200– قرمام حاج: العلاقات الحمادية المرابطية، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف ، الجزائر ، 1434هـ / 2013 م.

المجلات :

201– بولقطيب حسين،الحياة الإقتصادية للحلف القبلي المصمودي في القرنيين الخامس والسادس الهجريين ، مجلة الإجتهاد العدد : 18 ، 1993 م.

202– بلهواري فاطمة: العلاقات التجارية بين بلاد المغرب و السودان الغربي خلال القرن الرابع الهجري /العاشر ميلادي (مجلة كان التاريخية ، دورية إلكترونية محكمة ، السنة الثالثة ، العدد 10 ، دار ناشري للنشر الإلكتروني ، الكويت 2013 م (31 ،37) .

203– الجنحاني الحبيب السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب الأصالة، ع/50/49 وزارة الشؤون الدينية ، سبتمبر،

204– / العلاقات السياسية و الاقتصادية بين افريقية و المغرب الأوسط في القرنين الثاني و الخامس للهجرة (الثامن و الحادي عشر للميلاد) كتاب الأصالة (محاضرات ملتقى الفكر الاسلامي الثاني عشر) باتنة 1978، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1982،

205– يحيى حمزة: ذهب السودان الغربي في أوج استغلاله خلال العصر الوسيط الموطن... و العلاقة مع المغرب الأقصى (مجلة المؤرخ، جمعية ليون الافريقي، الدار البيضاء، العدد 7، 2010)

206- كرزاز فوزية: السيطرة الاقتصادية الهلالية بالمغرب الإسلامي (مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، السنة الرابعة، العدد 12، دار ناشري للنشر الالكتروني، الكويت، 2011.

207- مجاني بوبة: أثر الضرائب في ثوابت و متغيرات سياسة الخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية، مجلة الدراسات التاريخية، دمشق، ع: 67-68 كانون الثاني حزيران 1999

208- موهوبي عبد القادر ، ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة ، دار البصائر ، الجزائر ، 2011 .

209- مزهودي مسعود : تأسيس ورجلان وسدراتة من خلال الروايات التاريخية ، مجلة سدراتة ، الايام الدراسية الأولى حول سدراتة / 23 – 26 أفريل 1997 م .

210- محمود حسن أحمد منى :تجارة السودان الغربي قبيل قيام دولة المرابطين في القرن 5 هـ (مجلة المؤرخ المصري ، دراسات وبحوث تاريخية محكمة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ،1991م ، العدد السابع ، (241 ،302).

211- مسعودي خالدي: الصلات الاقتصادية و الدبلوماسية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي و أثرها على الحياة الثقافية بين القرنين الثاني و الثالث هجريين، (مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، السنة السادسة، العدد 20، دار ناشري للنشر الالكتروني، الكويت، 2013)، ص 84-86.

212- عمارة علاوة و زينب موساوي: مدينة الجزائر في العصر الوسيط (مجلة إنسانيات، الجزائر، عدد خاص 44-45، 2009).

213- فيلالي عبد العزيز: قلعة بني حماد الحاضرة الإقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 5هـ /11 م (مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد 7 جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ، الجزائر ، 2006 م (7، 22)) .

214- القاضي محمد ، مقال بعنوان البرتغال الإسلامية، مجلة التسامح، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، سلطنة عمان، العدد 20 السنة 2007.

215- غوميثوغاليس سلفادور غوميثوغاليس ،الرستميون قنطرة صلة بين الجزائر و الاندلس من خلال الإباضية ، مجلة الأصالة ع: 46 ، 47 ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، جوان ، جويلية ، 1977 م

216- بن ذياب أحمد المسيلة وإمارة بني حمدون وأميرها جعفر بن علي ، مجلة الأصالة ، العدد 7 ، ربيع الأول 1392 هـ ، مارس أفريل 1972 م.

217-

مراجع اللغة الأجنبية :

218- -Behabou (M), La résistance Africaine à la romanisation, éd, Maspéro, Paris, 1975.

219- Camps (G): Recherchessur les relations du capsiensupérieuret de l'i'hérom au rusiendans le Constantinois, In Bulletin de la sociétéd'histoirenaturelle de l'Afrique du nord, T.46.1955.

220- F.Rbarr: Geology and archology of norterncyrenaica, Libya. Amsterdam, Holland Breumelholf, 1963.

221- Herodotus, Historia, Translated by A.D.Godley Harvard Univercity, Press, London.

222- -Piganiol (A) et Laurent Vibert (R), recherchesarchéologiques à Ammaedara(Haidra), M.A.H.N°1,Vol 32.1912.

223- Servier (J), Les berbères, (Que sais-je?), 1 émeédition, Dahlab, Alger, 1994.

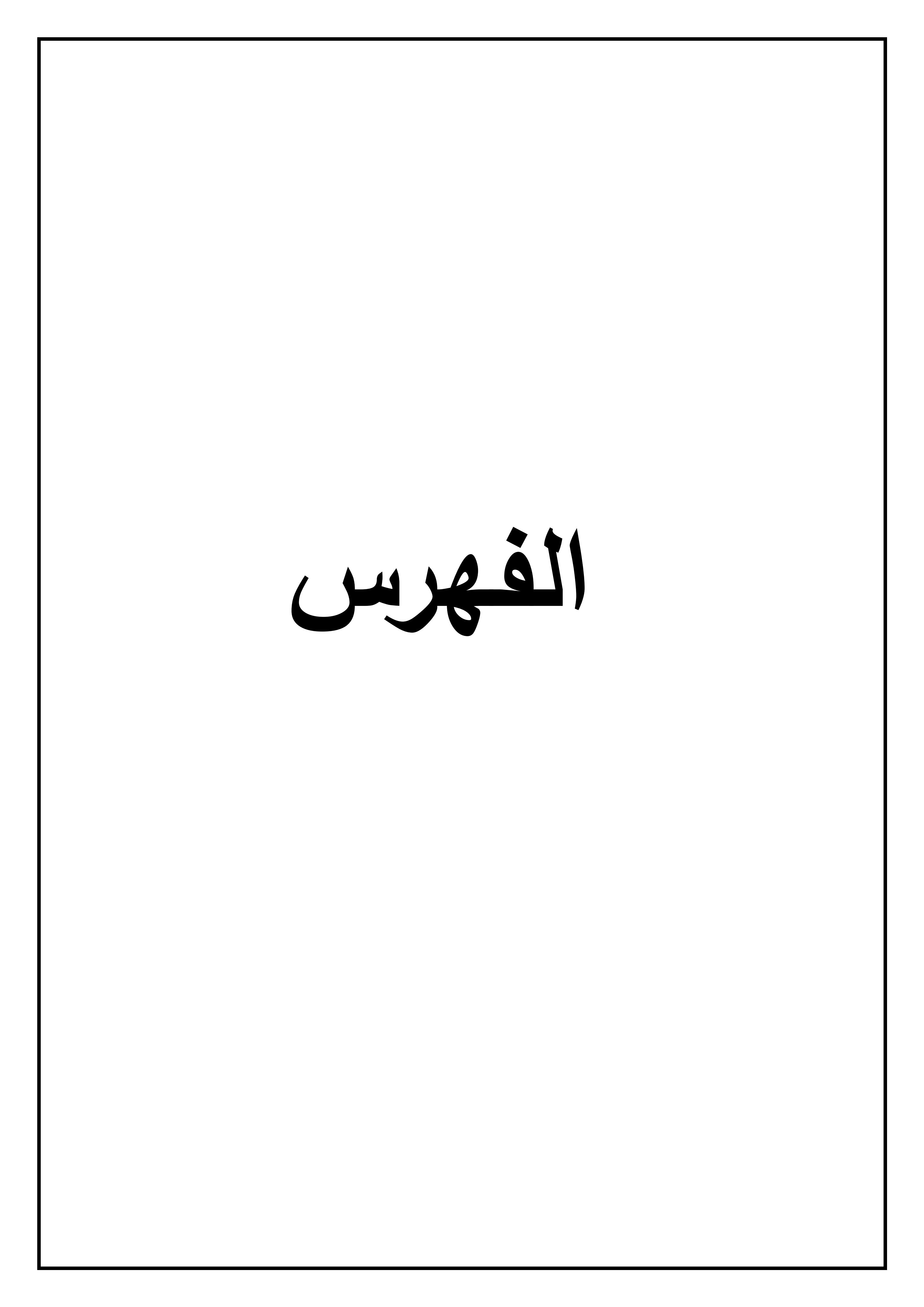
224- Siliuslticus, Punica, Translated by F.E.Robins, Harvard university, press, London, V,11.

225- ST.Gsell: Hérodote-textes-relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord-Alger,1915.

226- Tacitus, The Annals, translated by Jhon Jackson, Harvard univercity, London,11.52.

227- Alfred Bel, la religion musulman en berbèrie, esquissed'histoire et de sociologiereligieuse, Paris, 1938, tl,

228- Robrt . D .et S . –j.Devisse .Tegdaoust .I.Paris.1970



الفهرس

الموضوع الصفحة

ملخص:

إن مسألة تعمير الصحراء بالسكان لم تندثر بمجرد تغيير المناخ إلى مناخ صحراوي جاف وقاحل فقد حولتها المدن الصحراوية و الطرق التجارية في العصور الإسلامية إلى منطقة حيوية، بفضل أهم محرك اجتماعي في هذه الجهات (القبائل)، و قد كان النسق القبلي إما في سياق التضامن أو التعارض القبلي مع قوى خارجة عن ذاته، سواء كانت قوة الدولة المركزية أو قوة أجنبية مهاجمة مما جعل القبيلة الوحيدة أو الحلف القبلي مؤسسة مستقلة بذاتها.

الكلمات المفتاحية: القبيلة- الاقتصاد- التحالف- الصحراء.

Résumé

L’aspect de l’implantation des populations au Sahara ne s’est pas effacé par le seul changement du climat à un climat saharien sec et aride, car les villes sahariennes et les routes commerciales durant les ères islamiques ont transformé le Sahara en une région dynamique par le biais de l’important moteur social dans ces régions en l’occurrence (les tribus). La vie tribale s’activait soit dans un cadre de solidarité ou d’opposition tribale à des forces externes représentées soit par la force de l’Etat Centrale ou de forces étrangères attaquantes ; ce qui a rendu l’unicité ou l’alliance tribale une entité autonome.

Mots clés: les tribus- économie- alliance- sahara

ملخص

إن مسألة تعمير الصحراء بالسكان لم تندثر بمجرد تغيير المناخ إلى مناخ صحراوي جاف وقاحل فقد حولتها المدن الصحراوية و الطرق التجارية في العصور الإسلامية إلى منطقة حيوية بفضل أهم محرك اجتماعي في هذه الجهات (القبائل)، و قد كان النسق القبلي إما في سياق التضامن أو التعارض القبلي مع قوى خارجة عن ذاته سواء كانت قوة الدولة المركزية أو قوة أجنبية مهاجمة مما جعل القبيلة الوحيدة أو الحلف القبلي مؤسسة مستقلة بذاتها . وقد أثبتت الدراسة المعنونة.

الكلمات المفتاحية :

القبيلة؛ الحلف السياسي؛ التحالف؛ الحلف الزناتي؛ الصحراء؛ الطرق التجارية؛ المغرب الاسلامي؛ مطماطة؛ عجيسة؛ علي بن حمدون.

نوقشت يوم 15 يناير 2020